ديوان ابن عربى

الشيخ الأكبر أبو بكر محيى الدين بن عربى الحاتمى
المتوفى سنة ٦٣٨ هجرية

الجزء الثانى

تحقيق وضبط

أ.د. محمد إبراهيم نصر
أستاذ الأدب والنقد
بالجامعات المصرية والعربية

المستشار توفيق على وهبه
رئيس المركز العربى
للدراسات والبحوث

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
1433هـ-2012

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد – القاهرة
25938411-25922620 / فاكس: 25936277
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ابن عربى ، محمد بن على بن محمد بن عربى ، 1165-1240
ديوان ابن عربى / تاليف : ابو بكر محى الدين بن عربى ،
تحقيق و ظبط :محمد ابراهيم نصر
ط1 القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ،2012
مج 2 ، 24 سم
تدمك : 5-557-341-977-978
1- الشعر العربى -تاريخ -العصر العباسى الثانى
ا- نصر، محمد ابراهيم (محقق وظابط)
ب- العنوان

ديوى:811,5

رقم الايداع: 2012/2790

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وقال أيضاً﴾

يذكر ما صحَّ من الأسماء التِّسعة والتِّسعين التى صَحَّ النصُّ بها وبَحثَ الحفَّاظُ عنْهَا فَما قَدرَ على الصَّحيح منها إلا رجل من حُفاظ المغرب يُقالُ لهُ على بن حزم فوقفتَ عليها فى كِتابه المسمى بالملى فذكرتها فى قصيدتى لتحفظ معرفة ومنكرة كما ذكره وعدده وهى

الله. الرَّحْمنُ. الرَّحِيمُ. الْعَلِيمُ. الحَكِيمُ. الْكَرِيمُ. الْعَظِيمُ. الْحَلِيمُ. الْقَيُّومُ. الأكْرَمُ. السَّلامُ. التَّوَّابُ. الرَّبُّ. الْوَهَّابُ. الأقْرَبُ. السَّمِيعُ. المُجيبُ. الْوَاسِعُ. الْعَزِيزُ. الشَاكِرُ. القَاهِرُ. الآخِرُ. الظَّاهِرُ. الكَبِيرُ. الخَبِيرُ. القَدِيرُ. الْبَصِيرُ. الْغَفورُ. الشَّكُورُ. الْغَفَّارُ. الْقَهَّارُ. الجَبَّارُ. المُتَكَبِّرُ. المُصَوِّرُ. الْبَرُّ. المُقْتَدِرُ. البَارِئُ. الْعَلِيُّ. الْغَنِيُّ. الوَلِيُّ. الْقَوِيُّ. الْحَيُّ. الْحَمِيدُ. الْوَدُودُ. الصَّمَدُ. الأَحَدُ. الْوَاحِدُ. الأَوَّلُ. الأعْلَى. المُتَعال. الخالِقُ. الخَلاَّقُ. الرَّزَّاقُ. الْحَقُّ. اللَّطِيفُ. الرَّءوفُ. الْعَفُوُّ. الْفَتَّاحُ. المَتِينُ. المُبِينُ. المُهَيْمِنُ. الْبَاطِنُ. الْقُدُّوسُ. المَلِيكُ. المَلِكُ. الأكْبرُ. الأعَزُّ. السَّيِّدُ. سُبُوحٌ. وِتْرٌ. محسَانٌ. جَميلُ. رَفِيقٌ. المُسَعِرُ. الْقَابِضُ. الْبَاسِطُ. الشَّافِى. المُعْطِى. المُقَدِّمُ. المُؤَخِّرُ. الدَهْرُ.

فهذه ثلاثة وثمانون اسمًا وما وجدنا صحة لما بقى من التسعة والتسعين نقلاً.

(قال) ابن حزم الحافظ لما لم نجد من الأسماء إلا ما ذكرنا وقد جاءت أحاديث فى إحصاء التسعة والتسعين اسمًا مضطربة لا يصح منها شىء أصلاً أتيت بها فى قصيدتى على حسب ما ذكرها الحافظ فى كتاب المجلى فى باب الإيمان منه فقلت وجعلت آخر كل بيت من القصيدة اسم الله تأكيدًا إذ هو الاسم المنعوت بكل اسم ولا ينعت به فإنه جار مجرى أسماء الأعلام إن كان قد تكلم فى اشتقاقه والأصح أنه اسم علم يدل على الذات المسماة بأسماء الاشتقاق من أسماء وأفعال وصفات ونعوت وهذه المذكورة عندنا هى الأسماء التى سمى نفسه بها من حيث إن له كلامًا بقوله كلم الله موسى تكليما فأكده بالمصدر.

﴿وهذه القصيدة والحمد لله﴾

إذا جاءتِ الأسـماء يـقدمُـها اللهُ فَعَظِّمْـه بالذكرى وقلْ قلْ هُوَ اللهُ

ألا إنه الرَّحمنُ فى عرشـهِ استوى ولو كان ألفَ اسْـمٍ فذاكَ هُوَ اللهُ

وَقَالُوا لنا باسْمِ الرَّحيمِ خـصصتمُ بآخـرةٍ فـانـظر تجـدْه هو اللهُ

ركنـتُ إلى الاسمِ العـليمِ لأنـنى عليمٌ بما قـد قـال فى العـالم اللهُ

يُرتِّـبُ أحـوالـى الحكيم بمـنزلٍ يُؤَيدنـى فـيـهِ وجـودٌ هوَ اللهُ

أتتنى كَراماتٌ فـقُلْتُ مِن اسْمِه الـ ـكريمُ أتانى فى وجـودى بِهَا اللهُ

إذا عظَّمـونِى بالعَـظيم رأيتـهُمْ أخـلاءَ وُدٍّ اصطفـاهمْ لهُ اللهُ

لقـدْ قـامَ بالقَـيُّومِ عـالٍ وسـافلٌ إليـه التجـاء الخلقِ سُـبحـانَه اللهُ

وقـد نُصَّ فـيـه إنه الأكـرم الذى إليـه مَـرَدُّ الأمـرِ والـكافلُ اللهُ

ألا إننى باسمِ الـسَّـلامِ عـرفْـتـهُ وقـد قـيلَ لى أنّ السـلامَ هوَ اللهُ

رجـعتُ إليـه طالبًـا غَـفْـر زَلَّتِى فـراجـعنى التـوابُ إنِّى أنَا اللهُ

ونادانىَ الـربُّ الذى قـامـنى به أجـبتكَ فـيمـا قدْ سـألتَ أنا اللهُ

إذا جـاءنى الوهـابُ ينعم لا يرى جـزاءً عـلى النعـمـاءِ ذلكمُ اللهُ

فكنْ مـعهُ تحـمدْ على كلِّ حـالةٍ ولا تخف الأقصـاءَ فالأقربُ اللهُ

لقـد سمع الله السـميعُ مقـالتى بأنى عـبـدٌ والسـمـيع هو اللهُ

إذا ما دعوتُ الله صِـدقًا يقول لى مـجيـبٌ أنا فاسـألِ فـإنى أنا اللهُ

أنا واسعٌ أعطـى على كلِّ حـالةٍ كـفـورٌ أو شكّـارًا لأنى أنا اللهُ

فقلت له أنت العزيزُ فقال لى: حماىَ منيعٌ فالعزيزُ هوَ اللهُ

عجبتُ لهُ منْ شاكرٍ وهوَ مُنْعِمٌ ومنْ يشكرِ النَّعْماءَ ذاكَ هوَ اللهُ

هو القاهر المحمودُ فى قهر عَبْده ولولا نزاعُ العبدِ ماقالهُ اللهُ

وجاء يصلى إذ علمنا بأنه هوَ الآخرُ الممتنُّ والآخرُ اللهُ

هو الظاهر المشهودُ فى كلِّ ظاهرٍ وفى كلِّ مستورٍ فمشهودُكَ اللهُ

لهُ الكبرياءُ السارُّ فى كلِّ حادثٍ فلا تمترِ إنَّ الكبير هو اللهُ

ويعلمُ ما لا يعلم إلا بِخِبْرَهِ لذا قال حىّ فالخبير هو اللهُ

ومنْ ينشئ الأكوانَ بدءًا وعودةً فذاكَ قديرٌ والقديرُ هوَ اللهُ

ومنْ يَرَنِى أشْهدُ لنفسى بأنهُ بصيرٌ يرانى والبصيرُ هوَ اللهُ

يبالغ فى الغفرانِ فى كلِّ ما يرى منَ السوءِ منى فالغفورُ هوَ اللهُ

يبالغ فى شُكرى إذا كنت عاملاً ولا فعل لى إنَّ الشكورَ هو اللهُ

إذا سَتَر الغفارُ ذَاتكَ أنْ ترى مخالفةً فاشكرهُ إذْ عصمَ اللهُ

وما قهر القهارُ إلاَّ منازعًا بدعواهُ لا بالفعلِ والفاعلِ اللهُ

وما ذكرَ الجبارُ إلا منْ أجلنا ليجبرنا فى الفعلِ والعاملِ اللهُ

نزولٌ من أجلى كونهُ متكبرًا بآلة تعريفٍ وهذا هو اللهُ

بآلةِ عهدٍ قلت فيه مصوّرٌ لنا فيه والأرحامُ إذْ قالهُ اللهُ

وإنَّ شؤونَ البرّ إصلاحُ خلقه لمنْ يطلبُ الإصلاحَ فالمحسنُ اللهُ

بمقتدرٍ أقوى على كلِّ صورةٍ أريدِ بها فعلاً ليرضى بها اللهُ

ألَمْ ترَ أنَّ الـلهَ قـــدْ خلقَ البـــرا   وأنشـأ منه الـناسَ فـالبـارىءُ اللهُ
وكلٌّ عليٌّ فى الـوجـودِ مـقـيَّـدٌ   سـوى من تعالى فـالعلىُّ هوَ اللهُ
وكلٌّ ولى مـــا عـــدا الحق نازلٌ   فليـس وليًـا فـــالـولىّ هو اللهُ
لنا قـــوةٌ من ربنا مـــســتـــعـــارةٌ   فنحنُ ضِـعـافٌ والقـوىُّ هوَ اللهُ
ولا حىَّ إلا مَنْ تكـون حـيـــاتهُ   هَويتـــه والحىُّ ســبـحـــانه اللهُ
فـعـيلٌ لمفـعـــولٍ يكون وفـاعلٌ   كـذا قيل لى إنَّ الحـميـدَ هو اللهُ
يمـجدهُ عـبـدُ الهوى فى صـلاتهِ   على غـيرِ عـلم والمجيـدُ هو اللهُ
تحـــبَّبَ لى باسم الودودِ بجـــودهِ   فـــأثـبتَ عندى جـــودَه أنهُ اللهُ
لجـأتُ إليـــهِ إنه الصـمـــدُ الذى   إليـه التجـاءُ الخلقِ والصَّمَـدُ اللهُ
ومـا أحـد تعنو لـه أوجـه العُلى   سـواه كـمـا قـلناه والأحـد اللهُ
هو الواحد المعـبود فى كلِّ صورةٍ   تكون لـه مَـــجْلَى فـــذلِكُم اللهُ
أنا أوَّلٌ فى الممـكناتِ مـقـيـــدٌ   وإطلاقـــهـــا ألـله فـــالأول اللهُ
أقـولُ هوَ الأعلى ولكنْ لغيـرِ منْ   وإنْ قلت من فافهم كـما قاله اللهُ
هوَ المتـعالى لـلذى جاء منْ ظمـا   وجوعٍ وسـقيمٍ مـثلّ ما قـالهُ اللهُ
يقـــدِّرُ أرزاقًـــا ويوجـــدهـا بنا   كما جاءَ فى الأخـبارِ فالخالقُ اللهُ
وإن جـاء بالخـلاقِ فـهـــو بكوننا   كَثـيرينَ بَالأشْخَـاصِ والموجِدُ اللهُ
ولا تطلـب الأرزاقَ إلا من الذى   تســـمـــيـــهِ بالـرزاقِ ذلكمُ اللهُ
هو الحقُّ لا أكنـى ولستُ بملغـــزٍ   ولا رامـــزٍ والحـقُّ يعلمـــهُ اللهُ

لقـد جاءَنى حُـكْمُ اللطيفِ بذاتِه ... وإن كـان مِنْ أَسْـمائه فَـهُـوَ اللهُ
رؤوفٌ بنا والنهـىُ عن رأفـةٍ يكنْ ... بحـاكمنا فى الزانى إنْ حـده اللهُ
عـفـوٌّ بـإعطاءِ القليـلِ وإنْ يكن ... كـثـيـرًا سـواءً هكذا نصـهُ اللهُ
إذا جـاءك الفـتَّـاحُ أبْشِـرْ بِنَصْـرِه ... وإنَّكَ مَـدْعُـوٌّ كـمـا حكَمَ اللهُ
فـإنَّ لـهُ حكمَ المتـانةِ فى الورى ... وأنت رقـيقٌ فـالمتـينُ هو اللهُ
وأنت خَـفِىٌّ فِى ضـنائنِ غَـيْـبه ... ولستَ جليًـا فـالمبـينُ هو اللهُ
تأملْ إذا مـا كنتَ بـاللهِ مـؤمنًا ... منَ المؤمنُ الصـديقُ فـالمؤمنُ اللهُ
ولا تختـبـر حكمَ المهـيمن إنه ... شـهيـد لما قـد كان والشـاهد اللهُ
جـلاهُ لَنا مِنْ بَاطِنِ الأمر حُكْمُـه ... هوَ البـاطِنُ المجهولُ فـالمدرِكُ اللهُ
يشاهد فى القُـدّوسِ فى كلِّ حالةٍ ... أكـونُ عليهـا فـالشَّـهِيـدُ هوَ اللهُ
شـديدٌ إذا يُدعى المليـكُ بحكمـه ... على خلقـه فـانظره فالحـاكمُ اللهُ
كـمـا هو إنْ نَكَّرْتَه وأزلـتـه ... عنِ اليـاء فـأقصـرهُ تجـد هوَ اللهُ
وكـبـرهُ تكبـيـرًا إذا مـا ذكـرتنا ... بهِ حـاكـمُ اللهِ والأكـبـرِ اللهُ
ومـا عـزَّ منْ يفنـيـهِ برهانُ فكرهِ ... وقـدْ عـزَّ عنهُ والأعـزُّ هوَ اللهُ
هوَ السَّيـدُ المعلومُ عندَ أُولِى النُّهى ... وجـاءتْ بهِ الأنبـاءُ والسيـدُ اللهُ
إذا قلت سُـبُّـوحٌ فـذلكم اسـمـه ... لما كـان مـن تنزيهكم وهو اللهُ
كـمـا هو وتـر للطلابِ بشـاره ... لكـلِّ شـريـكٍ يدعـى أنهُ اللهُ
وقلْ فيـه مِحْسـانٌ كما جـاءَ نصهُ ... بألسنـةِ الأرْسَالِ فـالمحـسنُ اللهُ

جميلٌ ولا يَهْوى من أعجب ما يُرى | فقالَ لى المجلى الجميلُ هوَ اللهُ
ولما علمنا بالبراهينِ أنهُ | رفيق بنا قلنا الرفيقُ هو اللهُ
لقد جاءنى باسْم المسعَّر عَبْدُه | محمد المبعوثُ والمخبرُ اللهُ
وفى قبضةِ الرحمنِ كانتْ ذواتنا | معَ الحدثِ المرثىِّ والقابضُ اللهُ
ويبسطُنا عند الكثيبِ لكى نرى | على جهة الانعام فالباسطُ اللهُ
كما أنهُ الشافى لسقم طبيعتى | كما جاءَ يَشْفِينى وإنْ أسقمَ اللهُ
كما أنه المعطى الوجودَ وما له | منَ الحقِّ خلقًا هكذا قالهُ اللهُ
ولما أتى داعى المقدّم طالبًا | تقدمَ منْ يدعو منَ العالمِ اللهُ
ومنْ حكمه باسمِ المؤخرِ لمْ أكنْ | على حكمه الهادى كما قد قضى اللهُ
هُو الدهرَّ يقضى مَا يَشَاءُ بِعِلْمِهِ | على كلِّ شيءٍ منه يَعْلَمُه اللهُ
فهذا الذى قدْ صحَّ قدْ جئتكمْ بهِ | وقدْ قالتِ الحفاظُ ما ثمَّ إلا هُو
ونعنى به فى النقل إذ كان قد روتْ | بأنَّ لهُ الأسماءَ منْ صدقِ دعواهُ
وقيدها فى تسعةٍ لفظهُ لنا | وتسعينَ منْ أحصاها يدخلُ مأواهُ
وما هوَ إلا جنةٌ فوقَ جنةٍ | على درج الأسماء والخلد مثواهُ

﴿وقال أيضاً فى حال يخاطب فيه الحق فى تجلى قلبى بسبب﴾

أنْتُمْ لِكُلِّ فَضِيلةٍ أهْلُ | وأنَا لِكُلِّ رَذِيلةٍ أَصْلُ
فَافْعَلْ وأفعَلْ فالفُروعُ بأَصْلِهَا | فالكُلُّ يَفْعَلُ مَا هُو الأهْلُ

﴿وقال أيضاً فى نظم التوشيح وهو أقرع﴾

﴿دور﴾

حَقَائِقُ القُرْبِ رؤيَةُ الملِكِ

وهُوَ حِجَابُ المُهَيْمِن الملك

إذا انْجَلى عَنكَ غَيْهَبُ النَّفْسِ

وَهَب عُرْفٌ مَنْ رَوْضَةِ القُدْسِ

فَأَنْتَ ألحَانُ بِلاَ نَحِسنٍ

عَلَى الأوْثَانِ ولَمْ تُثْنِ

﴿دور﴾

يَا أيُّهَا الطَّائِفُ الَّذِى طَرَقَا

لَيْتَ النَّوى لِلمحُبِّ مَا خلَقَا

فَهُو إذَا مَآ حَبِيبَه انْتَزَحَا

يَرُوضُ طَرْفًا لاسمه جَمَحَا

فَيَا إخْوَانُ هُبُوا جَفْنِى

كَرَى السُّلْوانِ عَسَى يُدْنِى

﴿دور﴾

لله عَـــبْـدٌ مَـــشَى عَلَى عَـــجَلِ

لِقَـابَ قَـوسَـيْن مَـشِى مُـقْـتَبلِ

يَشُـقّ جُنْحَ الظَّـلامِ فى طَلْقِـــه

مُـرْتَديًا ثَـوْبَ فـمـتى غَـسْــقَـهُ

عَلـى كِـــتْـــمَـــانِ مِـــنَ الـــدُّجَـــنّ

لَـعَـلّ الْمـسَـــــان يَـــرَى مِـــنِّـــى

﴿دور﴾

نَـادَانِى الحَـقُّ مِنْ طَـوَى خَلَـدى

وَلَمْ يُعَـرِّجْ فِـيـــهِ عَلَى الجَـسَـدِ

يَا فَــرْحَـــةَ القَلْبِ بالمـنَاجَـاةِ

وحَـــسْـرَةَ الـنَّفْسِ بِالغَــيَـابَاتِ

فَـــــــــهَـلْ مَـنْ بَـانَ كَـــــــــمَـنْ تُـكْـنـى

عَـنِ الـرَّحْـــــــــمَـنِ عَـــــــــنْ الأذنِ

﴿دور﴾

أنَا مُـحِـــبْى وَحُـبِّى المَحْــبُـوبُ

وَطَـالِـبى والطَّـلابُ والمَـطْلُـوبُ

أنْشُـدُ مِنْ غَـيـرةٍ وقَـد هتكَا

مِنْى نَـسِـيمُ الرِّيَاضِ مَـآ هُـتِكَا

يَـا عُـــودَ الـزَّانِ قُـم سَـاعِـدْنـى

طَـابَ الـرُّمَـانُ لِـمَـنْ يَـجْـنِـى

﴿وقال أيضًا من نظم التوشيح الأقرع﴾

﴿دور﴾

مُـتَـيَّمٌ بالجَـمَـالِ قَـدْ شُـغِـفَـا

قَد امْـتَطَى السّـهدِ فـيهِ والأسَـفَا

حـتى إذا مـا انتـهى له وقـفـا

يَشْكو الجَـوى والـسُّـهَـادَ والخَـيـلاَ وَدَمْـعَةُ فَـوْقَ خَـدِّهِ انْهَـمَلا سَـالاَ

﴿دور﴾

يَا حُـسنَهُ والـظَّلامُ قَـدْ نَزَلاَ

يَتْلو كِـتَـابَ الحَـبِيبِ مُبْـتَـهِلاً

وَدَمْـعُـه لا يَزَالُ مـنْهِـمَـلا

حَـتَّـى إذَا مَـا صَـبَـاحُـه اتَّـصَـلاَ بِلَيْلـهِ والظَّلامُ قَـدْ رَحَـلاَ مـالا

﴿دور﴾

لا عُـذْرَلى فى غَـداىَ يا كَـبـِدِى

إذا لَقِــيتَ الحــبـيبَ فِـى الخُلدِ

وأنْتَ تَشْكُـو صَـبَــابة الكَمَــدِ

وَلَمْ تَـذُوبِى شَــوقًـــا إلَيْـــهِ وَلاَ   كُلُّ مَنْ ذَابَ فِـيه أو وَصَـلاَ   غالا

﴿دور﴾

عَجِـبْتُ مِنْ لَوعَتِى وَمِن كَـمَدِى

وَمِنْ عَنَـاءِى وَمِنْ قُــوَى جَلَدِى

وَمَنْ بِهِ قَـدْ شُـغِـفْتُ فى خَلَدِى

فَـــسلْ بِهِ يـا فُــؤادِ إنْ وَصَــــلاَ   فكُل مَنْ بِالْمُهَـيـمنِ اتَّصَلاَ   صـالا

﴿دور﴾

إنْ كَـــانَ لاَبُـدَّ بين المَحـــتُـــومِ

حَـسْبى اتِّصَـالُ العُلُـومِ بالمَعْلومِ

فَاسْـتَمِعُـوا جِيرتِى شَـدَا المَحرُومِ

أوْ دَعِنِـى يَوْم بَـيْنـهِ خَــــبَــــلاً   لاَ صَبْر لِى بَعْـدَهُ وَقَد رَحَلاَ   لالا

﴿وقال أيضاً من نظم التوشيح ذى الرائس﴾

﴿دور﴾

أطوَى لِـى المُهَـــيْـمـنُ الطُّرُقَـــا عَـــسَـــاكَ يَـوْمًـــا نَحـوَهَـا تَرْقَى

﴿دور﴾

عـــزيزةُ الإنســـانِ قـــد ذلتْ

عَـسَـاكِـرُ الأحْـــوالِ قَـدْ حَلَّتْ

أهلَّـة الأســـرارِ قـــد جلَّتْ

وصـــيِّـــرتْ قلبـى له شَـرْقـــا وأضلـعى لبـــدرهـا أفـــقَـــا

﴿دور﴾

اخْـــرِقْ سـفـــينَ الحسِّ يـا نائم

واقـــتلْ غـــلامًـــا إنك الحـــاكم

ولا تكـنْ للحـــائـطِ الهـــادمْ

وافـتـق سـمـواتِ العـلى فَـتْـــقًا وارتقِ أراضى جـــســـمـــهـا رتقَـــا

﴿دور﴾

سـفـينةُ الإحـــســـاس أخْـرِقْـهـا

وعُـــروةُ الشَّـــيطـانِ أوثقـــهـــا

وصـــورةُ الإنســـانِ أطْلِقْـــهـــا

وهمْ بهـــا فى ذاتهِ عـــشـــقـــا وناده رفـــقًـــا بهـــا رِفـــقَـــا

﴿دور﴾

خليــفَــةُ الرحْـــمن قَــدْ جَـلاّ

عن أنْ يرى بالسِّـــجْنِ قـد حَـلاّ

أو مُـــــــدبِـرًا عـنه إذا ولّـى

قـــــدْ أحكـمَ اللـهُ بهِ الخَـلْقـــا فـــجلَّ أنْ يـحــولَ أو يَـشْـــقى

﴿دور﴾

يا ســـائلاً عن كنهِ مـــا أجـــملْ

من حبٍّ مـولى لـم يزل يحـملْ

فَــقُـمْتُ أشْــدُوه كَـمـــا أنزل

أَلْقَى الـهَــوى بِالـقلبِ مـــا أَلْقى فـــلا تـسلْ عنْ كُـنهِ مـــا أَلْـقى

﴿وقال أيضاً﴾

مِنْ نَظمِ الزَّجلْ وهُو لحُسنِ العَوام يَذْكُرْ فيه ألفاظَ الجوَاهِرِ لأبى حَامِد

﴿مطلع﴾

يا طالبَ الـتَّـحَـقُّقِ انـظرْ وجـودكَ ترى جـميع الناس عـبـيدَ عـبيـدِك

﴿دور﴾

قعدتُ فى ساحلِ البحر الأخْضَر

أرْمَتْ لى أمـواجُـه الدرَّ الأزْهَرِ

فقلتُ لا تفـعلْ ياقوتى الأصـفرَ

وارمِ فـيـــه تطلع إلـى مـحــيـدك

﴿دور﴾

أرمـات لى فـالحَـينُ معْ دُرٍّ أكْـهَبِ
فـقلـتُ أَوفِـينى عنبــرك الأشْـهَبْ
قالتْ نَعمْ إنْ كُنْت تعـمل لى مركب
مِنْ عُـــودِك الفـوّاحِ وخـــذ نزيدك

﴿دور﴾

زبرجَدكَ أخـضرَ ومـسكك أذفر
ودرّياقك الأكـــبَـرُ الله أكـــبـر
فـــأنا والمطلوب وقـــال وعـــزر
لـــنْ تـرونـى قُـلْ إلـيـكَ نـريـدك

﴿دور﴾

وأمْشِى على الساحلِ وأطلب وافتش
ياقـــوتـى الأحــــمـــر لعلَّ تـنعش
فـإنْ لقيتُ إنسـانًا أعمى أو أعـمش
وقـالَ: لمنْ تـطلبْ فـقلْ لِسَــيِّـدك

﴿دور﴾

يا طالبَ الصـنعـةِ دبِّر حَـيـاتكْ

وانظر إلى الإكسير على صفاتِكْ

تجـــدْه من ذاتك يســـرى لذاتكْ

مـــربعَ التَّـركِـــيبِ على وُجـــودك

﴿دور﴾

كـبـريتُك الأحمـر لقـد مـعلوم

وهوَ على التحقـيق أَجلٌ معدوم

خَفِيٌّ ظهر للعين مرموزٌ ومفهوم

فَـــذَابَ قَـــدْ بَانَـتْ حَـــوارِ وَيدْك وَعِـمْتَ أسْـرَارَه أرْكَـــان جَـدِيدِكْ

﴿دور﴾

العَـــبْـــدُ إذَا فَـرَّطَ لا بـدَّ يندَم

ويعـمـلُ الحـيلَةَ ولا يفـــيـدُ ثم

فقلتُ: قـال قَبْلك مَنْ قـدْ تقدَّم

مَنْ لوَّ العَـاشِـور انْظُرْ فَـعِـيـدُكَ الحِيلَة وَقْتَ الضِّـيِّقِ مَا لَيْس يُفـيدَكْ

﴿وقال أيضاً﴾

ما فى الوجودِ اختيارٌ عندَ منْ شهدا ... وكيف يُنكرُ ما فى الكَوْن قَدْ وُجِدَا

وقدْ أتاكَ بهِ القرآنُ فى سُورٍ ... يدرى بها عندما تُتْلى الذى جحدَا

لذاكَ قيدتْهُ بذى الشُّهودِ فلا ... تَزِد عليه ولا تشركْ به أحدَا

فَمَنْ أجوزُ وما فى العلمِ من أحدٍ ... سوى الإله الذى فى خَلْقِه شهِدَا

الصُّورُ صُورهمُ والخلقُ عينهمُ ... نعم وصورتهم حقًا كما وردَا

لأنه سَمْعُنا بل كَان نَشْأَتنا ... روحًا وصورةَ جسمٍ لا تقلْ جسدَا

فما يخاطبه إلا حقيقتهُ ... مقصودةٌ عينهُ وهوّ الذى قَصَدَا

ما ثَم غَيْرٌ فتفنيه هَوِيتُه ... لذاكَ جاءَ بأنَّ الحقَ ما وُلِدَا

ولا تولَّدَ عَنْ شَىءٍ تقدّمه ... فبالوجودِ القديمِ الحادث انفردَا

﴿وقال أيضاً﴾

الله أنزلَ نوراً يُستضَاءُ به ... على فُؤاد نبىٍّ سَرَّه اللهُ

أتَى بِهْ رَوحه من فَوْقِ أرْقِعَةٍ ... سبعٍ إلى قلبهِ والسامعُ اللهُ

منه إليه به كان النزول له ... فليس فى الكَوْنِ إلا الواحدُ اللهُ

والجسمُ والعرَضُ المشهودُ فيه وما ... فى الغَيْب ما إنْ تَراه ذَلك اللهُ

ولا تناقضَ فيما قلتهُ فأنا ... عينُ الكثيرِ وعَيْنى الواحد اللهُ

من أعجبِ الأمر أنَّ الحكْمَ مِنْ عدم ... فى عينِ كَونٍ فأين العبدُ واللهُ

فالعينُ تَشْهدُ خلقًا جاءَ مِنْ عَدَمٍ والأمْرُ حَقًّا وعين المبصرِ اللهُ

لهُ اليمينُ لهُ العينانِ فى خبرٍ أتى به منه والآتى هو اللهُ

فالحكم لى وله عينُ الوجودِ وما للعينِ مِنّى وُجودٌ بل هو اللهُ

فانظرهُ فى شجرٍ وانظرهُ فى حَجَرٍ وانظرهُ فى كلِّ شىءٍ ذلكَ اللهُ

كلُّ الأسامى لهُ إنْ كنتَ تَعْقلهُ هوَ المُسَمَّى بها فكُلُّها اللهُ

فلو يقول جهولٌ قد جَهِلت وما باللهِ جهلٌ فما كونى هو اللهُ

فقلْ لهُ ذاكَ حكمُ العينِ فيهِ ومنْ يدرى الذى قُلْتُه بأنه اللهُ

ما ثمَّ واللهِ إلا حيرةٌ ظهرتْ وبى حَلَفْت وإنَّ المقسِم اللهُ

لو كان ثَم وجودٌ ما هو الله لمْ ينفردْ بالوجودِ الواحدِ اللهُ

بل الحدوثُ لنا وما يتابعهُ وهذه نسبٌ والثَّابتُ اللهُ

ينوبُ عنا وإنَّا منهُ فى عَدمٍ ونحنُ نشهدُه والشَّاهدُ اللهُ

﴿وقال أيضاً﴾

إنَّ الزمانَ الذى سَمَّيتهُ بفنا هوَ الزمانُ الذى سميتهُ بفنَا

هذا الزمانُ إذا فكرتَ فيهِ ترى فى شانه عجبًا لم يتَّخذْ سكَنَا

مع طولِ صحبته لكلِّ طائفةٍ من الخلائقِ روحًا كان أو بدنَا

يذمهُ كلُّ شَخْصٍ إذْ يشاهِدهُ وإنْ مضى كانَ ما قدْ ذَمَّهُ حسنَا

ما أنصفَ الدهرَ خلقٌ من بريتهِ وهوَ الذى يورثُ الأفراحَ والحزنَا

فـينظرونَ الذى قـدْ أسـاءَهُم أبدًا　　وينظرونَ وجــودَ الخـيــرِ والمِننَا

فـيسـترون الَّـذى قد سـرَّ أكْثَـرُه　　ويجـهـرونَ بما قـدْ سـاءهمْ عَلَنَا

فـــداه خــالقـــه بنفـــســـه فلذا　　يقــولُ إنى أنا الدهرُ الذى امتـحنَا

﴿وقال أيضاً﴾

لاَ تَنْدَمَنَّ عَـلَى خَـيْـرٍ تجُــودُ به　　وَإنْ أغَـاظَكَ مَنْ تُعطِيه واقْـتَرَفَـا

فَـاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يُعْطِـيـه نِعْـمَـتَـه　　سَـواءٌ أمكْره كُـفْـرًا أو اعْـتَـرفَـا

﴿وقال أيضاً﴾

الحكمُ حكـمُ الجبــرِ والاضْطرارِ　　مـا ثَم حُكْمٌ يَقْتَـضى الاخـتيـارْ

إلا الذى يُـعـــزى إلينـا فَـــفى　　ظاهـرِه بأنـه عن خـــيـــــارْ

كـمـثلِ مـا يُعْــزَى إلى خـالقِى　　وعَـرْشُنا عَـنْ عَـرْشـه فِى ازْوِرَارْ

لو فَـكَّرَ النَّـاظِرِ فـــيـــه رَأى　　بأنَّـه المخــتـــارُ عنِ اضْـطرارْ

لـلـكـلِّ هـذا ثـابـتٌ لا تـقـل　　بأنه خـــاص بنـا مُـســتَــعَــارْ

فـــالعلمُ مـــا يَتْبِـع مـعلومُـــه　　فـــالحكمُ للســـاكنِ مـــثلُ الّديارْ

لا تعــتبِ العـــالمِ فى كلِّ مـــا　　يكونُ فـيـهِ مـنْ غنىً وافـتـقـارْ

ولا الـذى أوجـــــــــده إنـه　　يحكـم بالعلـمِ فـــأين الـفـــرارْ

حِـرتُ وحـار الأمْرُ فى حَـيْـرتِى　　فلـيلزمِ العــــالـمُ دارَ القـــرارْ

وَلْيَـــــرْتَـضى بمـا له لا يَـزَدِ على رضـــاهُ إنَّـهُ فى تبـــارْ

لا يعـلم الحقَّ ســـوى واحـــدٍ يقـــضى على الحكـامِ بالاضطرارْ

ألا ترى القـــاضى فـى حُكْمـــه بمقـتـضَى الشَّـرعِ فـأينَ الخيـارْ

مـــا أقـلقَ العـــالـمُ إلا الذى قـــامَ بهِ مـن حكمـــةِ الانـتظارِ

هذا هـوَ الفـــــصلُ الـذى بيـنهُ وبين مـن يفـــعل بـالاقْـــتِـــدارِ

﴿وقال أيضًا فى حرف الألف﴾

انظر إلى الحقِّ من مَدْلولِ أسـماءٍ وكـونُه عَـيْن كُلِّى عـينُ أجْـزائِى

إن كان ينصفنى من كان يَعْرف ما يبدو إلـيه من إعراضى وإنْـحائى

أسـماءُ ربِّى لا يحـصى لها عـددٌ ولا يُحـاط بها كـمـثل أسْمَـائِى

إنْ قلتُ قُلْت به أو قـال قـال بنا تداخل الأمـــر كـالمرْئِىِّ والرَّائِى

العـين واحـدةٌ والحكم مُـخْـتَلِف فـانظر به منك فى تَلْويحِ إيمَـائِى

النـور ليس له لـونٌ يمـــيِّــزُه وبالزُّجَـــاجِ له الألوانُ كَـــالماءِ

الماء لـيس له شكـل يقَـــيِّـــدُه إلا الوعـاءُ فـى تَقْـيِيـــدِهِ دَائِى

الداء داءٌ دفـــينٌ لا عــــلاجَ له كـيف العلاجُ ودائى عـينُ أدوائى

أروم بُـرءًا لـداءٍ لا يـزايــلُـنـى هيـهاتَ كـيف يُداوى الدَّاءُ بالدَّاءِ

أقـــولُ بـاللاَّمِ لا بالبــــاء إنَّ لنا شخـصًا ينازِعُنِى فى القَـوْلِ بالبَاءِ

﴿وقال أيضاً فى حرف الباء﴾

بالَّذِى قـلتَ إنه عـيـنُ مَـا بِى ... مِنْ سُـؤالٍ ومَنْطِقٍ وجَـوَابِ

بَرْدُ اليـومَ عنْ فـؤادِى غَلِيـلاً ... فَـقَـبْـولِى عليـه عَـيْنُ انْقِـلاَبِى

بِوُجُـودِى عَـرَفْـتُـه وبِنَفْـسِى ... فـهـوَ منهـا بِنَا كَـحَـشْـوِ إهابِ

بانَ عنى فـقلتُ بان حَـبِـيـبِى ... فـأرانى فى البُعـدِ عـينَ اقْتِـرَابِى

بنـتم قـال لا ولكن جَـهِلـنا ... فلذا مـا يَقُـولُ مـا بى ومَـا بِى

بالهـوى فـزتمُ وشـاركْـتُـمُـونى ... فى اسْم حـبىّ والشَّـوقُ لِلغيـابِ

بِعْـتُمُ الرُّشْـدَ بالغـوايةَ فـينا ... وهوَ رشـدُ الهُـداةِ والأحْـبَـابِ

بدرة أنت بالـكمـالِ فـمـا لى ... قلتُ بالنَّـقْصِ إننى فى حِـجـابِ

بحـجـابى عـلمتُ أنِّـى لما ... جـئتكمْ جـئـتكمْ بأمـرٍ عُجـابِ

بيـنوا أمـرنا لكـل لبـيبٍ ... فى كـلامٍ إنْ شـئـتمُ أو كـتـابِ

﴿وقال أيضاً فى حرف التاء﴾

توليتُ عَنْـهَـا طاعَـةً حـيثُ ملَّت ... فيـا ليتَ شِعرى بَـعْدَنا هل تولّتْ

تأملتُ خلفى هلْ أرى رسمَ دارِهَا ... فقـالتْ ظُنونى: لا تخفْ ما تخلَّتِ

تمتْ إليـنا وهى تَهْـجُـر ذَاتـنا ... فأفنى وُجـودى عَينَها فاسـتقلَّتِ

تغـافلتُ عنهـا مـذُ علمتُ بأنَّهـا ... إذا بنتُ عنهـا أنهـا وجـه قـبلتى

تعـجـبتُ منى ثم منهـا لعلمـهـا ... وجـهلى لَمَّا أنْ ضَلَلْـتُ وضلَّت

تُرى لَيت شِعْرى هل تَـرى العِلْمَ حَيْرَة وباِلجـهلِ عـزَّتْ ثمَّ بـالعلمِ ذلَّتِ

تخـاطِبُــهـا منى سـرائـرُ ذَاتِهـا فمـا أنا منها غيـرَها حَيثُ حلَّتِ

تولَّت وما بَانت وبانت وما مَشَتْ لأنى مَـعْلُولٌ لهـا وهىَ عِـلَّتى

توهمت فـيـها حـين قلتُ بأنهـا هى الشَّرط فى كَونى وكـان لِغَفْلَتى

تعـاليتِ يا ذاتِى فَـمـا ثَمَّ غـيـرُنا وما هىَ عينى فاعلموا أصلَ حَيْرتِى

﴿وقال أيضاً فى حرف الثاء﴾

ثلاثةُ أسْـمـاءَ تـكوَّنَ بينـهـا على مـا تَراه العينُ شكلٌ مُـثلَّثْ

ثوى فى جِنانٍ راحـلاً ومـودِّعًا لأمـرٍ منَ الغيبِ الإلهىِّ يحـدثُ

ثَنَيتُ عَنانَ الفكـرِ فيـه فَلَمْ أصب إلى أنْ أتانى الروحُ فى الرَّوعِ ينفثُ

ثبتّ له حتى إذا مـا انقضى الَّذى أتانِى بهِ عَـيْـنًا فـقـمتُ أحـدِّثُ

ثناءً علـى اللهِ الذى خـصَّـه بما جَرى عندَ نسـيانٍ فلمْ يكُ ينكثُ

ثمـال لأسـمـاء إلَهِـيَّـةٍ بدتْ بسلطانهـا فـهـو الإمام المحـدِّثُ

ثقلت بهذا الجِسْمِ عن نَيْلِ مطلبى مـدى هذهِ الدنيا إلى حـينِ أبعثُ

ثنانى عليـهِ فـارحًـا لا مـجـاهدًا لذا أنا مـسـموعٌ إذا مـا يُحَـدثُ

ثقيلٌ على الأسـماعِ ما جئـتها بهِ وفى الأرضِ والأفلاكِ والكلُّ مـحدثُ

ثمـانيـةٌ حـمـالةٌ عـرشِ ذاته أنا وصفاتى بل أنا العرش فابحثوا

﴿وقال أيضاً فى حرف الجيم﴾

جَـميلٌ ولا يهـوى جَلىّ ولا يرى ... لقدْ حارَ فيهِ صَاحِبُ الفكرِ والحجَجْ

جَنيتُ بمصـحوبٍ على كل حـالةٍ ... تُحَـيِّـره الأمـواجُ فى هذه اللُّججْ

جرى معه الفكرُ الصحيحُ إلى مدى ... فما غـابَ عنْ ثفٍّ ولا بلغَ البثجْ

جَميعُ النُّهى غَرْقَى شهودٌ أو فِكَرة ... فَفِى عـينهِ نفىُ العقـولِ معَ المهجْ

جـمعتُ لهُ ذاتى فـلمْ تكُ غيـرهُ ... فحرت فـما أدْرِى ثَوَّى فىّ أم خُرَّجِ

جَزى القدَرُ المحـتومُ فى كلِّ كَائنٍ ... بما هوَ فـيـهِ مـا عليـهِ به حـرجْ

جزى الله عنا من يجازى مـسيئنا ... على سوءِهِ حـسنًا فأصبحَ يبـتهجْ

جـزاءً وِفـاقًـا لا اتـفـاقًـا وإنهم ... يقولون بالتَّـوحيدِ والأمـرُ مزدَوج

جَنَيْنا عـليـه بالقـبْــولِ فَـأمْـرنا ... مَريجٌ فعـينُ الكون تبدو إذا مَرَج

جـماعٌ بأنثى قِـيلَ فيـها طبيعـةٌ ... تولَّـد منه كل مــــا دبَّ أو دَرَج

﴿وقال أيضاً فى حرف الحاء﴾

حـمــــداً لإلهِ يُقَــدِّسُ الأرواحـا ... باللامِ لا بالـبـاءِ والأشْـبَـاحَـا

حـمداً سـرى نحو المهـيمنِ سـرُّه ... لِيــشـاهـدَ الأقـلامَ والألْواحَــا

حَــيَــــاهً عند نـزوله فى لاَ ولاَ ... من شَـرَّفَ المشكـاةَ والمصـبـاحَـا

حــتى يراقـبَ نشــأةً ممزوجــةً ... ويواصِلَ الإمـســاءَ والإصـبـاحَـا

حـرٌّ عن الأغـيــارِ عـبـدٌ للذى ... جَلى إليـــه وَجْـهَـهُ الوضَّــاحَـا

حـــاذِرْ غـــوائلَ مكرهِ فى بَـسْطِهِ
لا تأمنِ الـرزّاقَ والفـــتّــــاحـــا

حنتْ إليـهِ ركـــائبٌ منْ شَـوقِـهِ
مَنَحَـتْـهُ فـتحَ البـابِ والمفْتَـاحـا

حـــاميم يـتلوها طواسمُ رَمْـــزِهِ
ليُـسَـخِّــرَ الأفـلاكَ والأرواحـا

حـــاربتُ مــنْ أهواهُ فـيـه بـأمـرهِ
لأحـصلَ الأكـسـابَ والأرباحـا

حتى أوافى الضـدَّ صُحبـةَ عاشقٍ
وأجـانبَ الـعـذّالَ والمنْصــاحـا

﴿وقال أيضًا فى حرف الخاء﴾

خـبـيـرٌ بما أبْدى عليمٌ بما أخْـفَى
علِىّ من التـفريغِ مِنْ كَـرمِ السَّخِّ

خَـــــفِىٌّ بما أبـداه من نـورِ ذَاته
عن العقلِ والأبصارِ فى عالمِ السَّلْخِ

خبرتُ وجودَ الكونِ فى كلِّ حالةٍ
فـعاينتـهُ قـدْ حازَ مـرتبـةَ المَسْخِ

خـؤونًا أمـينًا صـادقًا كـاذبًا ومـا
تقـابلتِ الأحـــوالُ إلاَّ من الطَّبْخِ

خُلقتُ لأمـــرٍ لا أقـوم بحَـــقِّـه
وذلكَ لاسـتـعـدادنا حـالةَ النفخِ

خُـصـصنا بأســماءِ الإله عنايةً
وبالصورةِ المثلى وأكـرمتُ بالنَّسخِ

خصـوصيةً جاءتْ من اللهِ تَبْـتَغى
كـرامةَ شـيخٍ نالهـا زمنَ الشـرخِ

خـــصـــيصُ به ذاكَ المقـــامُ لأنهُ
تولّد مـا بيـن العـفـارِ إلى المرخ

خفيفٌ معَ الطبعِ الشـقيلِ إذا مشى
يحوز طريقَ الشـاةِ والفيلِ والرُّخِ

خـبـيـئـة صـــافٍ كـرَّم الله ذاتَه
بهـــا فلهُ من نورِها ســورةُ الدَّخِ

﴿وقال أيضًا فى حرف الدال﴾

دَنا وتَـدَلَّى عـــبـــدُ ربٍّ ورَبَهُ … فلما الـتقينا لم أجِـدْ غيـرَ واحدِ

دوامًـا مع الدُّنيـا على كُلِّ حـالةٍ … وفى الساحة الأخرى بأعدلِ شَاهِدِ

دعوت به حتى إذا ما استجابَ لِى … رأيتُ الصَّدى يجرى فكنتُ كفَاقِدِ

دَوَوا بِى عليهِ كىْ أرى غيرَ موجدِى … لذاكَ أرَى بين السُّـهى والفَـراقِـدِ

دَعَـانى إليـهِ بالسُّـجودِ فـعندمـا … سَجَدْتُ له خَابَتْ لَـديه مَقَاصِدِى

ولا لكَ يا هذا حِـجَـابُكَ فلْتـقُمْ … بعـــزةِ مَـــعْـــبـــودٍ وذِلَّةِ عـــابِدِ

دُعيتُ فلمَّـا جِئْتُ أكـرمَ مجلسى … وقـــالَ لنا أهـلاً بأكـــرمِ واردِ

ومَشِيتُ لما قـد جَاءنى مِنْ خِطابه … وأطعـــمى ذوقًـــا لذيذَ المواعِـــدِ

دوامُ شُهُـودِ الذاتِ فيـه لِمَنْ درى … إذا مـا ابتـلاهُ الـلهُ سمَّ الأسـاودِ

دعِ الأمر يَجْرِى منه لا منك واتَّئِد … تكنْ فى عِدادِ المحـصنات الفرائدِ

﴿وقال أيضًا فى حرف الذال﴾

ذللْ وجـــودَكَ لا تـكنْ ذَا عِـــزَّةٍ … حـتى تصـيـرَ نَـشْـأتِيكَ جـذاذا

ذنبًـا عَظِيـمًـا قـد أتى وكـبـيـرةً … من يَتَّـــخِـذ غـيـــر الإلهِ مـلاذَا

ذَنْبَ ولا تعْـــد التـأخُّـــر واتَّضِعْ … إنَّ المذنبَ يَـثْـبتُ الأسْـــتـــاذا

ذابتْ حـــشَـاشَـتُـه وعمَّ بلاؤه … لَمَّا ســــــقــــــاه وابـلاً ورذاذا

ذهبـتْ به أيّامـــه فى غَـــفـلةٍ … إذ لم تكن عـينُ الثُّـبوتِ معـاذا

ذهبَ الَّذيـن يشـاهـدُونَ ذواتهُم ... وتَـسَلَّـلْوا مِـنْه إليــه لِـوَاذا

ذَبُّوا إلى الـعِلمِ الغـريبِ بـظاهرٍ ... لمْ يَبْـرحـوا فى ذاتهم أفْـذَاذَا

ذكَّـرَهمُ بوجـودهمْ فـى بُهـتِـهمْ ... حـتَّى يَروه مَـلْجَـأً وعِـيـاذًا

ذاك الإمـامُ ومـا سِواه فـسُوقَـةٌ ... فـإذا رأوهُ فــيـهِ قـالوا مَـاذا

ذُهِلوا بمجـلاه ولـمْ يكُ غـيـرَهمْ ... ليس القـديمُ مع الحديثِ يُحـاذَى

﴿وقال أيضًا فى حرف الراء﴾

رأيتُ وجـودَ الدُّورِ يُعطى الدوائر ... ويُعطى وجـودَ الدُّورِ فيـهِ الدوائرُ

رمـيت بأمـر لم ير العـقلُ مـثلَه ... بما أنَـا عَـلاَّمٌ بـه أنا حَـائِرُ

رَمَى بِى وجوهَ القـومِ ثُمَّ يقولُ لِى ... رميتَ وجـوهَ القومِ هل أنتَ ناظرُ

رأى نظرِى بالحق مَـا لَمْ يكن يَرى ... إلاَّ أنه الـرائى لمـا هُو سَـاترُ

رعى اللهُ منْ يرعـاهُ فى كلِّ حالةٍ ... وإنْ لمْ يكنْ ما قلتـهُ فهوَ خـاسرُ

رَقـيتُ بهِ حـتَّى ظهرتُ لمستـوى ... وجودى فقالَ الكشفُ ما هوَ حاضرُ

ربابةُ سـهـمِ الذمِّ صـيَّـرَ ذاتَنا ... ونحن إشـاراتُ السِّهـامِ الغَـوائر

ربا بفـؤادى عـينُ إيـمـانـهِ بنا ... وذلكَ كـفـرُ مـا هـوَ كـافـرُ

رأى الأمـرَ من قـبلِ الوقـوع لأنَّه ... يرى فى ثبوتِ العينِ ما هوَ ظاهرُ

رقـيـبًا علـيهِ غـائبًـا ثمَّ شـاهدًا ... فـما أنا مـقهـورٌ ولا السرُ قـاهرُ

﴿وقال أيضاً فى حرف الزاى﴾

زَمِّلونى زَمِّلونى لا تقلْ إننى الشهرُ الذى فى شَهْرِناز
زبرتُ شهرَ الذى قد زبرتْ كفنًا من كلِّ حقٍّ ومجاز
زينةُ اللهِ التى أخرجَها قد دعتْ زينةَ نَفْسِى للبِزازِ
زَجَرَتْها هِمَّةُ علوية فى وجوبٍ ومحالٍ وجوازْ
زينتى يسمعُ ما أسْرُدُهُ وإليهِ كانَ منهُ الإنحيازْ
زينَ السُّوءَ كذا قالَ لنا لمْ يقلْ زينةً للامتيازْ
زينتْ أسماءَه حضرتُهُ فالَّذى يَحْفظه بالعلمِ فاز
زهرةُ الروضِ شذاها عنبَر فالذى استَنْشَقها فاز وحاز
زهرةٌ فى فُلكٍ سابحةٌ منْ يراها هَامَ فيها ثمَّ جَاز
زَيْنَبٌ ترفُ واللهِ الَّذى قلتُه فى كلِّ سَهلٍ وعَزاز

﴿وقال أيضاً فى حرف السين﴾

سأحرفُ عن قَومٍ عن الحقِّ أعرضوا بنا فهم الأفرادُ يدعون بالخرسِ
سَوروا بتكوينٍ وعِزٍّ بجلوةٍ ليستوحشَ الأقوامُ فى حالةِ الأنسِ
سَمَوا بلْ علَوْا إلا قليلاً لأنهمْ تعالوا عن التنزيهِ فى حَضْرةِ القدسِ
سلامٌ على قوم تباهَوْا بربِّهم على كلِّ موجودٍ من الجنِّ والإنسِ
سرَوا وظلامُ الليلِ يسترُ سيرهمْ الى أنْ علَوْا فوقَ الإشارةِ بالكرسى

سرتْ هِمَّةٌ منى على خَـيرِ مَرْكَبٍ ... من الطَّبع مِن عَـقْلٍ نزيهٍ ومن حِسٍّ

سرى نحـوهُ سِرِّى ليدرى حـديثَهُ ... على هيكلٍ قد بيعَ بالثمنِ البَخْسِ

سـبـاها وأسـلاها وجـودٌ منزهٌ ... عن الحـدِّ بالفضلِ المقـوّمِ والجنسِ

سَناه مُزِيلُ ظلمـةَ العرشِ والعَمى ... وما كان من أينٍ يقالُ ومِنْ جنسِ

سلتْ بوجودِ القيدِ عنْ نيلِ مطلقٍ ... عنْ الحبسِ بالتقييد باليومِ والأمسِ

﴿وقال أيضاً فى حرف الشين﴾

شَهِدتُ الذى قدْ مهدَ الأرضَ لى فرشًا ... شهـودَ إمامٍ حاكمٍ حكمَ العَـرْشا

شـغفتُ به حـبًا فـأسـهر مُـقلتى ... ومنْ أجل وجدى رحمةً سكنَ الفَرْشا

شـهودى له بـالباء ليس بـغيـرها ... لأجل الذى قدّ سنّ أن نَغْرم الأرشا

شيـوخٌ من الأقوام فـيه لـقيتُـهم ... فكانوا لنا سقفًـا وكنتُ لهمْ فرشا

شِـداد‌ٌ أولو عـزمٍ رعـاةٌ أيمـةٍ ... تجلَّى لهم فيـنا وفى الحيةِ الرَّقْـشا

شعـارهمُ التـوحيدُ يـبغونَ قـربَهُ ... به وهو الشرك الـذى أثْبت الأعشى

شـبيـهٌ بهم منْ كـانَ طولَ حيـاتِهِ ... وفى البرزخِ المعلوم فى الَّليلِ إذْ يغشى

شَمَرتُ عليـهم بعد تعظيم قدرهم ... ولم آمن الهجرَانَ مـنه ولم أخْشا

شربتُ الذى من شُـربه اللَّذة التى ... لشـاربهِ نصًـا أتانا بهِ يَغْـشى

شممتُ بهُ ريحًا من المسكِ عاطرًا ... يُخبِّرنى فى هذا المقامِ الَّذى يَغْشَى

﴿وقال أيضاً فى حرف الصاد﴾

صَادنى مَنْ كـان فِكرِى صادَه ... ما لَه واللهِ عنه مِنْ مَحِيصِ
صابراً فى كل سُوءٍ وأذًى ... فى كيانِ مِنْ عُمومٍ وخُصُوصِ
صُرَّةٌ أودَعتُ قلبى عِلْمَها ... فى كتابٍ وسمتُه بالفُصوص
صَبرتُ قهراً وعجزاً وأبتُ ... غِيرةً منها عليه أن تَنُوصَ
صَيرته واحداً فى دهرِه ... ثم رامتْ عنه عزاً أن تَبُوص
صادفتْ والله فى غيرتها ... عينَ ما جاء به لفظ النصوص
صَدقتُها فلها النورُ الذى ... ما له فى كَونِها ذاك الوَبيص
صلبتُ فى الدين فانقادَ لها ... كلُّ معنى هو فى البَحْثِ عَويصَ
صلّى القلبُ اشتعالاً بَعْدَ ما ... كانَ ذا عزمٍ عليه وحَرِيصَ
صامتْ النفسُ وصلتْ فلها ... لمعان من سناها وبَصِيص

﴿وقال أيضاً فى حرف الضاد﴾

ضَاقَ صدْرِى لمَّا أتى ... لِوجُودِى به القَضَا
ضِقتُ ذَرعًا بمُوجِدى ... بَعْدَمَا كُنتُ فِى فَضَا
ضَرَرِى لم يكن سوى ... عَفْوَه حين غَمَضَا
ضرّنى ما به أتى ... منْ حديثٍ وأمْرَضَا
ضررٌ قولُه عَفَا ... رَحْمَةً بى عَمَّا مَضَى

ضَــمَّنِى ضَــمَّــةً فــمــا ... قُــلـتُ هـذا إلا مَـــضَى

ضِـــدَّ ذَا لوْ رأيـتُـــهُ ... كُنت فِـى الحـالِ مُـعـرِضـا

ضـــاربُ الـبـــابِ جَـــاهِل ... يَطْـلبُ الـعـــفـــوَ والـرِّضَى

ضـــربَ النحـلَ مُـخـبـرٌ ... عَنـهُ فِـيـنَا بِمـا قَـضَى

ضـربَ العـلمُ خـيـمـتَـه ... ســاعَـةً ثـم قَـوَّضَـا

﴿وقال أيضًا فى حرف الطاء﴾

طَابتْ مطاعِـمُ مَنْ يَحْـقِـرُ قَـدْره ... فمَضَى على حكمِ الوجودِ وما سَطَا

طَـنِّب فَـفِى التَّطْنِيب إن حَقَّـقْتَـه ... مـتوسِّـمًـا بِسمَـاته كَـشْفَ الغَطا

طِبْتُم فَـطابَ بك النَّعِيمُ بِحَـضْرةٍ ... فاحذَر من التَّحـرِيفِ كُن مُتوسِّطا

طُوبى لَه مِـن مَـالكٍ مُـتَـمَلِّكٍ ... جَـوَّابِ آفـاقٍ وعـدٍ لا مُـقْـسِطا

طاعَـاتُه مَـرْدُودةٌ فى وَجْـهِـه ... لَمَّا أطاعَ ومـا رأى عـينَ الـعَطا

طافَ اللَّبِـيبُ ببيـتِـه مُـتَـدَيِّنًا ... مـتـواضـعًا مُـتْـهـذبًا مُـتَـشـبِّطَا

طَـرِبتْ بـهِ أيامُـهُ لمـا رأتْ ... أنَّ الخليـفـةَ فى الحكومـةِ أقْـسَطا

طَفِـئتْ مـصابيحُ الهُـدى بِهَـوَائه ... وعَلَى مطا طرق العماء قد امْتَطَى

طَاشتْ عقولُ ذوِى النُّـهى مِنْ سَيْرِه ... لما أتاه مُـحـرِّضًـا ومُنـشطا

طَهِّـر ثِيـابَكَ فالـطهورُ شَـرِيعـةٌ ... جاءت بها الأرْسَالُ فى ضَفَفِ الخُطَا

﴿وقال أيضًا فى حرف الظاء﴾

ظلامُ اللَّيلِ مُعتبر — لعَبدٍ عندَه يَقظه
ظُنونِى فى مَنازِلها — علومَ الخلقِ والحَفظه
ظَلُومٌ ليس يَجهَلُها — إمامٌ قَبلهُ حَفظه
ظَبا لمَّا حَللتُ به — رأيتُ الحُجبَ فى اليَقظه
ظباءُ كُلها شَمسٌ — إذا عَلِمت بمَنْ حَفظه
ظَللتُ به فأرَّقَنى — فلما كنتُ هو لفظه
ظننتُ الأمرَ يشهدُنى — ويشهدنى فما حَفظَهْ
ظُنونٌ ما حَصلتُ بِها — إلى المغرورِ كىْ يَعظَه
على ما قال من وعظه — نَؤومٌ قلبُه يَقِظه

﴿وقال أيضًا فى حرف العين﴾

عَلمتُ بما فى الغيب من كُل كائنِ — ومالا فما قُلنا وما أدركَ السَّمعُ
على أننى ما كنتُ إلا مُوحِّدًا — بتوحيدِ فرقٍ ما يُخالطهُ جَمعُ
علا الحقُّ فى الإدراكِ عنْ كلِّ حادِثٍ — وهلْ يدركُ التنزيهُ ما قيدّ الطبعُ
علاه بها عقلاً وليسَ بذاتِه — وليس لمخلوقٍ على حَمله وَسَع
عَبيد وفىُّ التحقيق ربٌّ كصُورةٍ — وليسَ لهُ ضرٌّ وليسَ لهُ نفعُ
عظيمٌ على منْ أوْ جليلٌ منْ أجلِ منْ — تعالَى فلا فطر لديه ولا صَدْع

عـــزيزٌ ذليلٌ بائسٌ وهـو ذُو غِنى ولكن عَـمن إذ هُو السَّـيبُ والمنع

عـبدناه بـالفقـرِ الذى قـام عِنْدنا ولوْ قامَ ضدَّ الفقرِ لمْ ندرِ ما الصنعُ

علينا من التَّـقـوى رقيتٌ مـسلطٌ نقىٌّ وقىّ فـهو لى الوتر والشَّـفع

علوتُ عن التنزيه مَعْنى ومـا علا عنِ الحكمِ والتشبيهِ فليدعُ منْ يَدْعو

﴿وقال أيضًا فى حرف الغين﴾

غنىٌّ عنِ الأكــوانِ بالذاتِ والَّذِى له من سَنَى الأسماءِ ما ليس يَبْلُغ

غوى منْ لهُ حكمُ الخلافةِ فى الورى لذا جـاء فى القرآنِ حـقًا سنفـرغ

غـريقٌ بِبـحـرٍ والـنجـاةُ بَعـيـدةٌ ولولا وجـودى لمْ يرَ الحقَّ يدمغُ

غنىّ وإنى أكـثـــر الذكْـرَ جَـاهدًا فـقـــالَ أنا عنْ كلٍّ ذاكَ مــــفــرغُ

غنيتُ به إذْ كـانَ كَـوْنى وجـودَهُ ونشـئى بهِ فى قالبِ الطبعِ يفـرغُ

غريبٌ تراه العــينُ فى أرضِ غُربةٍ من الأهل والمرجـوّ مـنه سَـيـبلغُ

غـوايتـنا مـا كـانتْ إلا لحـكمـةٍ هى الرشـــد عن أمـرٍ أتـاه المبلغُ

غَـصصتُ يرتقى بلْ شـرقتُ بمائهِ ويا عـجبًـا وهو الحـيـاةُ فبلغـوُا

غرارَ حسـامِ الموتِ والحكمُ فيصلٌ لسـانٌ فصـيحُ النطقِ مـا هوَ الثغُ

غـمام جـوى إتيـان حقٍّ بمحشـرٍ وأرواحُ أمـلاكٍ فقـولوا وسوغُـوا

﴿وقال أيضًا فى حرف الفاء﴾

فررتُ إلى ربى كَمُوسَى ولَمْ يكن فِرارى عن خـوفِ عنايةِ مُصْطفَى

فنودِيتُ مَنْ تَبغى فقلت: وِصالُ من دَعانِى إليـهِ قبلُ والرسمُ قدْ عـفَا

فمـا هو مطموسٌ ومـا هوَ واضحٌ وطالبـه بالنفـسِ منه على شَـفَـا

فلوْ كـــانَ مـعلومًـا لكـانَ مميـزًا ولوْ كانَ مَـجْهولاً لما كانَ مُنصـفَا

فيا ليتَ شِـعرى هل أراه كما أرى وُجودى ومن يرجُو غنيًا قدْ أنصفَا

فـقـال لسانُ الحـالِ يُخبـر أننى غلطتُ ولا واللـهِ جـئتُ مُـعنِّفَـا

فبادرنى فى الحالِ من غـيرِ مَقصدى أيا حـادبى عِندى ببـابى توقَّـفَـا

فـإنى بحكمِ العينِ لستُ مُـخيـرًا ولو كنتُ مخـتارًا لما سمعـوا قفًا

فنـيتُ به عنـى فـأدركَ نـاظرى وُجودى وغـيرى لوْ يكون تأسـفًا

فـمـا ثمَّ إلا مـــا رأيتُ ومنْ يرمْ سوى ما رأينا فهو شـخصٌ تَعَسُّفَا

فـرامَ أمـورًا عـقلـهُ حـاكمٌ بهـا وما أثبتَ البرهانُ فـالكشفُ قدْ نفَى

﴿وقال أيضًا فى حرف القاف﴾

قرأت كـتابَ الحقِّ بالحقِّ مُـفهـمًا فلمْ أرَ مشهودًا سوى ألسُنِ الخلقِ

قلقت فلمـا أنْ سـمعتُ مُـعلِّمى تَسَمَّى بما للـخلْقِ عُدتُ إلى الحقِّ

قـريبًـا بما عنـدى من الحـالِ بائنًا بعيـدًا بما عندى منَ العلمِ والخلقِ

قد أفلح مـن زكَّى حقيـقةَ نفـسِه وقدْ خابَ من دساها فى عَالَمِ الرتق

قدرتُ على كَوْنى بِعلمى بفَاطِرى ولولا وجودُ الرتقِ لمْ أحظَ بالفَتقِ

قليلٌ تَرى من كـانَ رَتقًا مُنضـدًا يجوزُ بميدانِ النَّهـى قَصبَ السَّبقِ

قتيلٌ بسيفِ الوهم من كان ذا فكرِ وأينَ شهودُ الصَّفـوِ مِن مَشهدِ الرنقِ

قصدتُ بصـدقى أن أفوزَ بخالقى فنادانى المطلوبُ لأقـربَ فى الصِّدقِ

فنَعتٌ بمـا قَـدْ جـاءَنـى فى بِدايةٍ أيقنعُ بالتَّكلـيمِ منْ كانَ ذا عِـشقٍ

قـبـضتُ على مـا قاله لأحَـجـهُ فيا ليت شعرى هل يرى الحقَّ فى الحقِ

﴿وقال أيضًا فى حرف الكاف﴾

كَبرتُ بملكِ الملكِ إذ كانَ منْ مُلكى أسْـخـره من غيـر مَـينٍ ولا إفكِ

كتـصريفـهِ بالحالِ غـيبًـا وشاهدًا وبالأمرِ حقًا لستُ من ذاك فى شكٍّ

كيانى كيانُ الحقِ إذ كنتُ ذا حَجًى وفـهـمٍ دانى مـا بَرحتُ منَ الملكِ

كمـالى فى فقرى ونـقصى تملكى فـحـالى مـا بين التَّـمَّلكِ والملك

كـلامٌ كمـثلِ الروضِ عَطَّرهُ الندى وكـاللؤلؤ المنثـورِ نُـظِّم فى سِلْكِ

كـلامٌ لهُ التـأثيـرُ فى كلِّ قـابلٍ فيضحك وقـتًا للتلاحين أو يبكى

كـمـا نمَّ أزهارُ الرياضُ حـروفـهُ فتشـكو من التالى لهُ وهوَ لا يشكى

كـتـــابٌ حكيمٌ منْ حكـيمٍ منزلٍ أكونُ بهِ فى الرَّحبِ وَقتًا وفى ضنكِ

كـسـانى نحـولاً نـثـرهُ ونظامـهُ فَجِسـمى مما نالنى منهُ فى السَّبكِ

كـتبتُ إليـه أشتكى مـا يصيـبنى كما كـانَ يشكو الناسَ من صاحبِ النبكِ

﴿وقال أيضاً فى حرف اللام﴾

لله دَرٌّ رجالٍ ما لهم دولٌ ... وهم يُقيمون ما فى الدهر من دُولِ

لهم عَنَتٌ أوجه الأملاك ساجدَةً ... ومالهمْ أربٌ فى عِلَّةِ العِلَلِ

لأنهم عينهُ ومنْ يكونُ على ... ما قلتهُ فلهُ التصريفُ فى المللِ

لَمَّا تفكرتُ فيما اختصَّ بى وبهمْ ... رأيتهم عينَ نفسِ الحقِّ فى الأزلِ

لقد رأيتُهمُ والعينُ تصحبهم ... على مَحَجَّتهم فى أقوم السُّبُلِ

لبيتهم حين نادونى على كَثَبٍ ... أنا المشرعُ ما فى الكونِ من نِحَلِ

لو كان لى غرضٌ فى نسخ ما شَرَعُوا ... لما عجزتُ ولكن حكمُ ذلك لى

لى كل ما شئتُ أخفيه وأظهرُه ... من العماءِ إلى الأركان فى السفلِ

لدَوْرتى أوجدَ الأدوارَ فى أكرٍ ... منَ الهلالِ إلى البيضا إلى زحلِ

لعبت بالدهرِ دهرى فى تصرُّفه ... ولو تصرَّفَ غيرى كان ذا مللِ

﴿وقال أيضاً فى حرف الميم﴾

مُرادى مرادُ الطالبينَ أُولى النُّهى ... وحالهمُ حالى وعلمهمُ عِلْمى

مكانتهمْ منى مكانةُ باطنى ... منَ الجسدِ المشهودِ فى عَالمِ الرَّسمِ

مكانٌ وإمكانٌ وإخوانُ راحةٍ ... هو الغرضُ المطلوبُ عند ذوى الفهمِ

مراتبهمْ علويةٌ يَشْهَدونها ... فويقَ استواء الأمر فى العدلِ والحِكَم

مناطَ الثريا كانَ أيمنهمْ بِنا ... وأيسرُهم إكليلها وهو مِن كَمِى

مـشيتُ على مـثلى بيـضًـا نقيـةً بقومى فَلَمْ أجـهَل وما جُـرْتُ فى زَعْمِى

مقامِى مقـامِى حيثُ لا أينَ وانْتَهتْ مقالتهم فـينا وجرّدت عن جِسْمى

مضى زمـنٌ كانَ التأسِّى بِـرأسهمْ لأنَّ شهودَ العينِ حَـيرهمْ فى أسْمى

مـقـابلُ منْ تعنو لهُ أوجـهُ العلى أنا ولهـذا لم أزل نَـاقص القِـسْم

مـرامـهمُ كونـى ومرمـاهُ غـائبٌ عنِ الفكرِ والتَّحـدِيدِ بالعقلِ والوهمِ

﴿وقال أيضًا فى حرف النون﴾

نهـانى ودادى أنْ أبثَّ سَـرائرى إلى أحـدٍ غيرى فـمِتُّ بِكتْمـانى

نَبَـابى زمـانٌ عـز عندى وجـودُه وقدْ كانَ مشهودى لمشهدِ إحسانِى

نزلتُ إلى الأمـرِ الدَّنِىِّ وكـانَ لى علوٌّ الذى أعْـلى الإله به شَـأنى

نرومُ أمـورًا منْ زمـانٍ مُـحكَّمٍ بتـضعـيفِ آرائى وتحليلِ أركَـانى

نرى فيهِ رَبى عـينَ دَهْرى ومُوجِدى بتـوحيـدِ إسـلامٍ عمـيمٍ وإيمـانِ

نَموتُ ونحيى حُكْمَ دهرِى بنشأتى ولم آت فـيما قـلتُ فيـه بِبهـتَانِ

نسَـمِـيُّـهِ بالدَّهرِ العظـيمِ لأنهُ بهِ قـدْ تسمى لـى بأوضَحِ تِبيـانِ

نمتُّ إلـيـه بالودادِ فـعـله يَجُـودُ على أهلِ الوجودِ بطوفـانِ

نعـيشُ به لمـا تألـم باطـنى بما أشعلَ التبـريح من نار تركانى

نحت نحوه سـبحـانه من وجودنا خـواطر إيمـاء بتـقـويضِ بنيـانِ

﴿وقال أيضًا فى حرف الهاء﴾

هَويةُ الحق أسْــرَارى وأعْـضَـائى ... فَليس فى الكون مَوجـودٌ سوى اللهِ
هذا الذى قلتُــهُ الشـرعُ جـاءَ بهِ ... مِنْ عِنده مُـعلمًا وحـيًا من البـاهِ
هُو الوجـودُ الذى جلَّت عوارفـه ... ستـــور أغْطيـــةٍ عنه بأشْـــبـاهِ
ها إنَّ ذِى عِـبرة إنْ كنتَ مُـعتـبرًا ... ظهـرتْ فيـها بحُكمِ المالِ والجـاهِ
هى التى عينُ التـوحيدِ مشـهدُها ... فــلا تقلْ عندما تـبدو لنا مـا هى
هىَ ليسَ يدركهـا عينٌ سواها ولا ... تقولُ أهل النهى فـى مطلبٍ ما هى
هَبْ أنه عـين ذاتى كيف أفـصله ... عنى ولستُ بما قدْ قـلتُ بالساهى
هنيتَ يا طالبَ التحـقيقِ من قدمٍ ... صـدقٍ بما حـزتَه من عـينِ أنبـاه
هناكَ معطى وجـودِ الكونِ منْ عدمٍ ... فى عينِ حدٍّ وفى ساهٍ وفى لاهى
هوَ الذى حيرَ الألبـابَ واعتمدتْ ... علـى براهيـنهـــا مـنْ كلِّ أواهِ

﴿وقال أيضًا فى حرف الواو﴾

وددتُ بأنى مـا علوتُ كمـا عَلَوا ... عليـهِ وإنى مـا دنوتُ كـمـا دَنوا
وعطلتُ ما عنـدى بما عندهم وما ... حصلتُ على ما حصَّلوه وما دَرَوا
وإنهم فى كـلِّ حـالٍ ومـشـــهـدٍ ... على حكم ما ظنوه فـيه وما نَوَوا
وليـــتـــهمُ لو قـــدَّمـــوه وثابروا ... عليـهِ تدلوا فى النزولِ ومـا عَلَوا
ولكـنهم لما تحـــقـقَ جـــودُهم ... وجـودهم هَدُّوا قـواعـدَ مـا بَنَوا

وما ذاك إلا أنَّ فى الصدق ثلمةً ... تخوفهم فيما رأوهُ وما رَوَوا

وليتهمُ لما تحققَ كونُهم ... لديهم وما اهتموا لذاكَ وما بَلَوا

ولو كان غيرَ الكون كوّن كونَهم ... لما ابتاعَ أضدادَ الهوى ولما شَروا

ودادكَ مطلوبى وحُبَّكَ مذهبى ... وعشقكَ صفوُ العيشِ هذا إذا صَفَوا

وصيتهم حَبْلُ الإله تمسكوا ... به وتدانوا منهمُ عندما خَلَوا

﴿وقال أيضًا فى حرف اللام ألف﴾

لا تتخذْ غيرَ الإلهِ وكيلاً ... ولتتخذْ نحوَ الإلهِ سبيلا

لا تنهَ عنْ أمرٍ وأنتَ تريدهُ ... واعكفْ عليهِ بكرةً وأصيلا

لا غرو انك إنْ عملت بنصٍّ ما ... أخبرتكم أرشدتُ أقومَ قِيلا

لا تبتغى عنه فإنك عينُه ... ولذاكَ أودعْ حكمهُ التنزيلا

لا تَعْصينَ أهلَ الحجابِ فإنهمْ ... قدْ أحكموا الإجمالَ والتفصيلا

لاذوا بأحمى جابرٍ وأعزَّه ... وبذاكَ نالوا الفضلَ والتفضيلا

لاثوا العمائم فوقَ أرؤسهم وما ... ستروا بها قُرْطًا ولا إكليلا

لاكُوا بألسنةٍ حديثَ متيم ... يشكو الغليلَ ويكثر التَّعليلا

لا بارك الرحمنُ فيهم إنهم ... قد بدَّلوا فُرقانه تَبْديلا

لا نصَّ أجلى من نصوص كتابه ... قد رتلتْه رُسْله ترتيلا

﴿وقال أيضاً فى حرف الياء﴾

يلبى نداءَ الحـقِّ منْ كـانَ داعـيًـا ... جـزاء لمـا يدعـو أجـابَ المناديَا

يقـول تذكـر مـا أتـى فى خِطَابه ... ومـا أودعَ اللهُ السـنينَ الخـواليَـا

يرى حضرةً لم تشهـدِ العينُ مثلَها ... يناديـهِ أيامًـا بهـا ولَـيـاليَـا

يؤمل أمـــراً لم يزل قـــائلاً به ... من الله لم يدعـو له الله داعـيَـا

يحـيى فيـحيـى من يشاءُ بنُطْقِـه ... لذاك تراه فـى المحـاريـب تَاليَـا

يمـين له مـدَّتْ لبـيـعـة مـالك ... هو العـــبـد إلا أنه كـان وَالـيَـا

يوليـهِ أمـرَ الكونِ فـهوَ خليـفـةٌ ... وإقليـده التـقليد إنْ كـنتَ واعيَـا

ينزله فى الأرض عـبـدًا مـسـوَّدًا ... سـووسًا عليـمًا بالأمـورِ وراعِيَـا

يُكَسـر أصنامَ الـنفـوسِ بعـزمـه ... منَ الهـمةِ العـيا خـفيًّـا وخافـيًا

يناديـهِ منْ ولاه أنتَ خليــفَـــتى ... على الكلِّ مـهـدىًّ المقـامِ وهَاديَا

﴿وقال أيضاً فى مبشرة فى حق بعض إخوانه﴾

لا تَدَّعى فى طريـقٍ أنتَ سـالكهُ ... وإنمـا أمـــــــره مكـارمُ الخلـقِ

وليسَ عنـدكَ منهـا مـــا تكونُ به ... من أهملهـا ولـهـذا أنتَ فى قَلقِ

أنتَ الذى قـالَ فيـهِ الحقُّ يَعْلمكمْ ... جريت سبـعًا مع الأهواء فى طَلقِ

لأتبع غـــرضًـــا إنْ كنتَ تطلـبنا ... وكُنْ مَع أهلِ طريـقِ الله فى نسقِ

ولو نظرتُ بـعـينـى لا بعـينكمُ ... لما رأيتـكَ فى خـوفٍ ولا مـلقِ

ماذا صـفاتُ رجالى إنهم صَـبروا على المكاره فـى نورٍ وفى غَـسق
يا يوسفُ بنُ أبى إسـحقَ كنْ رجلاً ولا تكنْ عِندنا من أخـسرِ الفـرقِ
فـأنتَ ذو لؤم طبعٍ لَسْتَ ذا كـرمٍ لوْ كنتَ ذا كـرمٍ ما كنتَ ذا فَـرَقِ
إنّ الكريمَ شـجـاعٌ فى سَـجِيَّـتـهِ له من النعتِ طولُ لباعٍ فى العُنُقِ
أعـيذه باللَّذِى فى النور من سُـورٍ مـعلومةٍ مـثلَ ربِّ الناسِ والفلقِ

﴿وقال أيضاً﴾

أحاطتْ بنا الأفكارُ من كلِّ جَانبٍ فأصبحتْ قدْ سدتْ علىَّ مسالكِى
عَبوسًا لمن قد جـاء فى غيرِ ضَاحِكٍ وهلْ وجهُ رضوانٍ كَـسِحْنةِ مَالِكِ
ولـكـنـنـى لَمَّـا علـمـتُ بـأنَّنـى قدْ أصـبحتُ مملوكًا لأكـرَمِ مالكِ
ينِّفسُ عـنى كلُّ كـربٍ وجـدْتهُ فَـمَلَّكنى حـالى جَمـيعَ الممـالكِ
فَلَبَّـيَّتُ إجـلالاً وشـكرًا لخـالقى وعظمتُ رَبى فى جَـميعِ المناسِكِ
وقلتُ لنـفـسى لـمْ يكثـرِ الهنا مناسـكه إلا لأجلِ التـمـاسكِ
فـإن لـم تجـده ههنـا ربما ترى تجده هنا فاحذر حـجابَ التباسكِ
لكل أنـاسٍ واحـدٌ يقـصـدونه وإنى على حُكم الهـوى من أنُاسكِ
نزلت على الحـق انتـسـاكًـا لأنه وجود الذى تبـغيه عند انتـساكك
ولا تخـتلسْ إنَّ الوجـودَ مـحـرمٌ عليكَ إذا لمْ تعتمدْ فى اختلاسكِ
شـمسـت فلم تظفـر بما تبتـغـينه لأجل الذى أعطاه عين شـماسكِ

نَفَسْتَ فلم يقربك إلا مكذِّبٌ كذوبٌ وهَذا أصْلهُ مِنْ نِفَاسك

فلا تَقْتَبِسْ نارًا مِنَ الزِّنْدانةِ حجابٌ عليه فهوَ نَفسُ اقتباسكِ

﴿وقال أيضًا﴾

ما لقَومى عَنْ وجودِى قدْ عَموا أتَرى أدركهُم فيهِ صَمَمْ

إنَّنى عرفتُ هودًا بِالذى أنا فيه من سُرور وألمْ

فالَّذِى يَدرى الذى أقْصِده كلَّما قُلتُ ألا قال ألمْ

ما لهم لم يَعرفوا أو يَسمعُوا أننى أمْشى على النَّهج الأَمَمْ

وهمُ يَمشون بى فى أثرِى فهمُ حَيثُ أنا مِنْ غَير لَمْ

والذى أخبَر عَنِّى بالذى قلتُه ليس من أرباب التُّهمْ

هو هُودٌ والذى أخبَركُم أحمدُ المبعوثُ فى خيرِ الأمَمْ

لا تقولُوا إنهُ من عربٍ إن هودًا ليس من أهل العَجَمْ

إننى ترجَمتُ عنهُ بالذى قاله للناس عنى وحَكَمْ

فاشكروا الله الذى أظْهَركم عن ثبوتٍ هو فى عينِ العدمْ

فأنا الظاهر لا أنتَ بما أنتَ فى نفسكَ من حمدٍ وذمْ

لا تبالى إنكم فى عَدم وأنا الكلُّ حُدوثًا وقدمْ

ما لكم فى عين كَونى أثرٌ لا ولا عين وحكم وقَدَمْ

إن أسمائى بكم قد حكَمَت فى وجودى فلنا كيفَ وكَمْ

﴿وقال أيضاً﴾

أيا خيرَ مصحوبٍ ويا خيرَ صاحبٍ عليكَ اتّكالى فى جميعِ مَطَالبى

عليكَ اتكالى ثمَّ أنتَ وسيلتى إليك فحُلْ بَينى وبين مَطالبِى

وكُنْ عند ظَنِّى لا تُخيِّبه إنه من أكرمِ مطلوبٍ وأفقر طَالبِ

لقدْ ترجمَ الإيمانُ عنكم بأنكُم ضَمنتم لأمثالى جميعَ المطالبِ

﴿وقال أيضاً﴾

الأمرُ أعظمُ أنْ يُدرى فيُعتقَدا على الحقيقةِ إجمالاً وتَفْصِيلا

عنه العِبارةُ فى الألفاظ قَاصرةٌ يَدريه من رتَّل القرآن تَرْتيلا

ولا التصوُّر فى الألقاب يَضْبطه ولا يقيدُه عَقلاً وتَنزيلا

فحدُّه كل محدودٍ بصورته وما تناهتْ فيَبقى الأمرُ مَجهولا

فلستُ أعْرفُهُ إلا مُشَاهَدَةً ولستُ أشْهده حُسًا ومَعقولا

قدْ جَلَّ مظهرُهُ إذْ جلَّ ظاهرهُ وحلَّ مظهرُهُ نصًا وتأويلا

إنَّ البصائرَ والأفكارَ ما اجتمعتْ فيه وقد عجرت قَطعًا وتَفصيلا

إن قلتَ بالحسِّ لم تظفر بِطَلْعته أو قلتَ بالعقلِ تبديلاً وتَحويلا

فالوهم يحكم والأوهامُ يَعْرفها والوهمُ لمْ أرَ فيهِ قطُّ مَحْصولا

وليسَ يدركُ ذو عقلٍ وذو بصرٍ ما ليس يُدرِك موصولاً ومَفصولا

حارت عقولُ ذوى الألباب فيه كما حارتْ خواطرُ مَنْ يبغيه تَضليلا

﴿وقال أيضًا فى النوم﴾

غزالٌ منَ الـفردوسِ باتَ مُعـانقى ... فَـقَـبلنـى ودًّا فـتمَّ مُـرادِى
له زينةُ الأسـمـاءِ أسماءِ خَـالقى ... عليـهِ من الأثوابِ ثوبُ حِـدَادِ
من أجل الذى قد بات فيه مـهيَّمًا ... ضَـحوكًـا للقـيـاه صحـيح وِدَادِ
تراه مع الأنفـاس يتلـو كـتـابه ... بعـبـرةِ مـحـزونٍ حليفِ سـهـادِ
يقـوم بأمـرِ اللهِ إذا قـالَ قمْ بهِ ... بطاعـةِ مـهـدىٍّ وسُنَّة هادِى

﴿وقال أيضًا فى النوم﴾

الأمـرُ أعظمُ أنْ يُخْطِىء بهِ أحـدٌ ... فـما له فى وجـودِ العلمِ مُسـتندْ
جاء الحـديثُ فما تُدرى حـقيقـته ... ولا يُعِـيـنهـا فكرٌ ولا سـندْ
والكشفُ ليسَ لهث فيـها مداخلةٌ ... لأنه بوجـودِ الـصُّـور يَنفـردْ
أمـر الإله كمـا قـد جاء واحـدةٌ ... والعـبـد من سرِّه بـالحقِّ مُتَّـحـدْ
فـمـا ترى جـسدًا إلا ويعـقـبـه ... إذا مـضى عليهِ منْ حـينهِ جسـدْ

﴿وقال أيضًا﴾

لما رأى الـقلبَ بِـنور الهُـدى ... مـا صنعَ الرَّحْـمنُ فى نشـأتهْ
من حكـمـةٍ أعطـاه ترتيـبـهـا ... علمَ الـذى رُتبَ فى هيـئـتـهْ
مـن فلـك دارَ بأحْـكَـامـه ... ليـبـرزَ الأعـيـانَ فـى فـيـئـتـهْ

﴿وقال أيضاً﴾

إذا بدا عَلَمُ الأحوالِ يستَبقُ ... إليه والسحبُ بالأمطارِ تندفقُ

فما تَرى علمًا إلا رأيتَ سَنا ... ولا مَضى طبقٌ إلا أتى طبقُ

الأمرُ مشتركٌ فى كلِّ معتركٍ ... فما انقَضَتْ علقٌ إلا بدتْ علقُ

إذا رأيتَ الذى فى الغيبِ من عجبٍ ... رأيتَ نورَ وجودِ الحقِّ ينفتقُ

عليكَ مِنْ خَلْفِ سِتْرٍ أنت وافره ... وعنده تُبصر الأسرارَ تَسْتَبِقُ

إليهِ وهىَ مع الإتيانِ فانيةٌ ... عنها وعنه وهذا كَيف ينفقُ

لذاكَ قلنا بأنَّ الأمرَ مشتركٌ ... ما بيننا ولهذا عَمَّنا القلقُ

فالكلُّ فى قلقٍ لا يعرفونَ لما ... لأنَّ بابَ وجود العلم مُنْطَبِقُ

ضاعت مقاليدُه لذاتها فلذا ... واللهُ قدْ رجحَ التقليدَ حينَ شَقُوا

بالفكِ فى نَيْلِ علمٍ لا يكون لهم ... ولوْ يكونُ مَفَاتيحًا لما وَثِقُوا

فسلم الأمرَ إنّ الأمر مرجعُه ... إلى عَمَىً وإليهِ الكلُّ قدْ خُلِقُوا

حِرْنا وحَاروا فخذْ علمًا منحتكهُ ... وكنْ ذريبته تحظى بكَ الفرقُ

ولا تخفْ إنهم فى كلِّ آونة ... فى شبهة حكمها لنفسها الفرقُ

تردهمْ لمحلِّ الفكرِ فهىَ لهمْ ... تارٌ تحرقهمْ فالكلُّ محترقُ

هم المسمونَ إنْ حققتَ إمعةً ... كنعتِ خالقهمْ فاصدقْ كما صدقُوا

وكنْ بهم نائبًا عنهمُ فلبهمُ ... غضٌ جديدٌ ولبسى دونهمْ خلقُ

ولا تسابقْ سوى الحرباء إنَّ لها ... حالَ الوجودِ وريًا مسكها عَبقُ

﴿وقال أيضاً﴾

المرُ جِـفـانِ همـا الإبريقُ والطاسُ ... والأحـمرانِ كـذاكَ اللحمُ والرَّاحُ

والشحمُ ثمَّ الشبابُ الأبيضانِ إلى ... شـهـودِ هذين نفسُ القـوم تَرْتاحُ

والتمرُ والماءُ عندى الأسودانِ يُرى ... كـأنَّه فى ظلامِ الـليلِ مـصـبـاحُ

الجـاه والذهبُ المسكوكُ نعتـهمـا ... الأصـفران ووجـه التـبر وَضَّـاحُ

إذا تجلى لك المطلوبُ فـيـه بدتْ ... لناظرِ القلبِ فـى الأشبـاح أرواحُ

هى المعانى قـدْ راحتْ وما برحتْ ... قد قـيدتها عن الـتسريح أشـباحُ

لو أنهـا سألتْ عنهمْ جـماعـتهم ... لقـال قـائلهم راحـوا وما راحُـوا

فى فقـدِ ما قلتـهُ الآلامُ أجمعُـها ... كـما بوجـدٍ إنَّهـا للنَّفس أفْـراحُ

إنى نصـــحتكمُ لمَّا رحـمــتكُمُ ... وذا الوجـودُ قليـلٌ فـيـه نصَّـاحُ

﴿وقال أيضاً﴾

الله يـعـلـمُ نَـفْـــــــــسى ... ومـــــا عليـــــــه أجنَّـتْ

فَـــــــحِـكْمـــــــةُ الـله لما ... طلبـــتُـــهـــا مـــا تَجـنَّتْ

فـكـم تَمَـنّـت نُـفُـــــــوسٌ ... إدراكــــهـــــا واطـمـــــأنَّتْ

ولــــــو دَرتْ أن هـــــــذا ... يضـــــرّها مـــــا اسْـــتكَـنتْ

لـذاكَ خـــــابتْ فـــــذابـتْ ... ولـمْ تـنـلْ مـــــــا تمـنَّـتْ

ولـو تمتْ عـــــــقـــــولٌ ... إليــــــه بـالشـــــوقِ حـنَّتْ

نـالتـــــه عِـلْـمًـــــا ولكـن ضـلَّتْ بـهِ حـــــينَ ظنـتْ

لقـــد منحت مَـــقـــامًـــا لـه الخـــــــــــلائـق أنَـت

كـمـــا خُـصِـصْتُ بـأمـرٍ عـــنـه المـلائِـك جَـنّـت

﴿وقال أيضًا﴾

حروفُ الهجا عـشرتُها لتكون لى ذخـيـرةَ خيـرٍ للسـعـادةِ شَـاملَهْ

فضَـمَّنتهـا علمًا وأنشـأتُ صورةً مـخـلقـةً عنـدَ المحـقق كَـاملهْ

وصـورتُهـا مثلَ الـهيـولى لأنَّهـا إلى صـورةِ الألفاظ بالذات قَـابلهْ

فـأظهرتُهـا للعـينِ شمـسًا منيـرةً على صِـفـة تفنى الزوائدَ فـاضِلهْ

تراها إذا خـاطبـتـهـا بـذواتهـا تردُّ جـوابى فـهـى قَـولٌ وقَـائلهْ

فـأمَّنتـهـا مِـنْ كلِّ تحـريفٍ لافظٍ وآمنتـــهـا من كلِّ مكرٍ وغَـــائلهْ

يترجم عـمَّا فى الضمـيـر وجودُها إذا أفـردت أو ركـبـت هى بَاذِلهْ

بهـا وحيـاةٌ العلمِ عـشرتْ ذاتَهـا هى الروح إلا أنهـا فـيـه فـاصِلهْ

تقـــسـمـه تقـــسـيمَ خـــرٍ ممكنٍ خبـيرٍ بما لى فـهى للخيـرِ واَصلهْ

تراها على النعـيينِ مهـما تكلمتْ بهـا ألسنُ ما بـين حالٍ وعَـاطلهْ

إذا مـا أبانت فهـى أعدلُ شـاهِدٍ وإنْ لم تبن كانت عن الحقِّ عَادلهْ

﴿وقال أيضاً﴾

تولَّد ما بين الطَّبيعةِ والأمرِ ... وجودٌ يسمى عالمَ الخلقِ والأمرِ

أهيم به دهرى لصورةِ خَالقى ... ولولا وجودُ الدهرِ لمْ أفنَ فى الدَّهرِ

أذوبُ وأفنى رَقةً وصَبَابةً ... إذا ما ذكرتُ اللهَ فى السرِّ والجهرِ

وفى صورةِ الأكْوان أبصرتُ صاحبى ... لذا كَثرتْ أسماءُ حُبِّىَ فى شِعْرِى

فإن قلتُ شعراً فى شُخَيصٍ معينٍ ... فما هوَ إلا ما تضمنَّهُ صَدْرِى

هو الحق لكن قيدَتْه حقائقٌ ... تقومُ به من عقلٍ أو حسٍّ أو فكرِ

يناجيه فى سرّى ضميرى وشاهدى ... بأسمائه فى الشَّفع كان أو الوترِ

أقولُ لهُ حُبِّى فأسمعُ ردَّه ... بما قلته مثلّ الصَّدى حكمُه يَجْرِى

﴿وقال أيضاً فى زلزلة رآها فى النوم﴾

رأيتُ زلزلةً عُظْمى مُنَبِّهةً ... على أمورٍ عظامٍ كدتُ أُخفِها

فى برزخٍ من برازخِ الكَرى ظهرتْ ... آثارها وهوَ حالى قد بدا فيهَا

بدا لشاهدِ عينى عينُ صورتهِ ... تراه يا ليتَ شعرى هل يوافيهَا

قالتْ خواطرنا منْ فوقِ أرقعةٍ ... تحريكُ أفلاكنا منَّا يكافيهَا

لوْ كانَ يصفو لنا فى حال رُؤيتنا ... إياها خاطرنا كُنا نصافيهَا

لكنها مرضتْ نفسى لرؤيتها ... وقدْ سألتُ إلهى أن يعافيهَا

شَافَهْتُها ومُرادِى أن أذكِّرها ... بما لها عندنا من فِى إلى فِيهَا

تحـرَّكَ الجِسـمُ منِّى فى تَحـرُّكِهـا بِسَـجْـدةٍ لأمـورٍ لا تُنَافِـيـهـا
وكـانَ فيـما بـدا منى لمَّا قصـدتُ من المواعظِ والذكـرى تُلافيـهـا

﴿وقال أيضًا﴾

فى الملك العزيز ابن الملك العادل لما مات، وكان موته يوم الاثنين عاشر شهر رمضان سنة ثلاثين وستمائة وذلك ببستانه بالناغة بظاهر دمشق

طلبـتْ ذلولُ عـزيزها لـتـزيلهُ عَنْ ظهـرِها كـرمًا به فـأجَـابا
عنِ إذنِ خَـالِقهـا دَعَتْـه لِنَفْـسِهـا فلـذاكَ لبَّـى طائـعًـا وأنابـا
قَـد ألْبَـسـته من التـرابِ لغـيـرة قـامَـتْ بهـا حُـبًّـا لهُ جِلْبَـابا
مما تُحب مَـقَـامـه فى بطنـهـا ألقـتْ علـيـه جـنادلاً وتُـرابا
حـتى يقـيمَ بهـا إلى اليـوم الَّذى يُدعى لـيحضـر موقـفًا وحِسَـابا
فـيـفـوزَ بالخـيـرِ الأعمِّ ويعـتلى نحـوَ الكثيبِ ليـبصـرا الأحْبـابا

﴿وقال أيضًا﴾

الوهمُ يصلحُ مـا الألبابُ تُفْسدُه فى الحقِّ لكنَّهـا مـا لوهمٍ تُبْعِـدُهْ
العــقلُ يحكم والأوهامُ تحكُـمـه فـيـه فـتـضْـبِطه ولا تُـحـدِّدُهْ
وكيفَ يحكُـمْ عقلٌ قاصِـرٌ حدّثٌ على مكونه والـعجـزُ مَـشْـهَـدُهْ
تَنـوَّعَ الذاتِ بالأفكـارِ إنَّ لهـا مـثل الهُـيـولى ولكن لا تعـدّدُهْ
يرمى الإلهُ بهـا مـنْ كـانَ عنهُ بهِ وليسَ يَـرْمى بهِ إلا ويَقْـصِـدُهْ

العـقلُ بـالنظر الفكرىّ يُمْـسكه والكشـفُ يرسلُه ولا يـقَـيِّـدهْ
لو كـان للعـقلِ حكـمٌ فى مكوّنه لما أتى شَـرْعُـه وقـتًا يُـفَنِّده

﴿وقال أيضًا﴾

وُجـودى وجودُ العـارفـينَ لأنهمْ كمثلِ الَّذى أشْهـدْته أشهدوا حقا
فَعْـينهمُ عَيْنِى ولسـتُ سِوى لهم ولوْ أطلقوا جَمعًا ولو أطلقوا فَرْقَا
وكـونهُـمُ كـونُ الإلهِ كـمَـا أنَا فَقُلْ إنْ تَشا حقًـا وقلْ إنْ تشا خَلْقَا
كزيتونةٍ قامت على ساقِ مُوجِدى فما هى فى غربٍ ولا رأتِ الشَّرْقَا
تعالتْ عَن الأرْواحِ لا ميلَ عندها ويمطرها السُّحْبُ الذى يُخـرجُ الوَدْقَا
فَمِنها بدا لى سـاق حرٍّ كما بَدتْ لعـينى منهـا المطوقـةُ الـورقَـا
فـعـاينتُ آحـادًا ولمْ أرَ كَـثـرةً وقد قلت فيما قلته الحقَّ والصِّدقَا
ونظمت أبيـاتًا من الشعر فـيهـما وما كان نُطْقِى بَل هما عينا النُّطقَا
سـواسـيـةٌ أسنانُ مـشطٍ تراهمُ وهمْ فى سفالِ جَـاوزوا الدوحَ والأفُقَا
لهمْ حركاتٌ فى سكـونٍ فصنعهمْ صنيعُ الذى من أجلهِ أوجدوا الفَرْقَا
فـيفـعلُ بالشـكلِ المعيـنِ وضعـهُ لذاك تراه يحـفظ الرَّتقَ والفَـتقـا

﴿وقال أيضًا﴾

ريان فلكـى عـينُ الحقِّ تَحْـفَظه وهو السَّـفِـينةُ والأمـواجُ والماءُ

تَجْـرى بأعـينـه والعـينُ واحـدةٌ ممَّن وقُل لِى إلى مَنْ فَهْىَ أسْماءُ

مافِى الوجودِ سـوى هذا وكانَ لنَا في كل حَـادثـة رمـزٌ وإيمَـاءُ

اللـه يحـفـظنا منـه ويَحْـفـظُه منـا فنـحنُ الأذلاءُ الأعِـزَّاءُ

به اعـتـززنا كـمـا بنا يعـزّ وهل يَحُلُّ رمْـزى إلاّ الواوُ والهـاءُ

مضى وُجـودِى به عنى فلستُ أنَا ولستُ هنَّ وهـىَ أغـراضٌ وآراءُ

قدْ قلتْ ذلك عنْ عِـلْمٍ وعن ثِقَةٍ بما أقـول وراح اللامُ واليـاءُ

فَـلا بِهِ كَـان كَـوْنٌ لا ولا وَلَهٌ وعنهُ كـانَ فـأمـراضٌ وأدْواءُ

لذاك قـيـلَ بمعلولٍ وعـلتـهِ من أجل ذا ثَم أسـرارٌ وأشـيـاءُ

ونحن نعلمـهـا وهـو العليم بهـا حـينَ التـوالدِ آباءٌ وأبـناءُ

هو الشُّخـيصُ الذى لا ريبَ يَلْحَقُنا فـيـه ونحـن ظلالاتٌ وأفْـيَـاءُ

لولا السنا ما بدت منه الظلالُ ولا إليـهِ يقـبضُ فـالأنوارُ آباءُ

والشـخصُ أمٌّ لهـا وعنهُ ظهـرتْ وفـيـه كانـت فإظهـارٌ وإخْـفَـاءُ

﴿وقال أيضاً﴾

إذا تجلـيتَ لى أنثـى أَهِيمُ بهـا ولو تَجلَّيتَ لى فى أقْبحِ الصُّـورِ

لعادَ قـبحُ الذى جعلتُ مظـهركمْ عِنْدى وفى نظرى من أحْسن الصُّورِ

تبـارك الله فى مَـجْـلاه نَعْـرِفـه ولوْ جـهلناهُ كنا منهُ فـى ضَـرَرِ

هوَ المشـاهدُ فى ذاتٍ وفى صِـفـةٍ فى عالمِ الأمـرِ والأفلاكِ والبـشرِ

به أرَاهُ وأصْــــغِى عند دَعْــــوَته لأنه عَـيْنُ سَـمْعِ الأذنِ والبَـصَـرِ

وعَـالِمُ الرسمِ لا يَـدْرى مَـقَـالَتْنا ولوْ يقــولُ بهـا لكانَ فـى غـرَرِ

وكلُّ صاحبٍ عـقدٍ فى الذى علمتْ ألبـــابَـنا إنه فـــيـــه علـى خَطرِ

تراه يَسْـــبح فى بـحـرٍ ولـيسَ له سـيـفٌ يومله إنْ كـــانَ ذا حَـذَرِ

فاثْبتْ عَلَى ما يقـولُ الشرعُ فيه ولا تعـدِلْ عنِ النَّظرِ العَـقْلىِّ والخَبَـرِ

ولتنفـــردْ بالذى أشـهـــدتُهُ فـإذا مشيتَ فى الناسِ لا تعدلْ عَنِ الأثرِ

﴿وقال أيضاً﴾

الصِّـــدقُ سَـــيفُ الله فِى الأرْض يَقْـطَع بـالطُّـولِ وبالـعَـــــرْضِ

يَـعُمُّ بـالقَـطْع لـهَـــــذا يَـرى يَحكُـم فى الرَّفع وفـى الخـــفْضِ

والعــــالمُ الأقــربُ فـى عِــزِّه والعــــالمُ الأبعـــدُ فى الأرضِ

يقــــيم دين اللـه فى خَلْـقِـــه نيـــابـة فى النَّفْـلِ والفَــــرْضِ

ولا يرى فـى مُلْكه جـــــائِـرًا إلا الذى يـنْصَـبُّ بالـغَــــرَضِ

﴿وقال أيضاً﴾

نظرتُ إلى الحـقِّ المسْـتَــرِ بالخلق فـــقلتُ بتنـزيهِ الخـــلائقِ والحقِّ

فلمْ أرَ تشـبيـهًا بـخلقٍ مُحـققًـا لأنَّ صـفـاتِ الخلقِ حقٌ بلا خَلْقِ

فـما الأمـرُ إلا واحـدٌ لا موحـدٌ عن النظر العقـلىِّ والقولُ بالوَفْقِ

فَـلا تَعـــدِلُوا عنى فـإنــى مُنْبِىء أُنبِّـئكُـم بالحـالِ وقْـتًـا وبـالنُّطْق

فَمــا كانَ عَنْ حالٍ فذوقٌ مـحقق ٌ وما كانَ عنْ نطقٍ سَيُـسْفِرُ عنْ خَلْقِ

فـقومـوا إليـه عندمـا تَسْـمَعُـونه فذلـك حظ النفسِ من مُطلق الرِّزقِ

ألـمْ ترَ أنَّ الحـقَّ بالـذاتِ رِزْقُنـا ونحنُ لهُ رزقٌ بـفـتقٍ عـلى رَتْقِ

﴿وقال أيضًا﴾

أمرتَ فلمْ أسْـمَع دعوتُ فلمْ تُجِبْ ألا ليتَ شعرى منْ هوَ الربُّ والعبدُ

تسَّتــــرت عَنى بى فـقـلت بأنى ظهرتُ فلمْ تخفَ خَفيتَ فلمْ أبدُ

طلبـــتكمُ منى فـلمْ أرَ غـيـــركُمْ فهل حكـمُ القبلِ المحكمُ والبُـعدُ

قعدتُ بـكمْ عنكمْ لكونى كونَكُم فلمـا قَعَـدْنا قمتَ أنتَ بنَا تَعْـدُو

إليكمْ عَـسى يبدو وجـودِى إليكمُ فـألقيـته فـى اسمٍ يقال لهُ الفـردُ

فـأسمـاؤك الحسنى يكثـر كَونُهـا وجودى ولولا ذاكَ لمْ يكنِ البُـعْدُ

فـمنْ يحصِـها حـالاً يكونُ بجنةٍ ومن يُحْصِـها عـدًا يكون له الحدُّ

لى البـعدُ والتـدانى من اسْـمِكمْ فبعدى لكم قُربٌ وقُربى بِكمْ بُعدُ

إذا أنتَ أعطيتَ النعـيمَ وجَـدتَنى شكورًا وإن لم تُعطنى فلك الحمدُ

مَـرْكَـبنا يبـغـيـه برهانُ وُجْـدِكم وأفـراده بالذاتِ يطـلبُـهـا الحـدُّ

فمنْ قـامَ فى الأفرادِ فـالحدُّ آجلٌ ومن قام فى التركيب برهانه النَّقدُ

فكم بين مَـوضوعٍ حِـمَاهُ مـحرَّم وكمْ بينَ مـحمـولٍ يساعِـدهُ الجدُّ

إذا غَطَّنِى مُلقى الحـديث بباطنِى ... ففى حلٍّ تركيبى يكونُ له قَصْدُ

فيفصم عنى وهوَ لِلَّذاتِ قاهرٌ ... إذا بلغ المقصودُ من غَطِّى الجهدُ

أسايرُهُ حتى إذا ينقضِىَ الَّذى ... أتانى بهِ ألوى على عَقِبى أعْدُو

يزمِّلنى منْ كان عندى حاضرًا ... لما هدَّ مِنِّى ما تضمنَّه العَهْدُ

ولستُ بما قَدْ قلتُهُ بمشرِّعٍ ... لقومى ولكنى وَرَّثتُ فلمْ أعدُ

بما أنا مَأمُورٌ به أنا آمرٌ ... وما لِى مَهْما جَانِى منهما بُدُّ

لعبت بشطرنجِ العقولِ مُدبرًا ... ولى فى الذى يَبدو القبولُ أو الرَدُّ

وبالنردِ يلهو صاحبُ الشرعِ والحِجَى ... وقد عرفَ المطلوبَ مَنْ لهوُهِ النردُ

وبينهما شطرنجُ نردٍ لمنْ يرى ... ويقضى عليه ما يقابله العقدُ

تولّى على الأسرارِ سلطانُ ودِّه ... وأفلحَ شرٌّ كانَ سلطانَهُ الودُّ

له حرمات فى شهور تعينت ... فواحدهم فردٌ وباقيهمُ سردُ

إذا أنتَ شاهدتَ الوجودَ وجودُهُ ... بذلكَ ما يعطيهِ من قَدْحِهِ الزندُ

ولكنه بالريح روحٌ بقائه ... يقال لهُ فى عُرفنا النفخُ والوقدُ

فيفعلُ فعلَ النورِ والنارِ وسمُهُ ... كما لهما الإطفاء والذَّمُّ والحَمْدُ

فخصَّ بفتحِ النونِ إذْ عمَّ نفعهُ ... ورحمتُهُ والضمُّ من شَأنِه السَّدُ

فتطمع فيه الكاعباتُ لِنَفْعِهِ ... وترهبُ منهُ فى أمَاكنها الأُسْدُ

﴿وقال أيضاً﴾

هذا الوجـودُ الذى بالعُرْفِ نَعْـرِفُه ... ليسَ الوجودُ الَّذى بالكشفِ نَعْلَمُهُ

العــقلُ يَـجْـهَـلُه والفكر يُـنْكِرُه ... والذكـرُ يُظهـرهُ والسِّـرُّ يكتُـمـهُ

هـوَ الإلـهُ ولا تَدرى مَـظـاهـرُه ... بأنه عَــينُهـا والحقُّ يُبْــهِـمُــهُ

على العقولِ التى العاداتُ تَحـجُبها ... لذاك تنكر مـا الأسـرارُ تَفـهـمُـهُ

إلا على واحــد من كلِّ طَائِفَــةٍ ... فـإنَّ رَبَّكَ بـالتَّـعـريفِ يُـكرمـهُ

يا ربّ غُـفْـراً وعَـفْـواً إننى رَجُلٌ ... من يطلب الأمرَ منِى لستُ أعلمهُ

إلا بأمـــرك إن العــبْـدَ لـيس له ... تصــرفٌ دونَ أمـرٍ منكَ يعلـمـهُ

وَهَبْـتَنى كَـرمًـا سراً فـبـحتُ به ... ولم يكن أدبًـا مـا قــاله فَـمُــهُ

عـتبتَ عـبـدكَ فيـه ثمَّ قـمتَ به ... عنهُ لتــحـفظهُ إذْ أنتَ تلهــمـهُ

محـوته من صدورٍ أنـت تعرفُـها ... بسنةٍ أو نَهـاسٍ فـاحـتـمى دَمُـهُ

مـا كنتُ أعلمُ أنَّ الأمرَ فـيه كـذا ... عند الإلـه وأن العَــتْبَ يَلْزَمُــهُ

لولا مَــحَـبَّــتُـه فــينا لعــذبنا ... ولا يهـانُ منَ الرحــمنِ مُكْرمـهُ

إنَّ الذى شـــاءَ رَبِّـى أنْ أدخــرهُ ... أريد أعـربـه والحـالُ يُعْـجِـــمُـهُ

إلا الذى قلبِ منْ قدْ شـاءَ خَالقنا ... يَدْرِى به فلســانُ الوقت يُبْـرِمُـهُ

كـالتُّونـسىِّ ومنْ يجرى بِحَـلْبتِـهِ ... منَ القلوبِ التى تُعـطى وتَكْتمُـهُ

أعطيـت كلَّ مـحـل مـا يلـيق به ... وقلتُ فـيه مَـقالا لا أُجَـمْجِـمهُ

يقـولُ للقـولِ كلْ حـتى يكونَ بهِ ... منْ بعــــدِ ذلكَ يأتيــهِ يـندمــهُ

لَوْ لَمْ يكُوِّنهُ لم تظهر حَقيقَتُه ... لكنهُ العلمُ بِالمعلومِ يَحكُمُهُ
يقضى عليه بهِ فالحقُّ بَايَعهُ ... لكنهُ بِحُدوثِ العينِ يُوهِمهُ

«وقال أيضاً»

إنى لأجهل ذات مَنْ عِلْمى بِها ... عَينُ الجهالَةِ فالعليمُ الجاهلُ
فإذا طلبتُ بحارَ معرفَتى بها ... جاءتْ بحارٌ مَا لهنَّ سَواحلُ
ما يَشْغَلُ الألبابَ إلا ذاتُها ... فَلِقلْبنا فى الذَّاتِ شُغلٌ شاغلُ
ما نَالَها مَنْ نَالها إلا بِها ... وبِما لها فَهىَ المنالُ النائلُ
ما قلتُ قولاً فى الوجودِ محققًا ... إلا وأنتَ هو المقولُ القائلُ
فانظر بعينى ما تراه فإنه ... عينى على التحقيق وهو الحاصِلُ
لا تَفْصِلوا بينى وبين أحِبَّتى ... إن المحبَّ هو الحبيبُ الفاصِلُ
إنى مَرَرْتُ بِغادةٍ فى رَوْضَةٍ ... ترعى الخزامى لم يَروعها حَابِلُ
تصطادُ لا تصطادُ فهىَ فريدةٌ ... فى شأنها فصفاتُها تتقابلُ
لوْ أنها ظهرتْ بنعتِ مقامها ... حازتْ أعاليها لذاك أسافلُ
العلمُ منى بالإلهَ فريضةٌ ... فأنا الفريضة والحبيبُ نوافلُ
وبذا أتى وحىُ الإله لسمعنا ... فى نطقهِ هو الصدوقُ القائلُ
ما مرّ بى يَوْمٌ أراه بناظرى ... يَمْضى بنا إلا ويَأتى الآجلُ
ما قسمَ الدورَ الذى لا قسمةً ... فى ذاتهِ إلا الحجابُ الحائلُ

فيقال ليلٌ قد أتاه نَهارُه ... لِيُريلهُ وهوَ المزيلُ الزَّائلُ

فإذا ظَهرْتَ لمستوى نَعْتى لهُ ... لمْ تبدُ أعلامٌ هناكَ فَواصِلُ

فَرَأيتُ أمْرًا واحدًا لا تَمْتَرِى ... فيهِ العُقولُ وخَيْرُهُ لكِ شامِلُ

فلمثلِ هذا يعملُ الشخصُ الذى ... هو فى الحقيقة بالشريعة عَامِلُ

وهوَ الذى فاقَ الوجودَ تَظَرفًا ... وتصرفًا وهوَ الشُّخَيْصُ الكاملُ

صغرته فى اللفظ تعظيمًا له ... وهو المكبر والغنىّ العَائلُ

فهو المجيبُ إذا سألتَ جَلاله ... وإذا أجَبْت نَداه فهوَ السَّائلُ

فالأمرُ بينَ تردُّدٍ وتحيُّرٍ ... وتماثلٍ وتقابلٍ متداخلُ

سفرتُ عن الشمسِ المنيرة إذ علتْ ... فوقَ العماءِ فحارَ فيها الداخلُ

لله نورٌ كالسِّراجِ يمدّه ... وهنَ التقابلِ بالنزاهة يأفلُ

مثلٌ أتاكَ ولمْ تكنْ تدرى به ... والضاربُ الأمثالَ ليس يُمَاثلُ

لا يقبلُ الإنسانُ علمَ وجوده ... إلا به فهو العلىُّ السَّافِلُ

ولَمَّا درَّ فى فَضْلِ مَعْنٍ مُدْخلٌ ... وأبانَ سبحانُ الفصاحةِ باقلُ

نفسُ الثناءِ أسماؤه وهىَ التى ... ظهرتْ بنا ولنا عليه دلائلُ

لوْ لمْ يكنْ ما كانَ ثمَّ بعكْسِه ... قالتْ بما قلناهُ فيه أوائلُ

لولا منازِلُنا لقلتُ معرِّفًا ... لكِ يا منازلُ فى الفؤادِ منازلُ

إن النجومَ إذا بدت أنوارها ... هى فى السَّماء لمن يسيرُ مَشَاعِلُ

يسرى لنور ضيائها أهلُ السُّرى ... أهلُ المعارجِ فى العلومِ أفَاضِلُ

وَضَعْتُ يدى للمهتدين وزينةً للناظرين فَسُوقَة وأقاوِلُ
إنى أحامى عنْ وجودِ حَقيقَتى بحقيقةٍ عنها اللِّسَانُ يُنَاضِلُ
لا يُعرَفُ الحقُّ المبين لأهْله إلا الإمامُ اليَشْربىّ العَادلُ
لا تَعْذِلوا منْ هامَ فيه مَحَبَّةً قد أفلح الراضى وخابَ العاذِلُ
والمحصناتُ المؤمناتُ أعِفَّةٌ لا تَرْمِهُنّ فإنهنّ غَوَافلُ
يا مصغيًا لنصيحتى لا تغفلنْ وأعمل بها فالخاسِرُ المتغافِلُ
واحذر نداءَ الحقِّ يومَ وُرودكم عِنْد السُّؤالِ بعلمهِ يَا غافلُ
المنزلُ المعمورُ إن أخْلَيتَه عن سَاكنيه هوَ المحلُّ الآهلُ
لا يعرف القدرَ الذى قد قُلْتُه فى نظمنا إلا اللَّبيبُ العَاقِلُ
القولُ قولُ الشرعِ لا تعدِلْ به زُهرَ النُّهى عند الحقِيقَةِ ذابلُ
تجرى على حكم الوجودِ قيودُه فهو المحبُّ المستهامُ الناحلُ
لا تأملْ إلا منْ ينفذُ حكمهُ قدْ خابَ مَنْ غيرُ المهيمنِ يأملُ
منْ كانَ موصوفًا بكلِّ حَقيقةٍ كونيةٍ هو للمعارفِ قابلُ
لا تنفرد بالعقلِ دون شريعةٍ روضِ النهى عند الشريعة ماحلُ
واعكفْ على علمِ الحقيقةِ إنهُ كلٌّ إلى عِلْمِ الحقيقةِ آيلُ
لا يقبلُ الإلقاء إلا عاقلٌ فإذا تخلّى عنه ما هو عَاقِلُ
بَيْنى وبينَ أحبَّتى سُمْرُ القنى عِندَ الحِمَى وتنائفٌ ومَجَاهِلُ

﴿وقال أيضاً﴾

بابُ المعارِفِ مَفْتوحٌ لقارِعِه — وكيفَ يقرعُ بابٌ وهوَ مَفْتُوحُ
ما ذاك إلاَّ لما فِى الدَّارِ مِنْ حَرَمٍ — والشخصُ ذو بصرٍ والصَّدْرُ مَشْروحُ
وصاحبُ الدارِ غيران وذُو مِقَةٍ — فى أهلهِ والهَوى رَمزٌ وتَشْرِيحُ
وليس يَقْرعُ هَذا البابَ غَيرُ فَتًى — له قليبٌ به وَجْدٌ وتبريحُ
له قليبٌ مع أهْلِ الدَّارِ حَيَّره — هوىً له فيهِ تَطْفِيفٌ وتَرْجِيحُ
ما الحبُّ إلا لأهْلِ الدارِ لَيسَ لها — وقَدْ يكون لها وفيه تَلْوِيحُ
لأنهمْ عَينُها إنْ كنتَ ذا نظرٍ — ولا تقل هِى دارٌ إنَّه رِيحُ

﴿وقال أيضاً﴾

عجبت من أمرِ دارٍ كُلِّها عجبُ — فيها النَّقيضَانِ فيها الفوزُ والعَطَبُ
يلتذّ شَخْصٌ بما يشقى سِواهُ به — لذاكَ جئتُ بِقَولى كُلِّها عَجَبُ
نعمتْ مطيتنا إنْ كنتَ ذا نظرٍ — فيها يُشال وفيها تسدلُ الحجبُ

﴿وقال أيضاً﴾

مَنْ يعبُدُ اللهَ على أمرِه — ذاك الذى يعبُده حَقَّا
مَنْ يعبُدُ اللهَ على شرعه — ذاك الذى يَعْبُده رِقَّا
العبدُ من يعبدُه هكذا — لا يلتفتُ أجراً ولا خُلُقَا

واللـهُ يُجْـــزِيهِ عَـلى فِــعْـلِهِ صِـدقًــا لما قَـدْ قَــالَه صِــدْقَـا

﴿وقال أيضاً﴾

من يَعـبُـدِ الله إنَّ الله قَـدْ عُـبِـدا ذاكَ الوحـيدُ فـلا تُشْرِكْ بهِ أحـدَا

كـمــا أتاك بآى الكَهْفِ آخِـرَها وقَـدْ أضـافَ إليـه ذاكَ فـاسْـتَندَا

ذا الفعلُ كلفَ والأفعالُ أجْـمَعُها للهِ ليْـسَ لكـونِ فِـــعلـه أبَدَا

وقـدْ أضـيفَ إليــهِ وهوَ فَـاعلهُ لكى يمـيّـزَ مَنْ أقـرَّ أو جَـحَـدَا

إنَّ الحـقـائقَ لمْ تتـركْ لنا سَـبَـدًا بما أتَيـنا به فــيــه ولا لبَــدَا

فكل فِــعل فــإن الله خَــالقُــه وقـدْ جــعلتْ لهُ مِـنْ دُونهِ سَندَا

لكى يصـيب فلا تحظى إضَـافَتُـهُ إذا أضـافَ إليهِ فِـعلُ مـا شهـدَا

ولا يحـاسبُ إلا مَنْ عَــقِـيـدَتُه هَذا الذى قلتـهُ عَـدْلاً كَمـا وردَا

إلا الذى قـالهـا فى اللهِ مِنْ أدبٍ لا باعـتقـادٍ فيـجـزيه بما قَصَـدَا

وتلك مـسـألـةٌ حَـارَ الأنام لهـا وليس يعـرفـها إلا الـذى شَهِـدَا

﴿وقال أيضاً﴾

إنَّ الإلهَ الذى يُـرى وتدركــهُ الأ بصـارُ ذاكَ إله الاعْــتِـقَـادِ فَـلاَ

تدرى ســواهُ فــإنَّ الـلهَ قَــرَّره عَلى لِسـانِ الَّذى أبداهُ حينَ جَـلاَ

أمـا الإلهُ الذى لا عــينَ تُدْرِكـهُ ذاكَ الإله الذى فى خَلْقِـه جَهِـلاَ

فـيصـدقُ الأشعـرىُّ فى مَـقَالتـهِ ... ومن يقـابله هَذا لـمنْ عَـقَـلاَ

ولَيْـس يجـهـلُ خلقَ ربِّـه أبدًا ... وكيفَ يجهلُ منْ قـدْ حَبْلهُ وصلاَ

الله أوسـعُ عِلمًـا أن يقـيِّـدَه ... عـقدٌ لذلكَ لمْ يَضْـرِبْ لهُ مثـلاَ

وكلُّ من يضربِ الأمثـالَ فيه يصبْ ... لذا نهى وأتـانا اتبـعُـوا الرُّسُـلاَ

فـالعقْـدُ مَـا قَالَـه لا ما نُصَـوِّره ... ومـا نُـقـيمُ له فى قَـلْبنا مَـثَـلاَ

﴿وقال أيضاً﴾

ولما رأيتُ الأمـرَ يَعلو ويَسْـفُل ... ويَقْـضِى به الحقُّ المبـينُ ويَفْـصِلُ

تُصَـرِّفـهُ الأهواءُ أنى توجـهـتْ ... فـيقـضى به ريحٌ جنوبٌ وشَمْـأَلُ

تنبـهَ قلـبى عنـدَ ذاكَ عنـايةً ... من الله جـاءته وقـد كـان يَعْـقِلُ

فـواللهِ لولا أنَّ فى الصِّدقِ ثُلْمَـةً ... لما كان قلبُ العـبدِ يَسْهُـو ويَغْفَلُ

وقلتُ لقـلبى مـا دعـاكَ لما أرى ... فلـم أدر إلا أنَّهَـا تَتَـأوَّلُ

بحثت عن أصل الأمرِ ما أصلُ كَوْنه ... فلاحَ لنا فى ذلك البـحثِ فَيْصَلُ

فـأعْـلَمُ أنَّ الحكمَ لِـلعلمِ تَـابعٌ ... كـما هو للمـعلومِ والأمر يجـهلُ

ولما رأيتُ الحقَّ فـيـما ذكـرتُه ... عَلمت بأن الأمـرَ جَـبْرٌ مُـفَـصَّلُ

وأن إله الخـلقِ بالخلـقَ يفْـصِلُ ... وبالخلـقِ أيضًـا بـالمكاره يَعْـدِلُ

فمنْ لامَ غيرَ النفسِ قـدْ جارَ واعتدى ... ومن لامهـا فهو الـشهيـدُ المعدّلُ

ولما رأيـتُ الحقَّ للخَـلْقِ تابعَـا ... تساوى لدىَّ الخوفُ والأمنُ فاعملُوا

على كـشفِ هذا واعــملوا بمنارهِ فـإنَّ به تَسْـمُــو الذواتُ وتكْملُ

﴿وقال أيضًا﴾

مَنْ علَّم الســرَّ الذى فى القَـضَـا قــد علِمَ الأمْــرَ الَّذى يَنْبَــغِى
فــأمْـرُه يَجْــرِى على حُكْمِــه فى كلِّ مَــا ينوى ومـا يَبْـتَـغِى
يستـعـجلُ الأمـرَ الذى لمْ يَصلْ أوانُه حــــبــــرًا ولـم يَبْـلُغِ
يَقْــــذفُ بـالحقِّ عَـلى بَـاطِلٍ يَدْمــغُــــهُ وقْــتًــا فلـمْ يُدْمَغِ
قــدْ يفــرغُ الرحْــمَنُ منَـا لَنا وشَـــأنَـنا الدَّائـمُ لمْ يَـفــرُغِ
منْ مـــبلغــى لما رأى رُشْـــدَنا فى نَـيْلِـه بالله مِـنْ مــــبلِّـغِى

﴿وقال أيضًا﴾

تجرِى الأمـورُ إلى آجالِـها رَكْـضًا لذاكَ يفضلُ فـيها بعـضُها بَعْـضَا
هذى عُــمُومٌ يَعمّ الكونَ أجـمعـهُ ولا يخصُّ به نفْــلاً ولا فَـرْضَـا
لا يعرفُ الذوقَ فى ضيق وفى سَعَةٍ إلا الَّذى يَقْـرضُ الله بِـه قَـرْضَـا
لذاكَ يـسكنُ فـى طولِ الجنـانِ بهِ منْه ومنْ نَفْسه قَـدْ يَسْكُن العرضَا
لا يبلغ المجــدَ فى دنيــا وآخـرةٍ مَنْ صَـيَّر الماء نـارًا والهَوا أرْضَـا

﴿وقال أيضاً﴾

إنى لأهْوى الهُدى والهُدى يَهْوانى ... فــمــا أرَى من هُدًى إلا تَـمنَّانِى

اللطفُ منْ كَرَمِى والعطفُ من شِـيَمِى ... والمنعُ مَنْعِى كَما الإحسانُ إحْسَانِى

وما مَـنَعْتُ الَّذى مَنَعْت مِنْ بُخْلٍ ... مَنْعِى عَطَاءٌ فَمَنْعِى جُودُ مُـحسانِ

واللهِ لَو بَسطـتُ أرزاقَـه لَبَــغَتْ ... طَوائِفُ وعَـلى ذَا قَـامَ بُنْيَــانِى

وَزْنِى صَحِـيحٌ فإنى عـادلٌ حكمٌ ... بالله وَزْنى لِهَــذا صَحَّ مِيــزَانِى

إنى لمن أصلِ أجـوادٍ ذوى حَسَبٍ ... العمُّ مِن طَىءٍ والخَــالُ خَـوْلاَنِى

وإنَّ لِى نَسبَ التَّـقْـوى يحـقـقـه ... إحســانُ عَقْدى بإسْـلامِى وإيمَانِى

كـذاكَ لى نـسبٌ باللهِ مــتـصلٌ ... يقــولُ أهلُ النهى بهِ عَـلاَ شَـأنِى

﴿وقال أيضاً من المفارد﴾

وإنمـــا اللهُ بالفــراقِ قَـــضى ... ليُـمـضى مـا شَـاءَهُ بنا فَـمَـضَى

﴿وقال أيضاً فى درج الكلام﴾

مــا انبْـعَــثتْ همَّــتى إلَيــهـا ... ولم أعــرِّج يــومًــا عَلَيْـــهَــا

مَنْ عَـلَّمَ النفـسَ عِلمَ كَـــشْفٍ ... لمْ يـلقَ مـــا عندهُ إلَيْـــهَـــا

بما لــه خَـصَّـــهــا اعــتـناءً ... فكـلُّ مــــا عندهُ لَـدَيْهَــــا

فلـيس فـى الكـون مــــا تَراه ... سِـواهُ فـالأمــرُ فِى يَـدَيْهَــا

﴿وقال أيضاً﴾

إنَّ الإلَـهَ الَّـذى قَـــــــدْ عَـــــلاَ وجلَّ سُـــــمُـــــوّاً
هــوَ الــذى قــلــتُ عــنــهُ يُــريــد مِــنِّــى دُنُــوّاً
فلـمْ يزلْ بـى شَـفِـعًـا ولَـمْ يَـزَلْ فِـىَّ تَـوّاً
لمـا نَـفَـى المـثـلَ عـنِّـى لـذاكَ لمْ أكُ كُـفْـوَاً
لـم أتَّخِـذْ قَـولَ ربـى عـنـد الـتِّـلاوةِ هُـزُوَاً
سـبـحـانَه وتَعَـالى عن الـشـبـيـهِ عُـلوّاً
ومـع هذا الـتَّـعـالى قـد قـال يعـمُـرُ حُـوّاً
قـد حِـرتُ فـىَّ وَفِـيـه فـلـو أراد الـبُـنُـوّاً
لمْ يَسْـتَـحِلَّ ذاكَ مـنهُ يا ربِّ غَـفْـراً وعَـفْـوَاً
أنـتَ القـديرُ عليـهِ فكـنْ بعـقـدى عَـفُـوّاً

﴿وقال أيضاً﴾

نعتُ المهـيـمنِ بالإطلاق تقـيـيـدُ وكلُّ مـا قيـل فيـه فَـهُو تحـديدُ
وإن سكَتُ على عَـجْـزٍ أفـوزُ به فـذلك العجـزُ أيضًا فـيه تقـيـيـدُ
فليسَ يخـرجُ فى ظَنِّى ومعـرفتى شىءٌ عن القيدِ لا شـركٌ وتوحيدُ
تنزيهـكَ الحقَ حـدٌّ أنتَ تعلـمُـهُ إن النَّزيه بـنفى الحـدَّ مَـحْـدُودُ
إن قلت ليـس كـذا أثبـتـه بكذا وذا لبـاسٌ نزيهٌ فـيـهِ تجـريدُ

سلبُ التَّـحَـيّـرِ عنهُ لا يشـرفُـهُ وكـيف يشـرُف بالتنزيه مَـعْـبـودُ
لوْ لمْ يكنْ فى كـذا لزالَ عنهُ كذا وزالَ عنهُ بهِ حـمـدٌ وتمجـيـدُ
أسمـاؤه تطلبُ الأكوانَ أجـمعـها فنعـتـها بالغـنى المعلومِ مـفقـودُ
لولا القـبولُ الذى منّا لما ظَهـرتْ آثارهـا فلنـا منْ ذلكَ الجـودُ
إنّ الوجـودَ الذى أثْبـتـهُ نسبٌ فلا وجـودَ فما فى العينِ مـوجودُ
بذا المحـالُ الذى ترمى بـهِ فطرٌ وكـيفَ يقـبلُهُ والكونُ مـشـهـودُ
أثبت عـينك عند النَّفى نافـيـة فمنْ نَـفَيتَ وبابُ النفيِ مـسدودُ
وكـيفَ تنفى وجـودًا أنتَ تثـبتـهُ عقلاً وعينًا وحوض العقل مورود

﴿وقال أيضًا لزومية﴾

أرْسَلتْنـى لوُجُـود الحـقِّ أبْغـيـه فكنتُ أثْبْـتـهُ وَقـتَـا وأنْفـيـهِ
عـقـلٌ يُزنزه شَـرْعٌ يُـصَـوِّرُهُ فَلَسْتُ أدْرى بـأىِّ الحُكْمِ أبْغـيـهِ
إنْ قلت بِالشَّرعِ قال العَقْل يجهلُهُ أو قُلتُ بالعَقْل قال الشَّرع يُطغْيه
تُفنْى رَغَـاوةُ صـابونٍ إذا وسِخٌ يَقُـومُ بالثَّـوبِ والإنقـاءُ يُرْغِـيـهِ
واللهُ أثْبَتَ مـا الأفكارُ تَنْـفِـيـهِ وقَـامَ بالحُـكْمِ للإيمانِ يُصْـفِـيـهِ
الشَّـرْعُ أدناهُ حـتَّى قـلتُ إنِّى أنَا عينُ الإلهُ جَـاءَ العـقْلُ يُقْـصـيـهِ
إنْ كنتَ تحصْى إلهى مـا تَجُودُ بهِ عَلَى العَـبيدِ فـإنِّى لستُ أحصْيه
فـقُلْتُ للنَّفسِ هذا النَّصُّ جـاءَ بهِ فَلْتَـقبلى وعلـى الألْبَابِ قُـصِّيـهِ

نُصيِّه لفظًا ولا تعْدلْ به أحَدًا — عَلى لَبِيبٍ قليلِ الفِكْرِ نُصيِّه

فإنْ أتتك عقولُ تَبْتَغِى أثرًا — بقصِّه فاحذرِى وَلا تَقُصِّيه

خُصيِّه فى نَفْسِهِ بما أَتاكَ به — ولا تزِيدى على ما قَال خُصيِّه

﴿وقال أيضًا﴾

مَعْرِفتى بالإله مَعْرِفتى — بى فاطلبوا الأمرَ فى حقائقِهَا

إنَّ رسولَ الإلهِ قالَ لنا — العلمُ بالنفسِ علمُ خَالقِهَا

ما عرفوا قدر ما أتيتُ به — من حِكْمَةِ اللهِ فى طَرائِقِهَا

لو علموا ذاك لم يَقُمْ حَرجٌ — فى نفسِ منْ يَهتدِى بِطَارِقِهَا

قلتُ لها الرقيبُ يُعْجِلُنى — منْ أنتَ قالتْ نواةُ فالقِهَا

أولدنى العلم بالوجود فما — تنفكُّ ذَاتى عن ذات فاتِقِهَا

الرَّتقُ أصلٌ لها به فَلذا — لم يأتِ لفظٌ لنا براتِقِهَا

مثلُ الذى قدْ أتاكَ فى رَحِمٍ — فإنها شجنة لرازقِهَا

فَبَيْنها فى وجودنا نسبٌ — وبينهُ ثابتٌ لعاشِقِهَا

لَطيفُ هَذا البخارِ صَيَّرها — نافجةً عُرِفتْ لناشِقِهَا

ما بين هادٍ لها يُبين لها — طريقَها نحوه وسائقِهَا

تُتْيهُ عُجْبًا وتنثنى طربًا — وذلك التِّيه منْ عَوائِقِهَا

تشرقُ شمسُ النهار إن طَلَعت — واحدةُ العينِ مِنْ مَفارقِهَا

لا بدَّ لـلاشْـتِـراكِ من حَـكَمٍ　　تأتى إليـهـا لها بِفَـارِقِـهَـا

﴿وقال أيضاً﴾

الله يجـعلنى عـبـداً ويَعْـصِـمُنى　　من السِّـيـادةِ حَـالاً إنهـا شُـومُ

ما دمتُ فى حَالِ تكاليفٍ وفى حُجُبٍ　　والنور منـكشفٌ والسـرُّ مكـتـومُ

أقـصى السيـادة إنى منه صُـورَتُه　　وإننى حـاكمٌ والخـلقُ مَـحْكُومُ

وكونُ خلقًـا هوَ المطلوبُ من خُلُقِى　　والحقُّ خـالِقُـه والأمـرُ مفـهـومُ

إن قمت قـام به أو كنتُ كنتُ له　　هذا المرادُ الذى فى الشـرع مَعْلُومُ

فـالله يرزقـنى مما يَـلِيـقُ به　　منَ المعـارفِ مِـمَّـا فيـهِ تقـسِـيمُ

قـدْ قلتُ حقًـا ولا أدرى طريقتُـهُ　　وهوَ القـؤولُ وإنى فـيـهِ مـوهومُ

بالوهمِ كـانَ لنا مـا قلتُ كـانَ لهُ　　فـيـهِ لناظـرِه أمـرٌ وتحكـيمُ

الحكمُ حكمُ صَـلاتِى لوْ تُحـقِّقُـهُ　　بينى وبيـنَ الإلهِ الحقُّ مَـقْـسُـومُ

فـمنْ يـكونُ مليكًا فى تصـرفـهِ　　فذلك الشخصُ بين الناسِ محرومُ

أعمى جهولٌ ضعـيفُ الرأى مُخْتَبِطٌ　　وهوَ الظلومُ وفى التَّحْـقِيقِ مَظْلومُ

ومنْ يكونُ عـبـيـدًا فى تقـلُّبـهِ　　فذلك الشَّخصُ مـشكورٌ ومَرْحومُ

هذا المقـام الذى أبغـيـه فـزتُ به　　وإننى فـيهِ مـحـفوظٌ ومـعصـومُ

﴿وقال أيضًا﴾

لا تُعَـــوِّلْ عليَّ فى كـلِّ حـــالٍ إننى عَـــبْـدُ سيِّـــدٍ مُـتَـعَـــالِى

حكمه الحكمُ ليـس لى حُكْمُ نَفْسى إن عـينَ المحـالِ فى عـينِ حـالِى

كلمـا قلتُ قدْ مَـضَى حكمُ وقتٍ جـاءنى مــثلهُ يريدُ اغْـتــيـالِى

فـإذا مـــا بحـــثتُ عنه بعـــقلى لم يكن غـــيـره فـزادَ خـــبَالى

قلتُ لـلدهرِ أنتَ جـــامعُ أوقـــا تِ شؤونى فـعينُ فَصْـلى اتِّصالِى

لستُ أبغـى عنه انْفِـصَـــالاً لأنى لابِسٌ مَنْ هُداه عـــينُ الضَّـــلالِ

إنَّ هذا هوَ الـضـلالُ فَــحَـــقِّقْ عينَ مـا قد سـمعـتَه مِن مَـقالِى

﴿وقال أيضًا﴾

سَـــبقَ السَّـــيفُ العَـــذَلْ هـكـذا جَــــــــاء المثـلْ

لـيسَ لـلـقَـــــــولِ بَـدلْ قـــــولـه عَـــــــزَّ وجـلْ

مـــا يَقُـــولُ غَـــيـــرَ مـــا وهــــــــبَ اللهُ المحَـــــــلْ

فـــــيــــــهِ يُـقْـــــضَى لـهُ وعـلـيـــــــــــه المـتَّـكَـلْ

وبـــنـــا يَـــعْـــلَـــمُـــنـــا فـى غَـــــيـــــابـاتِ الأزلْ

وكــــذا أخْـــــبَـــــرنـا فى الـهُـــــدى حِـــــينَ نزلْ

فـــالذى يـفــــهــــمــــه يـدر قَـــــــــولـى ويَـجِـلْ

﴿وقال أيضاً﴾

تبـارك ربٌّ لم يَـزلْ عـالِى الجـدّ نزيهًـا عن الفـصْلِ المقـوّمِ والحـدِّ

تَعـالى فَـلا كَـــونٌ يُقـاوِم كَـونَه يعـبـرُ عنهُ الكشفُ بالعلَمِ الفَـرْدِ

تميــزَ فـى خلقٍ جـــديـدٍ مميـــزٍ بأسمـائه الحسنى وبالأخذِ للْعـهدِ

فـقلت له من أنت يا مَنْ جَهلْتُـه فـقال المنادِى ذُو الثَّناءِ وذُو المجْـدِ

كمثلِ الصَّدى كان الحديثُ فَمَنْ يقل خلاف الَّذى قدْ قلتهُ خابَ فى القَصدِ

فمنْ يَدْرِ سرَّ الفـردِ لمْ يَجْهلِ الَّذى يجىء به الفـرد الوحيدُ مِـن العدِّ

وليس سِـواه والعـيـونُ كـثـيـرةٌ وتَخْتلفُ الألقـابُ فيهِ مع الفَـقْدِ

﴿وقال أيضاً﴾

للحـقِّ فى الأكـــوانِ حـدٌ يُـعْلمُ وهوَ الَّــذى يَدْريـه منْ لا يَـعْلـمُ

خلـقــتـــهُ أفـكارٌ لنـا بقُلوبِـنا أينَ الإلهُ مِـنَ الحـدوثِ الأقْـــدَمُ

وتنوعَ التـــفـصـيلُ فـيـــه لعـزةٍ لعُـقُـولنـا والأمـر مـا لا يُفْـهمُ

لو أنَّهم سكَتُـوا وقـالوا لَمْ نَجِـدْ حـدًا بهِ يُـقْـضَى عَلَيْـــهِ ويُحْكمُ

غـيـر اسـتنـادِ وجـودِنا لوجـودهِ جـاؤوا بما عنهُ الـوجـودُ يتـرجمُ

لا تعـتـقـدْ غـيـرَ الذى تتلوهُ فى النصِّ الذى نطقَ الكتـابُ المحكمُ

وعليهِ فـاعتمـدوا وقُولُوا مـثلَ ما قـد قـاله عن نفـسه واسْـتَلْزَمـواُ

واعـبـد إله الشـرع لا تعـبـدُ إله العـقلِ وانقـادوا إلـيـه وسلِّمـواُ

فالناسُ مـختلفـون فى مَعْـبُودهم　　　فـمنزهٌ مَـعْـبُـودهمُ ومُـجَـسِّمُ
وبذا أتتْ أقــوالـهُ عن نَفْـسِـــه　　　فـتـراه مـا يَبْنِى يعـودُ فَـيَـهْـدِمُ
والحقُّ حقٌّ والـتناقضُ حَــاصِلٌ　　　فى نَفْـسِـه وهو السَّبِـيلُ الأقـوَمُ
قـد قـاله الخَـرَّاز عنه مُـصَـرِّحًا　　　واحـــتجَّ بالآىِ الَّـتى لا تكْـتمُ
فـالق الإلَهُ بِكُـلِّ عَـقْـدٍ لا تَقِفْ　　　مع واحـدٍ فـيفـوتُ عنكَ فـتندمُ
كـيف السَّبِـيلُ لنيلِ مـا قلنا وقَـدْ　　　مَجَـتْهُ ألبـابٌ وصَمَّـوا مَا عَـمُوا
لم يسـتنـد أحـد إلى عَـدَمٍ ومـا　　　عَـرفَ الوجودَ وحُكْمُـه مُسْـتَلْزِمُ
مـاذا يرومُ العـهـدَ لـمْ يظفـرْ بهِ　　　فـهـو الغنى به الفـقـيـرُ المعـدِمُ

«وقال أيضاً العبد يعطى لضعفه ويعطى لقوته»

فَـــهُــوَ القَـــوىُّ إذا قَـــضَى　　　وهــوَ الـقـــــــوىُّ إذا مَـنَـحْ
فـــــالحَــــمْــــدُ لله الذى　　　بِهِـــمَـــا عَـلى قَلْبـى فَـــتَحْ
إنــــى رأيـــتُ الحـــقَّ والْ　　　ـمـــيـــزانَ فى يَـدِهِ رَجَحْ
فـــسـألـتُــه مــا يَبْــتَــغِى　　　فـأجـابَ مــا يَـدْرِى فَـصَحْ
قــــولُ الخـــلائقِ كُـلِّهِـم　　　إنّ الــكــريــمَ لــهُ المِـنَـحْ
مــــا زِلْـت أعـــبُــــده له　　　والمـؤمـنـيـن ومَـنْ صَـلَـحْ
من لـيس يعـــبـــده كـــذا　　　بيـن الخـــلائقِ يُفْـــتَـــضَحْ
وإذا فـــهـــمت مـــقـالَـتى　　　زندُ المشــــاهدِ يَـنْقَـــدحْ

فَـــتَـــرى الَّذى قَـــدْ قُلْتُـــه	مِـن نورِ زنـدِكَ قَــــدْ وَضَـحْ
فــــاقْـــــدَح زِنادَ وُجُـــوده	فـــالكَشْـفُ فـيـــهِ لمنْ قَـدَحْ
إنى نَـصَـــحْـــتُكمُ وقـــدْ	أدى الأمـــــانـةَ مـنْ نَصَـحْ

﴿وقال أيضاً﴾

إنَّ الإلهَ لـهُ تَجلٍّ فـى الصُّـــور	عندَ الشـــهـودِ لمنْ تحـقق بـالنَّظرْ
بتـــحـــولٍ وتبـــدُّلٍ يقـــضِى بهِ	عـينُ الشـهـود لنا ويَنْفِـيـه النَّظر
الفكرُ فـيـهِ مُـــحَـرَّمٌ فى شَـرْعِنَا	فـاحذَرْه والزمْ إنْ تقـدمتَ النَّظر
من ينتـظرْ نَفَــحـاتَه مـنه يُصِبْ	هذا ضـــمنتُ لمنْ يلازمُــهُ النظرْ
إنى معَ الرحـمنِ إنْ حـققتُ مـا	جـئنا بـهِ عندَ التَّـحَقُّـقِ فى نظرْ
أين العـــزيز ومن له فى نفــسـهِ	صـفـةُ الغِنى ممنْ يَذلُّ ويُفْـتـقـرْ

﴿وقال أيضاً﴾

الشىءُ مُخـتلفُ الأحكَامِ والنَّسبِ	والعينُ واحـدةٌ فانْظُرْ إلى السَّـبَبِ
واحْكمْ عليـــهِ إنْ كُنتَ ذَا نَصفٍ	فإنَّمَا العِلْمُ والتَّـحقيقُ فى النَّسَبِ
ألا تَرَى اللهَ لا شَـىْءَ يُمـــاثِـلُهُ	وقَــدْ تَنَزَّلَ للمـــخلوق بالـنَّسَبِ
فـقـــال إنَّ لهُ فى خَلْقِـهِ نَسَــبًـا	وهو التَّقىُّ فـأنا فى الكَدِّ والنَّصَبِ
عَـــسَى أفُـوزُ بـهِ حـتَّى يُـورِّثَنى	أسْـمَاءَهُ كُلَّهَـا الحُـسْنَى بلا تَعَبِ

فَـلا يَرى الحقُّ عينًـا فى مُشَـاهَدَةِ مَنْ لا يرَى الحقَّ فـى الأزْلاَمِ والنَّصبِ

فَمَا رأيتُ مُسـمَّى فى الوُجُودِ سوى ربّ البـريَّةِ بالحـاجَـاتِ والطَّلبِ

وكلَّمَـا قلتُ خلَقَ قـال خَـالقِـهُ مـا ثَمَّ إلاَّ أنَا فاحْـذَرْ من الرَّهَبِ

الخَلْقُ حقٌّ وعـينُ الخَلْقِ خَـالِـقِـهُ فاثبِتْ ولا تَهْربْ إنَّ الجَهْلَ فى الهَربِ

﴿وقال أيضاً﴾

هذا الغليلُ الذى عـندى مِن القلقِ ومـا أبثُّ منَ الأشـواقِ والحـرقِ

لا تُحسُّـبوه لمخلوقٍ فـإنَّ لنا مَجْلَى المهيمنِ فى المخلوقِ والخلَقِ

فــمـا أرى أحــدًا إلا تقــومُ بهِ عـينُ الحـبيـبِ وإنى منه فى نفقِ

ومــا أرى غـيــرَ أنواعٍ منوعــةٍ إذا بـدا طبـقٌ أفنـيتُ عـنْ طبـقِ

فكلُّ مــا كــانَ منهُ أو يـكونُ لهُ منَ المكارِهِ مـحمولٌ عـلى الحدَقِ

القلـبُ يَعْـرِفُـه منِّـى وتَجْـهَلُه نَفْـسِى لما عندَها منْ كَثْـرةِ العلقِ

وذاكَ منـهُ فـإنَّ اللـهَ قـالَ لـنا بأنـه خلقَ الإنسـانَ من عَـلَقِ

منْ كـانَ من علقٍ فليسَ ينكرُ مـا يكون من عـلق فـيـه عـلى نَسَقِ

لى الثَّـبـاتُ بأصلٍ لا يزايـلنى وحكمه فى الَّذى عِنْدى مِنَ القلق

ومـــا أرى لى من شيءٍ أبـثُّ بهِ إليـــه إلا الذى عِندى مِـنَ الملقِ

وقد قرأتُ على نفسى مخافةَ أن تصيـبُنى العيـنُ فيهِ سـورةُ الفَلَقِ

﴿وقال أيضًا﴾

العـــينُ واحــدةٌ والأمـــرُ واحــدةٌ والكثـرُ مـا قـامَ إلا بالذى أمَـرَا

والواحدُ الفردُ قـد قامت به نَسَبٌ فصـارَ من قيل فردٍ فـيه قَدْ كَـبرَا

لَمَّا تَعَـــدَّدَتِ الأسـمـاءُ قِـيلَ لنا أينَ التـوحدُ والتكثـير قـدْ شَهَـرَا

وهذهِ نسـبٌ ولا وُجــودَ لهـــا والحكم ليس لمعـدومٍ وقـد ظَهَـرَا

﴿وقال أيضًا﴾

رأيت فى الواقعـة عز الدين بن عبد السـلام الفقيه الشـافعى وهو على مصطبة كالمدرسة يعلم الناس المذهب، فقعدت إلى جانبه فرأيت إنسانًا قد أتى إليه يسـأله عن كرم الله تعالى فكان ينشده بيـتًا فى عُمُومِ كـرَمِ الله ﷺ تعالى بعباده فكنت أقـول له إنَّ لى فى هذا المعنى بيتًا من قصيدة فكـلما جهدتُ أن أتذكَرَهُ لم أتـذكَّرْهُ فى ذلك الوقت، فكنت أقـولُ له إنَّ الله تعالى قـد أجرى على لسانى فى هذا الوقت فى هذا المعنـى ما أقوله، فقال لى قل وهـو يبتسم فيُنطقنى الله تعالى بأبيات لم تَرْرِقْ سَمْعِى قبل ذلك ﴿وهى﴾

الله أكْـــرَمُ أنْ يَحْظى بِنِعْـمـــتـه الطائعون ويَشْـقى المجرمُ العَاصِى

وإنْ شـقـى فكالآمِ يُصـيبُ بـهـا المؤمنيـنَ فـمنْ دانٍ ومنْ قَـاصِى

وكلهـمْ عـــالمٌ باللهِ مـــــتندٌ إليـه مـفلـسـهم ورب أوْ قـاصِ

فكان يبتسم، فبينما نحن كذلك إذ مرَّ القاضى شمس الدين الشيرازى رضى الله تعالى عنه، فلما أبصرنى نزل عن بغلته وجاء فقعد إلى جانب العز ابن عبد السلام، ثم أقبل علىَّ وقال لى أريد أن تُقَبِّلنى فى فمى فضمنى وقبلتُه فى فمه فقال العز بن عبد السلام: ما هذا فقلت له أنا فى رؤيا والتقبيل قبول يطلبه منِّى فإنه شخص قد حسن الظن بى وقد خطر له قصر أمله، وقبيح عمله، واقتراب أجله، ثم قمت فعضدته حتى ركب وانصرف، ثم قال لى العزُّ بالإيماء والتلويح لا بالتصريح كيف حالك مع أهلك، فكنت أنشد بيتين ما طرقا سمعى قبل ذلك، بل كان الله ينطقنى فى ذلك الوقت بهما وهما:

إذا رأى أهل بيتْى الكِيسَ ممتلئًا ... تَبَسَّمتْ ودَنَتْ منِّى تمازِحُنِى

وإنْ رأتْهُ خليًا من دراهمه ... فكرهَتْ وانثنت عنِّى تُقابِحُنِى

فكان يقول لى فى إشارته كلنا مع الأهل ذلك الرجل، والله لقد صدقت وههنا انتهت المبشرة والله الواقى.

«وقال أيضاً يشير إلى شخص معين»

واللهُ لا نالهُ مما أنا سَيدٌ ... من المعارِفِ والزُّلفى ولا لَبدُ

ولا تعينُ فى شىءٍ يكونُ لنا ... ولو يَعيشُ الذى قدْ عاشَهُ لبدُ

لله قومٌ لهم علمٌ ومعرفةٌ ... وهم عليه إذا يدعوهمُ لَبَدُ

عمىٌ وأبصارهم بالنور ناظرةٌ ... لو يشهدونَ الذى شهدْتُهُ شهدوا

لا يشهـدونَ وإنْ قامتْ حَقَـائِقُهمْ ... بِهمِ مُـعـايَنَـةً من ربهم شَـهِـدُوا

إنَّ العـبـيـدَ الذيـنَ الحقُّ عَـيَّنَهم ... لنفـسهِ واصطفـاهمْ كُلُّهم عَبـدُوا

جـلالهُ واسْـتَـمَـروا فى عِـبـادته ... ولو تجلى لهمْ فى عَـيْنهم عَبَـدُوا

ولا ترددُ فـــــيــــــهِ مـن تَرَدُّدُهُ ... إلا رجـال به من نَفْسِـهم عَبَـدُوا

من أجْلِه قـام بى ما يَشْـهدونَ به ... المسكُ والندُّ والتـخليقُ والجسـدُ

وإننـى لِتَــــجَـلِّيــــهِ إذا نـظرتْ ... عـين المحققِ فـى ذَاتِى له جَسَـدُ

لما تعــينَ منى مــا اتَّصَــفْتُ به ... لذاكَ قــامَ بمنْ يدرى بهِ حَـسَـدُ

دنوا من الحضرةِ العلياء حينَ بَدتْ ... أعـلامُ صِدقِـهِمُ منهمْ وما بَعُـدُوا

إن أُسْدِلَتْ حُجُب الأغْيارِ ودونهمُ ... أبقـاهمُ وبرَفْعُ السِّتر قـد بَعَـدُوا

لله قَــوْمٌ غُـزاةٌ مــا لهم عَـدَدٌ ... وإنَّ أسـماءَه الحسنى هِىَ العـددُ

مـقـدَّم العسكـرِ الجرّارِ سـيـدُهُم ... وهمْ كثيـرونَ لا يُحصْى لهمْ عَددُ

إن ينصـروا اللهَ ينصرهمْ بهـمَّتِـهِ ... ومِنْ خَـــوَاطِرهم يَـأتيــهم المَدَدُ

تاهَ الزمـانُ فلمْ يظفـرَ بحَصْـرهمُ ... ومـا حَـواهم فلم تقطعـهم المددُ

لَمَّا تعـرضَ لى منْ كنتُ أحـسبُـهُ ... مَـعى ومسـتنَدى لم يَبْقَ لِى سَنَدُ

منْ كانَ أسمــاؤه الحسنى له سندًا ... مـعنعـنًا فى ترقـيـه عـــلا السندُ

﴿وقال أيضاً﴾

أقْنع بمـا قـد جَــرى به تَسْـلَمى ... فـإنه مَــا اسـتَـقَـرَّ بـى قَـدَمِى

وإنّنى جَـامعٌ كَـمـا جَـمـعتْ أسـرارُ كَـونْـى جَـوامعَ الـكَلِم
فـبـانَ لى أننى وإنْ حَـدّثتُ ذاتِى على مَـا تَـرَى عَـلا قَـدَمِى
لكن علـى حَـالة الثُّـبـوتِ وإن أوجـدنى مـا بَـرحتُ فى العَـدَمِ
وكلُّ مـا قَـد قلت أخـبـرنِى بـه إلـهى فـى الـلَّـوحِ والقَـلَـمِ
فـمـا أُبَالى بِـمَّـا يفـوتُ إذَا كـان الـذى قـد ذكـرتـه حُكْمِى
مـا هِى شىءٌ سـواه فـاعْـتَـبـروا فى نسـخـه النور من دُجى الظلمِ
فـتلكَ غـيـبٌ وذا شـهـادتُهُ قـامتْ له فى الشُّـهـودِ كـالعلمِ

﴿وقال أيضًا﴾

منْ لِـى بِمَـنْ أرْتَضِـيـهِ فى كـلِّ مـا أمْـضِـيـهِ
ممـا أراه سَـدَادًا والحبُّ لا يَـقْـتَـضِـيـهِ
فـشـأنُهُ الأمـرُ فـينا وحـبنا يـمـضـيـهِ
سُـبـحـانَـه وتَعـالى فى كـلِّ مـا يَقْـضِـيـهِ
فـكلُّ مـا جَـاءَ نِـهُ هـو الَّذى أرتَـضِـيـهِ

مـا كُلُّ مـا أنـا منْهُ وكلُّ مـا أنـا فِـيـهِ
يَرْضَـى به غـيـرُ عَـبْـدٍ لِسـرِّهِ يَـصْطَـفِـيـهِ

إذا تَـــألَّـــمَ مِــنْـــه حُــبًّـــا به يَـشْــفِـيــه

لـذا تَـعَــــوّذْ منـه بعَـــسَـى يكْـفِـيــه

هَــذَا الَّــذى قــلــتُ عــنــهُ سَــمِـعـتُـهُ مِنْ فِـيــهِ

فـى حـــالـةِ الـنَّومِ عَـنِّـى بِه وعـن مُـعْـتَـقِـيــه

سُــبْـحــانَـهُ وتَعــالى نــأى عــن الـتَّـنـزيــه

فــالحَـــدُّ فـى التَّـنزِيـه كـالحـدِّ فى التَّـشْـبِـيــه

فــحَــدُّه كـل حَـــدٍّ لـلخَـلْقِ إذ هُـوَ فـيــه

بـل عَـيْـنُـهْ ولهـــذا تراه يَـسْـتَـوفـيــه

﴿وقال أيضاً﴾

لم يَأتِ غَـيْـرِى بمِثل قَــوْلى فكـلُّ مــا قلتُ عـنهُ قلـتُـهْ

لا بل هو الـعـينُ من وُجــودِى فـحـيثُ مـا كـانَ ثَمَّ كنتـهْ

حـقًـا فـمـا فـى الوجُـودِ غـيـر تَراه عــيْنى إذا شَـهِـدتَه

واللهِ لـولا وجـــــود لَـوْلا مـا جــهل الخلق مـا أردته

﴿وقال أيضاً﴾

إنى أقَـمْتُ لديـنِ الله أنْصُـرُه والنصرُ منه كمـا قد جاء فى الكُتُبِ

لأننى حَـاتِميٌّ الأصلِ ذو كَـرَمٍ من طيءٍ عـربىٍّ عن أبِ فَـأَبِ

ورُتْبتِى فى الإلاهيـاتِ يَعْلَمُـهـا ... مـا نالَهـا أحدٌ قَـبْلى مِنَ العَـرَبِ
إلا النبىُّ رسـولُ الله سـيـدُنا ... وراثـةً للـذى عـندى مـن الأدَب
وإننى خـاتم الأتبـاعِ أجـمـعُـهم ... أتبـاعُه رتـبةً تسْـمـو على الرُّتَبِ
من جملة القومِ عـيسى وهوَ خاتمُ من ... قد كـان من قبلـه حيًا بـلا كَذِب
وفى شـريـعـتنا كـانـت وِلايتـه ... دونَ الرسـالةِ لمّا جاءَ فى العَـقِبِ
فنحن من كـونه فى الأمـرِ تابِعُـه ... بمنزل العـالَمِ الـعُلْوى كـالشُّـهُبِ

﴿وقال أيضاً﴾

إذا حَـسَّنتَ ظنـكَ بالرِّجَـالِ ... علـوتَ به وربَّاتِ الحِـجَـالِ
وإنْ سـاءتْ ظنونُكَ يا حَـبِـيبى ... فـأنت لسـوء ظَـنِّك فى سِـفَـالِ
ومـيـزانُ الشـريـعـةِ لا تَزِنْه ... بميـزانِ التَّـفكرِ والخَـيَـالِ
وإنكَ إنْ أصَـبْـتَ به لِـوَقْتٍ ... غلطـتَ به فَـتُلْحَـقُ بالضَّـلالِ
تميـزتِ الخـلائـقُ فى سَنَـاها ... فَـأَيْـن الوَاجِبـاتُ مـن المحَـالِ
إذا عـاينت مـا لا يَرْتَضِـيـه ... إلهكَ قـد حَـلاَلِـى عـينُ حَـالى
بمـرآه الذى عـانـيـتَ منـهُ ... وفـيـهِ مـا يذمُّ من الـفِـعَـالِ
أتتك وصـيَّـتى تسـمـو اعـتـلاءً ... على مـا كـانَ منْ كـرمِ الخِـلالِ
فـسوءُ الـظنِّ يحرمُ منـكَ شَرْعًـا ... وحـسنُ الظنِّ يُـلْحَقُ بالحـلالِ
وإنْ كنتَ الإمـام تقـيم حَـدًّا ... أقِـمْـه كَـمَـا أمِـرْت ولا تُبـالِ

ولا تُتْبِعْه سوءَ الظنِّ فيه ... به تَأمن عَليك من السُّؤال

فإنَّ اللهَ سائلُ مَنْ أتاه ... بهِ يومَ القطيعَةِ والوِصالِ

وعبدُ الله ليسَ بِحُكْم ماضٍ ... ولا آتٍ ولكنْ حكمُ حَالِ

«وقال أيضاً»

ارتباطُ السُّقْمِ بالعَرَضِ ... كَارْتِباطِ الجسمِ بالعَرَضِ

فإذَا نَيْلتَ فعافِيَةٌ ... وانْتَفَى ما كانَ منْ مَرَضِ

فانْظُروا فيما ذكرتُ لَكُمْ ... تَسْلَمُوا مِنْ عِلَّةِ الغَرَضِ

فَوُجُوبُ الزُّهْدِ فيهِ لِذى ... نظرٍ وُجُوبُ مُفْتَرَضِ

والذى تَخْفَى مَقاصِدُهُ ... إنه يَصبرُ عَلَى مَضَضِ

ويُعْزى نَفْسَه فى الَّذى ... فاتهُ بقوله لوْ قَضَى

وتمجُّ النفسُ فى حِكْمَتِه ... فَتَراهُ دائمَ الحَرَضِ

تارةً يموتُ منْ شَرَقٍ ... تارةً يموتُ مِنْ حَرَضِ

وإذا ما مات من غصَصٍ ... ربما يُظَنُّ فِيه رِضى

والذى تَفُوتُه حُكْمى ... ما لها واللهِ منْ عِوَضِ

هى كالمصباح نيِّرة ... مدَّه زيتٌ يكاد يُضى

ما له مَيْلٌ إلى جَهةٍ ... لوجودِ الاعتدالِ مَضِى

﴿وقال أيضاً﴾

إنَّ لِى مَـعْنىً أعـيشُ بهِ ... هُـوَ مِنّـى مِـثْـلَ نَا وأنَـا
فَـيَـقُـولُ الشـرعُ أنـتَ هنا ... ويقـولُ الـكشفُ لـستُ هُـنَا
كلُّ مَـنْ تَعْـدوه حِكْمَـتـهُ ... فـهـوَ فى تُعـمى بـهـا وهُنَا
وجـمـيعُ الخـلق ليس لَـهمُ ... منْ غِـذَاءٍ غـيـرهمْ فَـبنَا
فـبنا كـانتْ عَـوَارِضُنا ... وبـه كُـنَّـا لَـه سَـكَـنَـا
ويقـولُ العـقـلُ فيـهِ كَـمـا ... قـالَه مـدبِّر الـزَّمَنَـا
وهو لا يـدرى زَمَـانَـتَـهُم ... فـتـراه يَـعْـبُـد البَـدَنَا
والـذى أحْـوَالُه هَـكَـذا ... مـا هُو إلا عَـابِدٌ وثَـنَا
فـإذا قَـامَـتْ شَـوَاهِدُهُ ... عِنْـدَه مَـضَى لَـهـا وثَـنَا
عَطْـفُـهُ عَنْهـا وغَـادَرها ... عـدمًـا واسْـتَلْـزم السُّنَنَا
وأتى لـكلِّ خَـافِـيـةٍ ... فـأتى بـهـا لهم عَلَـنَا
وأزال الابْـتِـداع ولـم ... يَـرَ إلا الفَـرْضَ والـسُّنَنَا
كلُّ مـا فـى العلمِ يَـشْـهَـدهُ ... لـيـس شـىءٌ عـنـده بَـطَـنَـا
فَـمَـتى مَـا قـال قـائِلُهم ... حكمـةَ الإخـفـاءِ عَنْـهُ بَنَى
قل لـه جَـهِلْت صُـورته ... فـانظروا مَـا ضَـمَّنَ اللُّـسنَا
مـن يـقـلْ نـحـنُ بـهِ ولـهُ ... فليَـقُـل أيضًـا بِنا ولَـنَا

﴿وقال أيضاً﴾

ولستُ لِمنْ أُجَالِدُه بِغَيْرٍ ... جزاءً إذ أُجالِده كِفَاحَا

ولكنِّى أجالدُ فيهِ نَفْسِى ... وأبغِى الفوزَ فِيه والنَّجَاحَا

﴿وقال أيضاً﴾

يا من يُحَيِّرنى فى ذَاته أبدًا ... تنزيههُ والَّذى قَدْ جاءَ فى الشَّبهِ

إنْ قلتُ ليس كَذا قَالَتْ شريعَتُه ... صدِّق بتنزيههِ العالِى وبالشَّبهِ

لِلْحَالَتَينِ مَعًا الذاتُ قابلةٌ ... فأنتَ لا أنْتَ إذ يَدعوكَ بالشَّبَهِ

وقدْ رأى كلُّ ذى فكرٍ وذى بَصَرٍ ... الفرقَ بينَ وجودِ التِّبْرِ والشَّبهِ

﴿وقال أيضاً﴾

إنى وليتُ أمورَ الخَلق أجْمَعُها ... شَرْقًا وغربًا وإنى بيضةُ البَلدِ

وما أُنفذُ أمرًا فى الوجُودِ فَمَا ... يبدو مَقَامى فمَا يَدْريه مِنْ أحدِ

وما أُغالِطُ نَفْسى حِينَ أسمعُ ما ... أدعى بهِ منْ أمامِ سيدٍ سَنَدِ

أتابعُ الحقَّ فيمَا شَاءه وقَضَى ... قبلَ الوقوعِ عن إذن السيِّد الصَّمدِ

فينفذُ الأمرُ بى فى كُلِّ آونةٍ ... ولا تَرى الخَلقَ إلا صورةَ الجَسَدِ

عجزًا وفقرًا وكتمًا لا يُزايلنى ... وإننى أحْدىّ الذات بالأحَدِ

وعينُ ذكرِ مقامى سَتْرهُ ولذا ... صَرحْتُ إذْ قبلَ الأقوامُ مُسْتَندى

فقال قائلهم دعواه قد عريت عن الدليل وهذا عين معتقدى

﴿وقال أيضاً﴾

سبحان من كون السماء والأرض والماء والهواء

وكون النار أسطقسا فاكتملت أربعا وفاء

صعد ماشاءه بخارا وحلل المعصرات ماء

ولم يكن ذاك عن هواها لكنه كان حين شاء

وإنما قلت حين شاء من أجل من شرع الثناء

مع القبول الذى لديها فميز الداء والدواء

منازل الممكنات ليست فى كل ما تقتضى سواء

فالأمر دور لذاك كانت فى الشكل كالأكرة ابتداء

تحركت للكمال شوقا تطلب فى ذلك اعتلاء

والأمر لا يقتضيه هذا بل يقتضى أمرها انتماء

لولا وجود الذى تراه ما أوجد الصبح والمساء

والحكم بى ما استقل حتى أوجد فى عينها ذكاء

من ضده كان كل ضد فلم يكن ذلك اعتداء

أضحكنى بسطه ولما أضحكنى قبضه تناءى

من كونه مانعا بخلنا والمعطى أعطى لنا السخاء

فلو عَلِمْتَ الذى عَلِمْنا | رأيتَه كلَّهُ عطاءَ
صَيَّرنى لِلَّذِى تراهُ | على عُيونِ النُّهى غِطاءَ
وأثْبتُ الحكْمِ ما تراه | مِنْ خيرٍ أو ضِدِّه جزاء
وهو صَحِيحٌ بكل وجهٍ | أثْبَتَهُ الشارعُ ابتلاءَ
فقالَ هذا بذا فَفَكرْ | إذْ تَسمعُ القَولَ والنِّداءَ
والجودُ مَا زال مُسْتَمِرًا | أودَعَه الأرضَ والسَّماء
قَدْ جَعَلَ الله ما تراه | منها ومنْ أرضِها ابتِنَاءَ
فقال إنِّى جَعَلْتَ أرْضِى | فِراشَها والسَّمَا بِنَاء
فالأمْرُ أُنثى تمدُّ أنثى | لكنهُ رجَّحَ الخَفَاءَ
مِنْ غِيرةٍ كان ما تراه | مما به خَاطَب النِّساءَ
فَذَكَرْ البَعْلِ وهو أنثى | وعند ذاك اسْتَوى اسْتِواءَ
من يعرفِ السِّرَّ فيه يَعْثر | على الَّذِى قُلْتُه ابْتِداءَ

﴿وقال أيضاً﴾

إنِّى العَمَاءُ ولا عماءٌ لِذَاتى | وأنَا الَّذِى أتى ولَسْتُ بآتِى
إن كانَ مَنْ نبغيه عينَ وجودنا | فلِمَنْ أنا أو مَنْ يَكُونُ الآتى
ما فى الوجودِ سوى الوجود وإنه | عينٌ ترى فى النَّفْيِ والإثْبَاتِ
ما تبصرُ الأشياءَ إلا عينها | فبها رآها وهيّ عينُ الذَّاتِ

عينُ الجهولِ هو العليمُ وإنَّ ذا
علمٌ قريبٌ عندَ كلِّ مُواتِ

عَينُ التولُّدِ النِّكاحُ مُحَقَّقٌ
فالأمرُ بين أبوةٍ وبَنَاتِ

والأمر كالأعْداد ينشيء عينَها
الواحِد المعقولُ فى الآياتِ

تعطيه ألقَابًا ويُعطيها به
أكوانها بشهادة الاثْبَاتِ

هو وَاحِدٌ ما لم يحدَّ بسيرةٍ
فَإذا يُسافِر فَهُو فى الأمْواتِ

لولا التنقلُ لَمْ نكنْ ندرى به
ألقابُ أعداد وعَيْنُ ثَباتِ

هوَ عينُها لا غيرُها فتكَثَّرتْ
بوجودهِ فيها وذكر سِمَاتِ

البنتُ يَغْشاها أبوها وهىَ قدْ
وَلَدتْه ذا مِنْ أعْجَبِ الآياتِ

سندُ الوجودِ معنعنٌ ما فيهِ منْ
خُرمٍ ولا قَطْعٍ ولا آفاتِ

«وقال أيضًا»

لولا قَبُولى ما رأيتُ وجُودى
وبه مَنَنْتُ علىَّ حال شُهودِى

إياىَ فانْظر فِى معالِم حِكْمَتى
يدرِى بها مَنْ كان أصل وُجُودى

وربها تميزُ منْ كتابى كونهُ
ولمَّا قَضى فى عِلْمِهِ بمزيدِ

وهوَ الغنىُّ ولستُ أعرفُ ذاتَهُ
إلا به وتجلُّ عن تَحْديدِى

لما علمنا جودَه بِوُجُوده
بالافتراقِ خرجْتُ عنْ توحيدِى

الله يعلمُ أنَّنِى ما كُنْتُه
أو كاننى إلا بخطٍّ جُدُودِى

جَرَّدتُ عنْ أسْمائه وصِفَاتِهِ
ووُجُوده ووجُوهُه بِحُدودِى

لولا اعْـتِـرافى بالَّذِى هو نَشْـأتى ... مـا قلتُ بـالتَّـثْلِيثِ والتَّــفْـرِيدِ

﴿وقال أيضًا﴾

إذا ذكرتَ الَّذى بـالذكر يَحْجَـبنى ... عنه ويَحْـصُـره ذِكـراه فى خَلَدِى

الذكـرُ باللَّفظِ عينُ الذكـرِ منهُ بنا ... فنحنُ نذكـــرُه فى حَـالةِ الرَّصْـدِ

لولا تَحَـوُّلُهُ فِى العينِ فى صُـورٍ ... ما صحَّ ذكرٌ على الوجهينِ منْ أحَدِ

والذكرُ بالقلبِ ذكـرٌ لا حُروفَ لهُ ... لأنَّه واحـــدٌ من سَـــاكِنى الـبَلَدِ

إنى أرى نشـأةَ الديـهـورِ قـائمـةً ... وهىَ الَّتى خُلِقَتْ بالطبعِ فى كَـبدِ

هو النَّزيه الَّذى لا شىء يُـشبـهـه ... وإن تَقَـيّـد لى بالجسْـمِ والجسَـدِ

هوَ المقـيـــدُ فى الإطلاقِ صـورتُهُ ... فهـو الكثيـرُ بِكَثْرٍ لَيْـس عن عَدَدِ

لكنهـــا نسبٌ والـعـينُ واحـــدةٌ ... هوية دُعـيتْ بـالواحـد الصَّـمَـدِ

ألفيتُ أسـماءَه الحسنى بحـضرتنا ... تسعًا وتسـعين لم تنقصْ ولم تَزِدِ

فكمُلتْ مـائـةً فـيـهـا حـقـائقنا ... وغبتُ فيهِ مغيبَ الشَّفْعِ فى الأحَدِ

﴿وقال أيضًا﴾

الحقُّ تـوحـــــيــــــدٌ ولكـنهُ ... كـــثـــرهُ فى بَصَـرِى عـــينهُ

وعِلَّة الـتَّكْثـيـــرِ أحـكامُــهـــا ... لأعْـــيُـننا فكونـنا كَــــــونَهُ

لا كـــون للأعْـيَـــانِ فى ذاتِهـــا ... وإنَّـمــــــــا الكـونُ لَـه بَـيْنَـهُ

﴿وقال أيضاً﴾

اللهُ أكبـــرُ مَـا بالدَّارِ مـن أحَـدِ ... وما خَلَتْ وهى عِنْدِى عينُ مُسْتَندِى

دارُ الوجـودِ تُسَمَّى وهوَ مظهَـرُها ... ومـا الوجُودُ سـواها عِنْدَها وقَـدِ

ما إنْ ذكـرتُكَ باسمٍ لستُ أعْـرِفهُ ... إلا ويوجَـدُ لى مَـعْناهُ فى خَلَدِى

وكـانَ فىَّ ولمْ أشْـعُـرْ بموَضِـعِـهِ ... كَمَوضِعِ الرُّوحِ لا يَدْرِى به جَسَدِى

شواهدُ الحالِ فى الأشـياءِ تُعْلِمُنى ... بهـا فـأصْبَحُ فـى مَعْلومَـةٍ جُـدد

يُمْسِى عليـها رجالٌ مـا لَهُمْ عددٌ ... يُغْنِى الأمانُ الَّذِى فيـها عَنِ العَدَدِ

هى السـبيلُ إليـهـا فهى غَـايتهـا ... مثل التَّـرادُفِ فى الأسمـاءِ بالعَدَدِ

علمتُ مِنْهـا عُلومًا لم يكن أحـدٌ ... يدرى بها غَيـرَ أهْلِ العلم بالرَّصَدِ

لهمْ رقـيبٌ عليـهمْ مِنْ نفوسـهمُ ... لا يعلمـونَ بهِ يَهْدِى إلى الرَّشَـدِ

ضَخْمُ الدَّسـيعةِ وَهَّابٌ أخـو كرمٍ ... ربُّ الجزورِ وربُّ الوَهْـبِ والرِّفَدِ

إذا تُحـــرِّكُـهُ الأنواءُ تَحْـسَـبُــهُ ... كأنه البَـحْرُ يَرْمِى السَّـيفَ بالزَّبدِ

إن كـانَ ينصـره من كـان يخـذله ... فـلا تناقضَ بـينَ الفـردِ والأحـدِ

أنهى إليكم كـتـابًا فـيـه ذكـركمُ ... لِتَـعْـقِلُوا عنه مـا يُـلْقى بلا سَنَدِ

منَ الأقـاولِ منْ فَـقْـرٍ ومنْ بخلٍ ... من أجل قَرْضٍ وإمـساك عن المُدَدِ

﴿وقال أيضاً﴾

مَـــا قَـــدَرَ اللهَ حـقَّ قَـــدْرِهِ ... إلاَّ الَّذِى كـــان عَـــيْنُ أمـــرِهِ

وكَـــانَ حَـــقًّـــا بـلاَ خِــلافِ فى بَـطْنِـهِ دائمًـــــا وظَهْـــــرِهِ
وكَــــانَ عَــــيْن الـكَلام مـنهُ بِســـــرِّه كَــان أو بـجَــهْـــرِهِ
فــــهـــو الإمـــامُ الَّذى يُـرجَى ومـــا يُرجـيــهِ عَــيْنُ سَتْـــرِهِ
أخِـــــرَه حِكمَــــــةٌ وعِلْمَـــــا بـأنّه عَــــــارِفٌ بِقَـــــدْرِه

﴿وقال أيضاً﴾

الحــمــد لله حــمــداً لله بـالله ولَيس من حَيث مـا تدعوه باللاَّهِى
فـلا يقـيِّـده وسمُ ولا صــفـة بنعتِ سَـلْب ولا بنَعْت أشـــبْـاهِ
سـبـحـانه لا بتـســبيحِ هَويتُـه ذاتُ المسبِّح لكن لا تَقل مَـا هِى
هوية مـا لها فى العـينِ من خبـرٍ ولا تنـالُ بأمْــــوَالٍ ولا جــــاهِ
هىَ الغـنيــةُ مـا تنـفكُّ طالبــةً قرضًا من الخلقِ من لاهٍ ومن ساهِ
انظرْ بإيـمـانِ عـــقلٍ بلْ بفـطرته فـجملةُ الأمـرِ أنَّ السرَّ فى البـاهِ
هذا تـولدَ عـنْ هذا فـــــوالدهُ هذا فـيـا حيـرة المفـتـون فى اللهِ
إنى لأبصـــره فى عَــيْن ســادنهِ وهو المـليكُ به الآمـــر النـاهِى

﴿وقال أيضاً﴾

مــا دُمْـيَــةُ أنشــأها قــالبى فى قلبـــهِ يعـبـــدهـا عـــذلِى
فـيـهـا وفيـهم مـثلهـا غـيـرَ أنْ قـدْ جـهلوا مـا هـوَ مـعلومٌ لِى

إن أنْصفَ العقلُ رآها وقَدْ ... ألحقت المدبرَ بالمقبل
فى كُلِّ حالٍ عندها صُورهُ ... يَشْهَدُها العالى إذا يَعْتَلى
كاملةً فى ذاتِها مِثْلَ ما ... يَشْهَدُها السَّافِلُ فى الأسْفَلِ

﴿وقال أيضًا فى لزوميته﴾

ما إنْ ذكرتُكَ فى سرٍّ وفى عَلَنِ ... إلا وذكْرُكَ يُسْلِينى ويُطْرِبُنِى
وليس يَحْجُبنى بالبُعْد عنه بلى ... القربُ منه على التحقيقِ يَحْجُبُنى
ذِكْرِى به ليس ذِكْرِى فهو ذاكرهُ ... بنا ومنْ بَعْدِ ذا بالذكرِ يَطْلُبنى
قد حِرْتُ فيه كما قد حِرت فىَّ وما ... أعاتِبُ النفسَ إلا ظَلَّ يَعْتِبُنِى
فما عرفتُ سوى نفسٍ وما عرفتُ ... ربِّى ومَنْ لِى بها والعجزُ يَصْحَبُنِى
والله ما نظرتْ عينى إلى أحدٍ ... إلا رأيتك تَبْكِينى وتَنْدبُنِى
خوفًا على الملكِ أن يحظى به أحدٌ ... سواك غيرة سلطانٍ يكَبْكِبُنِى
تَوَلَّد الأمرُ ما بَيْنِى عَلى سَخَطِ ... وبَيْنه ولذا أضحى يُقَرِّبنى
فلو تَولَّدَ عن قُربٍ تَخَيَّلهُ ... وهمى لأصبح بالبَلوى يُعَذِّبنى
فما ابْتُلِيتُ ولكنى أراه إذا ... رأيتُ رأيًا على كُرهٍ يُصَوِّبنِى

﴿وقال أيضًا﴾

أجوعُ معَ الوُجْدانِ من أجلِ جائعٍ ... مَخَافَة أنْ أنساه واللهُ سَائلى

وأطْلُب قَرْضًا اقتداء بِخَالقي وأرهَنُ فيهِ للتأسِّي غَلائِلي
وأحْفَظُ خَلْقَ اللهِ دُونى فإننى على خُلقِ الرحمنِ جَمُّ الفَضَائلِ
وقالَ لنا منْ كانَ يعرفُ أصْلَنا على ذا جَرَتْ أسْلافُكم فى الأوائلِ
فَأخْوالنا خَوْلانُ والعمُّ طَىءٌ بناةٌ العُلَى فى كُلِّ عالٍ وسافلِ
يَجُودونَ إنْعامًا على كلِّ نائلٍ وما الناسُ إلا بينَ مُعطٍ ونائلِ
بُحورٌ ذَوُو بأسٍ صَدورٌ أئمةٌ فلا ما دَرَّ فيهم ولا عىَّ باقلِ
يَرَون لمنْ يُولُّونه يدَ نِعْمةٍ عليهمُ هم أهل النَّدى والوسائلِ

﴿وقال أيضاً﴾

روحٌ يُذكَّرُ والأنثى طبيعتهُ فكُلَّ عَيْنٍ فمن أُنثى ومِنْ ذَكَرِ
هذى فِرَاشٌ وذا سَقْفٌ يُظَلِّله والأمرُ بينهما يجرى على قَدَرِ
للهِ حكمُ اقتِدَارٍ لا يَزايلُه كما القبولُ لنا فاسْلكْ على أثَرِى
والكونُ عَنْ أصلِ شَفْعٍ لا وجودَ لهُ فى الوِتْرِ فاعلم وكنْ منهُ على حَذَرِ
والرابطُ الفردُ لا ينفكُّ بينهما لولاهُ ما كانَ ما شاهدتَ من صُورِ
عقلاً وشرعًا وتنزيهًا لمعرفةٍ وليس فى العلم إنْ أنصفْتَ من خَطَرِ

﴿وقال أيضاً﴾

منْ طلبَ الدينَ بالكَلامِ زَنْدَقهُ الشَّرعُ والسَّلامُ

فَـاعْـدِل إلى الـشَّـرعِ لا تَزِدْه ... فَـإنه كُلُّـهُ حـرامُ
فَـإنَّ عِلْـمَ الكـلامِ جَـهلٌ ... يَرْمـى بهِ الحـالُ والمقَـامُ
مَـا الـدينُ إلا مـا قـالَ ربِّى ... أو قـاله السـيِّـد الإمَـامُ
رسـولُه المصطفى المرجىُّ ... عليـه مِـنْ ربِّه السَّـلام

﴿وقال أيضًا﴾

أرى المطلوبَ يكبـرُ أنْ يُصَـانا ... ويَعْـظُمُ أنْ يـقـاوِمَ أوْ يُـدَانَى
عَـجِبْـتُ لقـربِـه الأدنى بذاتِ ... مُنَـزَّهةً تَعـالتْ أنْ تُهـانَا
تجلتْ والضِّـيـاءُ لهـا حِـجـابٌ ... وجلتْ أنْ نـراها كَـمَـا ترانَا
فـلا يحظى بهـا إلا حَـريصٌ ... وأمَّـا مَـنْ تكـاسلَ أو تَـوانَى
فَـيَنْسـاها وتَنْسَـاه وهَذا ... جـزاءٌ قـد تَـلَونَاه قُـرآنَا
فـمنْ يَقْـريـهِ لمْ يطعَم سِـواها ... وقـد حـازَ المكـانةَ والمكـانَا
كَـمـا أنَّ العَـليلَ إذا أتَـاهَا ... يخـصُّ به الزمـانةَ والزَّمَـانَا
ظلامٌ كـيفَ يَحْـجُـبُـه ونورٌ ... ونحن نـراه دونَهُـمـا عَـيَـانَا
فَـمـا أرجـو سِـواهُ لكلِّ أمـرٍ ... مـهمٍّ ليسَ يَعْـرِفـهُ سِـوانَا

﴿وقال أيضًا﴾

أحبُّ إذا أحْـبَبْتَ من يدرى مـا ... جـئتُ بهِ مِـنْ شَـرفِ الحبِّ

ولا تُضَيِّع حَقَّه إنه — فى غايةِ البُعْدِ مَع القرْبِ

وأحِنُّ عليهِ كالضُّلوعِ التى — قد انحنتْ خَوْفًا على القَلْبِ

عَاصمته من كلِّ سوءٍ كما — قد عَصَم السَّاعِدُ بالقلب

﴿وقال أيضًا﴾

اعْجَبُوا منَ إلهنا — مَثَلاً جِئْتكم به

ما لِمَن أوجد الورى — فى وجودى منْ مُشْبِهِ

إنَّه ثَابِتٌ بنا — وَأنَا زَائِلٌ به

﴿وقال أيضًا﴾

إنَّما قُلْتَ لِشَىْءٍ كُنْ فكان — بكلامِ الحقِّ لا قَولِ فُلانْ

مَهَّد العذْر لنا صَاحِبُه — بإشَاراتٍ ورَمْزٍ فى بَيَانْ

إنما كَان عَنْ أذْنى لا تَقُلْ — إنهُ كانَ عنْ إذنٍ لِكَيَانْ

يَتَعالى اللهُ فى إيجادِهِ — ما تَراه مِنْ جَمِيعِ الحَدْثانْ

عن شَرِيكٍ غَيرِ ما أثْبَته — حكمُ إمكانٍ لِشَخْصٍ ذى جَنَانْ

نظرَ اللهُ إليه نظرَةً — إذْ أتاهُ فى غَمَامٍ لا عَيانْ

ما حَديثِى لمْ يكنْ عنْ لمْ يكنْ — إنما أورده عن كانَ وكانْ

بلسان ومَقَالٍ وَاضِحٍ — ورُقومٍ بِيَراعٍ وبنانْ

وكَـــــــــــذا أوردهُ الله لـنـا   فى كـتـابٍ بلسـانِ التَّـرجُـمَـانْ

﴿وقال أيضاً﴾

إذا كَـانَ كلُّ اسمٍ يُسَـمَّى وينعتُ   بأسـمائـه الحسنى التى تـتفـاضلُ

فلا فضلَ فى الأسْماء إنْ كنت ذا حِجَى   وإنْ كـانَ مِنْهـا ذو عُلوٍّ وسـافلُ

فـمَا العـالُ مِنها فى التَّـرقى برتْقٍ   وما سَافلُ الأسماءِ فى الحكمِ نازلُ

فَـمَنْ فَهِمَ الأمْـرَ الذى قد ذَكَـرْته   فَـذَاك إمـامٌ فى الحكُومَـةِ عَـادِلُ

يسمَّى بقُطـبِ الدِّينِ فالعدلُ نَعْـتهُ   وليس أخو عِلْمٍ كَـمَن هُو جَاهِلُ

فإنْ ذَمَّـهُ ذو النَّقصِ فهىَ شـهادةٌ   بأنّ الذى قدْ ذمَّ فى الفـضلِ كاملُ

﴿وقال أيضاً﴾

الله أكـــبـرُ لَـكِن لا بأفْـــعَل من   إلا إذا كـــان عـينَ الخلـقِ كلهمْ

وقَـــدْ يكونُ ولكن عِـنْد طائفــةٍ   ما قال أهل النُّهى فـيهِمْ بِفَضْلِهِمْ

همُ الأكابـرُ لا تَدْرى مَقَاصـدَهم   ولا يعـــاينُ منهم غـــيــرَ ظِلِّهِمْ

أفناهـم الحقُّ عنه عِنْـدمـا فـنيت   بِه النفـوسُ فـعـــزٍّ وأبعـدُ ذُلهمْ

لو أنهم نـظروا بعـــينه عـبـــدوا   منهم لكـنهمُ فى غَـيْـر شَـكْلِهِمْ

ما يعـبد القومُ نفـسًا غيـرَ وَاحِدةٍ   تنزهتْ أنْ يـراها غَـيـرُ مِـــثْلهمْ

﴿وقال أيضًا﴾

الأمـــرُ لله والمأمـــورُ فى عَـــدَمٍ … فـإن أُضِـــيفَ لَه التكويـن يكْذبهْ

بل كُن لِـربك والتكوينُ لـيسَ له … وإنما هو للـمَـأمُـورِ يَصْـحَـــبُـهْ

كَـذا أتاك بِه نَصُّ الـكِتـابِ ومـا … أتى له ناسخٌ فى الحـالِ يَعْـقُـبُـهْ

سُـبْحـانه من غَنِىٍّ لا افـتقـارَ له … لِعـالمِ الكَوْنِ والأسْـمـاءُ تَطْلبـهْ

وهو المسَـمَّى بهـا والعينُ واحـدةٌ … ولو يصحُّ افـتـقـــارٌ صَحَّ مَطْلَبـهْ

مـا عند ربك عَـينٌ غـيرُ واحـدةٍ … وليس تدركـــه إذ عـــزَّ مطلبُـــهْ

﴿وقال أيضًا﴾

سُـبحـان مَنْ هو نائبٌ فى خَلْقِـهِ … عنـهم وهم نُـوابُه فى خَـلْقِـــهِ

فـالفِعلُ مـشـتَرَكٌ بظاهرِ حُكمِـه … حِسًّـا وإيمـانًا بموجبِ حَــقِّـهِ

فـالحسُّ يَـشْـهـد أنَّه مِنَ خَـلْقِـه … والكشفُ يَشْــهـدُ أنهُ مِنْ حَـقِّـهِ

وكـلاهما عـدلٌ وصِدقٌ مُـرْتَضَى … فِـيـمَـــا يَقُـولُ بحـالِه وبِـنُطْقِـهِ

جَـــاء الكتـابُ به فـــأيدَ قَـــولَنا … وهو الدليـل لنا عليـه لِصِـــدقِـهِ

اللـه يَخْلُـقنا ويـخلقُ فِـــعْلـنا … والأمـرُ مـسـتـورٌ بما فى حَـقِّـهِ

الأمـرُ بالتَّـدْبِيـرِ يجـرى حكمـهُ … ويقـولُ ذو الأوفـاقِ ذاكَ بوفـقِـهِ

الاتفـاق بجـهلـنا بحُـصُـولِ مـا … فى علمـهِ سـبـحـانهُ فى خَلْقِـهِ

﴿وقال أيضاً﴾

تَبـــــارك الله الـذى لم يَـزَلْ ... بما بهِ مـــتَّـصِـفًـا فى الأزلْ
سُـبْـحـانه من واَحِـدٍ مـا له ... قَـدْ عَـزَّ فـى سلطانـه ثم جَلّْ
أنكـرتِ الألبـــابُ بعـضَ الَّذِى ... جـــاءتْ بـهِ آياتـهُ والرُّسـلْ
وسَلَّمْــتـه بعــد مـا أوّلَت ... ظاهـرَه مِنْ خَـبـرٍ أو مَـثَلْ
إنَّ الَّـذى أعطـاهُ بُرْهَـانهـا ... لما بِـهـنـا مِـنْ زَيْغٍ أو مِنْ عِـلَلْ
فى قَلْبِـهـا كـذا أتى وَحْـيـهُ ... فى ذكـرِهِ منْ كلِّ خطـبٍ جَللْ
مـا اسْـتَغْنَـتْ الذاتُ التى بَرْهنتْ ... عن عَـرَض قـام بـهـا أو مَـحَلْ
إلا عن الـعــالـم من كـونه ... دليـلُ كـونٍ حُكْـمُـه لَـمْ يَزَلْ
وإنَّـهُ إنْ لمْ يـكـنْ قَـائـلاً ... لم يكُـن الكَونُ به واضـمـحلْ
فـالأمــرُ لا شكَّ على مـا تَرى ... فى عَـيْنه حـكمـةُ أهلِ الدُّوَلْ

﴿وقال أيضاً﴾

الحـمـدُ للهِ حَـمْـدًا لا يقـاومُـهُ ... تحمـيدُ حَـمدٍ ولا تحمـيدُ حَـمَّادِ
لا حَمدَ يعلو كحمدِ الحمدِ فاحْظَ به ... إنْ كنتَ تحـمَـدُهُ قَـصـدْقُـهُ بَادِ
فهـوَ الثناءُ الذى لا مـينَ يَصْحـبهُ ... ولا يجـوزُ عليـهِ خـرقُ مُعْـتـادِ

﴿وقال أيضاً﴾

تعـــالى اللــهُ لمْ يُدركـــهُ عـــقلٌ ... ولـمْ تُدْرِكْ سِـــواهُ إذا شَـــهِـــدْتَا

فـإنْ تَطْلبْ علـى مـا قلتَ فـيـه ... إذا أنصـــفـتـنى فـيـــه وَجَـــدْتَا

جِـمَـــاع الأمـرِ إنّ الأمـــرَ فـردٌ ... إذا رَكِـبْتَ فـــيـه علَيـك جُـدتَا

وأدركتَ المعـارفَ مُــوضـحـاتٍ ... ونـالَ بهِ دلِـيلُـكَ مــــا أردْتَـا

وسَـــاويْـتَ المنيب بكـلِّ وَجْـــهٍ ... رآه دلـيلُـه وعـليـــــــــه زِدْتَـا

أقـمتَ بهِ وجـودَكَ مـسـتـفـيـدًا ... فلمَّـــا أنْ حَـــبَـبــتَ به أفـــدتَا

وكنــتَ به إمَـــــامًـــــا ذا نوالٍ ... يَجُـــودُ بهِ نَـدَاك إذا قَـــصَـــدْتَا

ومَــهْـمَـا كـانَ نَجـدُ اللَّومِ تَبْـدو ... مَـعَـــالِمُـه لِعَـــينِكَ عنهُ حُـــدْتَا

فـأوفِـى بالعُـهـــودِ إليـهِ حَـــتَّى ... يكونُ لك الإلَـه كـمـا عَـــهِـدْتَا

ولازمِ بَابَـه بالبَـــاءِ واعْـــبُـــدْ ... بحـرفِ الـلاَّمِ يومًـا إن عَـبَـــدْتَا

ولا تنسى نَصِـــيبَكَ مِنْ وُجـودٍ ... تُحـــقِّـقـــهُ لديكَ إذا عَـــبَـــدْتَا

وحَـــاذر سَطوةَ المغـــرورِ يومًـــا ... بقلبك فى السُّـجـودِ إذا سَجَـدْتَا

نَدَيْتَ لِغَـــايةٍ سَـبَـــقتْ إليـــهـا ... جـيـــادُ العـــزمِ ثُمَّ لهـا أعَـــدْتَا

إذا مَـــــا رَايةٌ نُشِـــرَتْ لمجـــدٍ ... يمـينك نَحْـــوها شَـوْقًـا مـددتَا

﴿وقال أيضاً﴾

إذا مـا المرءُ غَـــابَ عنَ الوجـودِ ... فـمـتى تلقـاهُ منْ غطِّ الشـهـودِ

إذا نزلَ الأمِـــينُ عَلَيْـــهِ يُلْـقى … إليْـــه الـوحْىَ مِنْ عَـــيْـنِ المزيدِ
فَـــيُـفْـنِيــهِ الـفناءُ عَنِ الوجُـــودِ … ومـــا يُفْنِيـــــهِ إلا بالوُجُـــودِ
فَـــفِـــيــــهِ بِـه فَنَاءُ العَـــيْـنِ منه … وإن يَقْـصِـدْ يِســتـر بالجُـحـودِ
رَأيـتُ أهْـلَـهُ طَــلـعـتْ بُـدورًا … مكـمَّلَةً بمـنزلةِ الـسُّــعُـــــودِ

﴿وقال أيضًا﴾

إذا النَّظرُ الفِكْرِىّ كَـان سَـمِيـرِى … وكان وُجُـودُ الحقِّ فيـه سَجِـيرِى
وعَـزَّ لوجـدانِ الحقـيـقـةِ مطلبى … وكـان ورودى فى عَمًى وصـدور
تَيَـــقَّنتُ أنى إنْ تأملتُ خَـــاطِرى … وَجَدْت الذى أبغيه عَـيْنَ ضَمِيرِى
دَعانى إليهِ الشَّـوقُ من كلِّ جانبٍ … فكانَ بَشِـيـرى بـالهَـوى ونَذِيرى
نُفُـوسٌ عـفيـفـاتٍ أتينَ يَعُـدْنَنِى … وقـدْ ضَـــرَبُوا مـا بينهـنَّ بسـورِ
شـهِـدنَ علينـا إذ شـهِـدنَ بما لَنا … وحُـرْمَـةُ حُبِّى مَـا شَـهِـدْنَ بِزُورِ
لقد ذَهَبتْ فى حُسنِ ذاتى طوائفُ … ذهابَ خَـبِـيـرٍ بالأمُـورِ بَصِـيـرِ
أضَلُّوا عَلَى عِلْـمٍ فـضلُّوا وضَلَّلوا … فيا ليتَ شِعرى من يكون عَذِيرِى

﴿وقال أيضًا﴾

اسـتـغفْـر الله إنَّ الله يَغـفـرُ لى … مـا كَـان منِّى مِنْ ذَنْب ومِنْ زَلَلِ
لَقْـد حَبَـانِى بخَيْـرٍ لَسْتُ أعرفُـهُ … ما خَـابَ فِيهِ وفى إحـسَانُه أمَلِى

إني اعـتَمَـدْتُ علَيْـه فى تَصـرُّفِنَا ... مَا كَانَ مِن خَلْقِى فيهِ ومِنْ عَملِى

مَـا كَـانَ للهِ من حُكْمٍ ومن حكَم ... فـإنَّ تكوينَهُ عـنْدَ الحـقـيـقـةِ لِى

لله سِـرٌّ ومْن أسـمـائه ظَهـرتْ ... أحكَامهُ لَيسَ منْ شَمْسَ ولاَ زُحَلِ

وعندَمَـا اتَّصلَـتْ أنوارهُ وبَدتْ ... أنْواره فى عُلَى الأكْـوَانِ والسِّـفَلِ

تَرتَّبَ الحُكْمُ منها فى العَـمَاءَ وفى ... عَرْش استَواءٍ وفى الأفْلاكِ والدُّوَلِ

منهـا برُوجٌ أبانَتَـهَـا منَازِلُـهَـا ... مع الدَّرارى الَّتى تَجْرى إلى أجَلِ

أُعْطَتْ لِكـلِّ مَـقَـامٍ مِنهُ مُـدتَهُ ... منها سَرِيعٌ ومَـا يَمْشِى عَلى مَهَلِ

لذاك قـيلَ بأنَّ الدَّهْـر يَحْكُمُـنَا ... عن إذن خَـالِقـهِ فـى عَـالَمِ المُثُلِ

وجَلَّ قَـدْرًا فَلَمْ يُضْـرَبِ لَهُ مَـثَلٌ ... وليس يَعْـرِفـهُ عَـقْلٌ بـلا مَـثَلِ

أعْطَتْكَ أدوارُه عـلمًـا بِـسيـرَتِه ... فى خَلْقِـه وبمَا قَدْ كَـانَ فى الأزَلِ

به تسَـمَّى الَّـذى قـام الوجُـودُ بِهِ ... سُـبْحَـانَهُ جَلَّ عَن فِكْرٍ وعَنْ مِلَلِ

لا يرتَضِى من وجُودِ الخَلْقِ غيرَ فَتى ... يَأتى إليْـه مَـعَ الأمْـلاَكِ فى ظلَلِ

لِكَـونْهِ بـاسْـمِـهِ الله زَيـنه ... عَـلاته بالَّذى فـيـه مـن الحُلَلِ

مسـارعًا سـابِقًا والأصلُ يُعـضِّدُهُ ... بِقَـولِه خلَـقَ الإنْسَـانِ منْ عَـجَلِ

يقـول يا مُنتـهى الآمـالِ يا أمَلِى ... مـالى بكمْ أملٌ فى غَيْـرِ ذى أمَلِ

أمّا المسـيحُ الَّذى يُفنِى دُجًا جلكم ... وهم ثَلاثُـون لَمْ تَبْـرَحْ ولم تَزَلِ

حتى ظَهرْتَ فَـذَابُوا كالرَّصَاصِ يُرى ... تُذيبُـه النَّارُ بالأبْصَـارِ والُمقَلِ

مَشَتْ علـى السُّنَّة البيضـاءِ سُنَّتَنَا ... مـشى النبـيين والأمـلاكِ والرُّسلِ

ومَــــا أنـا بنَـبـىٍّ ولا مَلَـكٍ ولا رسُـولٌ وأرجُـو أنْ أُرى بَولِى

إنِّى لِمنْ أهْلِ مَنْ يَعلُو السـبيلُ به كَمَـا عَلوْتُ بها من سَـائِرِ السُّبُلِ

سـبيلُ أحْـمَدَ خَـيْـرِ النَّاسَ كلهمُ منْ سَادَ مَجْدًا على حَافٍ ومُنْتَعِلِ

ذاك الإمامُ الَّـذى صَحَّتْ سيَـادَتُهُ على الجـميع بيَوْم الحـادِثِ الجَلَلِ

أنْتَ المُعينُ لِـى فى كلِّ قـافِـيَـةٍ منَ المعَـارِفِ فى مَدْحٍ وفى غَـزَلِ

والله مـا نظَرتْ عَـينْى إلى أحَـدٍ إلاَّ رأيتُكَ فِـيـه وَاضـعًـا حِـيَلِى

وقَـبلْـهُ ومع المَنْظُـورِ فى قَـرَنٍ وبَعْـدَهُ لَسْتُ أبْغِى عَنْهُ مِنْ حَـوْلِ

أقولُ بالشَّـرْطِ فيـهِ لا أقُولُ كـما قَـالَـتْ أوائِلَـنَا يا عِـلَّة العِـلَلِ

الله أعْظَـمُ أنْ يُعْطـى هويتَـهُ بالذَّاتِ مَـعْلُولهَـا والذَاتُ لَمْ تَزلِ

لكنَّ أسـماءَهُ الحُسْنَى حَقـائِقُهَـا هى التى طَلَبَـتْـهُ وهى مِنْ قَـبْلِى

هَذَا الَّذِى قُلْتُـهُ الشَّـرْعُ جَـاءَ بِهِ كَـذَا رَوَينَاهُ عَنْ أسْـلاَفِنَا الأُوَلِ

﴿وقال أيضًا وكتبه فى دائر قاعة سكناه﴾

يا مَـنزلاً مـا له نَـظَيـرُ لمْ يـبقَ سُكنـاكَ فى الصُّـدورِ

همـا فتـسـمو بذاكَ قـدرًا على المقـاصـيـر والـقُـصُـورِ

ولم يـزل من تـكون مـأوى لهُ عـلى أكـمـلِ السـرورِ

فى غِـبْطةٍ وانتـظامٍ أمـرٍ فِـيكَ إلى آخـرِ الـدهورِ

﴿وقال أيضاً﴾

إنمــا المـــاءُ مـــن المـــاءِ روى	والذى مــذهبُــه ذا مــا رَوِى

قـــدْ روتْ ناســـخــةٌ عـــائشـــةٌ	عند قـومٍ جَـهِـلوا مـا قـد روِى

إنما زادتْ بمـا قَـــــدْ ذكَـــــرتْ	عـــينُ حكمٍ وهــوَ برهانٌ قَـــوِى

غَــــرضِى واللهِ يـومًـــا أن أرى	الذى بـى منْ جَــــــواه يَـرتوِى

وإذا أبـصـــــــــــرتـه لـم أره	وهوَ ذو شـوقٍ عليــهِ يحـتـوِى

مـــا أنا فى ظـاهر الحــــرف به	بلْ أنا عـــينُ الـوجـودِ المـعنوِى

مـا يـرى مـا قـام بـى من كَلَفٍ	غـــيـرُ شـــخصٍ عـربىّ نَبَـــوِى

هوَ رمـــــزٌ فـــارسىٌّ غـــامضٌ	وهوَ نصٌّ عـندَ شــخـصٍ علوِى

﴿وقال أيضاً﴾

إن الزَّمَانَ الَّذِى مَـا زلْتِ أحصْـيهِ	لَقْـد تَقَـضَّى ومـا حَصَّـلتْهُ فـيـهِ

لَقَـدْ صـبـرتُ عَلَيْـهِ إذ يُعَـاندُنى	وقَـد دَرَى بالَّذِى فـيـه أقَـاسِـيـهِ

منْ فَـقْدكوْنِ أمُـورٍ كُنْتُ أطْلبُـهَا	منه ليُـوفَى بعَـهْـدٍ كَـانَ يُوفـيـهِ

وقَـد أتَى أَمُ الـتَّـقْـريب يطْـلبُنى	بالشكرْ إذ جَاد لى بالوَصْلِ منْ فـيهِ

فـــقُـلْتُ يَا زَمـنِى إنِّى بـه زَمَنٌ	وأنـــتَ واللهِ لا تَـدْرِى وأَدْرِيـــهِ

﴿وقال أيضاً﴾

بالشَّـرعِ أعلمُ مـا البـرهانُ يُنكِرهُ ... والشـرعُ أولى بما أولى وأقـصِـدهُ

الأينُ والكيفُ والأعضاءُ أجـمعها ... مع القُـوَى وبهـا أُثنى وأحـمـدُهُ

له كما جـاءَ فى الشرعِ المطهرِ منْ ... زَيغ العـقــولِ ومن وَهْمٍ يحـدّدهُ

لذاكَ جـــاءَ بإيمـــانٍ يُصَـــدِّقُـــهُ ... وحـرم الـفكرَ فى ذاتٍ يعــبِّـدهُ

أهلُ العـقولِ عَـصَوْه فـهى زيِّهمُ ... بما تُـولدهُ والكشـفُ يُفـســـدُهُ

فظنهـــا أنَّهـا فى كلِّ مـــا نظرتْ ... أصـابتِ الحقَّ والبـرهانُ يعضـدُهُ

﴿وقال أيضاً﴾

تبـــاركتَ أنـت اللهُ جلَّ جـــلالُهُ ... وعـزَّ فلـمْ يظفـرْ بهِ عِلـمُ عَـالِمِ

تعـالى فلم تـدركـه أفكارُ خَلْقِـه ... وردَّ بما أوحـى بهِ كلُّ حَـــــاكِمِ

ولكـنْ معَ الـردِّ الذى وردتْ بـهِ ... نصوصُ الهدى أثنى بأرْحمِ راحمِ

على نفسـهِ وحيًـا ليـعلمَ سـابقٌ ... ومـقتـصدٌ من ذاك حكمـةُ ظالمِ

فـلا سـابقٌ يزهو لتـأخيـرِ ذكـرهِ ... لإلحـــاقــه فـيـــه بأهلِ المـظَالِمِ

فـجـاء بتنزيهٍ بشُـورَى وغـيـرها ... وجـاء بتـشـبيـهِ لسـانِ التـراجمِ

وكلٌّ لهُ وجـهٌ صحـيحٌ ومـقصـدٌ ... فـعم بما أوحى جـمــيعَ المعـالمِ

وقـالَ: أنا عندَ الظنونِ وحكمهـا ... وذلكَ عينُ العلـمِ بى فى التَّراُجمِ

وفـيهـا ترى يوم القـيـامةِ عندمـا ... يُقِـــربُّهُ بعـــدَ الجـحـــودِ الملازمِ

لما عَـقَـدُوا فـينا ببـرهانِ عَـقلهم   وإن فَضَـلْتَهم فى العلومِ بَهَـائِمِى

كـما جـاءَ عنا فى صريحِ كـلامنا   على ألسنِ الأرسالِ منْ كلِّ حاكمِ

يريد قوله تعالى: ﴿وإن من شىء إلا يسبح بحمده﴾(1)

﴿وقال أيضًا﴾

هذى أتتك بها رسُلُ الهدى سَحَرًا   فـبالـهدى أنت مـهـدىٌّ وهَادِيكَا

ربُّ حـبـاكَ بهِ حـبًا وتـكرمـةً   فـاصغِ إليـه جـزاءً إذ ينـاديكَا

فـأنتَ أكـرمُ منْ نرجو عـواطفـهُ   ولا يَغـرَّنكَ مـا تأتى أعـاديكَا

بهم إليك فـهم أعـداء ما جـهلوا   واجـعـل له منزلَ التنزيـلِ ناديكَا

وقل له بالهـدى يا مُـنْتَـهى أملى   إنى وحـقك مـا أعـصى مناديكَا

محـمدًا خـيرَ مـبعـوثٍ يقول إذا   يرمى لصـاحـبـهِ إنى أفـاديكَا

يريد قوله ﷺ لسعد بن أبى وقاص: أرم فداك أبى وأمى، وهو أوّل من رمى بسهم فى سبيل الله تعالى

﴿وقال أيضًا﴾

إنى أُفـاديـكَ يا مَنْ عـزَّ مطـلَبُـه   بالـنَّفْسِ والمالِ والأهـلينَ والـولدِ

قلَّ المسـاعِـد إذ عـزَّتْ مَـطَالِبكم   على الشُّهودِ ومـا بالرَّبْع من أحد

سواك فانظر فما أبصرتُ من أحد   إلا وأنت له ظـلٌّ بلا جَـسَـدِ

---

(1) سورة الإسراء - آية ٤٤.

﴿وقال أيضًا﴾

النَّاسُ كُلُّهمو أعداءُ ما جَهِلوا ... فى مذهب الأشْعرِيِّين بضدِّهمْ

فِيه بما ذكروه فى حُدودِهمُ ... لهمْ وغيرهمُ يأتى بِضِدِّهمْ

وهوَ الصحيحُ الذى اختاروه فاعتمدوا ... عليهِ وانظرْ إلى عقدى وعقدهمْ

﴿وقال أيضًا فى دور السنة﴾

أتاك الشتاءُ عُقَيْبَ الخريفِ ... وجاء الربيعُ يليه المصيفُ

ودار الزمانُ بأبْنائه ... فمن دَوَّرَهُ كان دوَّرَ الرَّغيفُ

سرى فى الجسومِ بأحكامِهِ ... تغذى اللطيفُ به والكَثِيفُ

عجبتُ لهمْ جهلوا قدرهمْ ... ويسعى القوىُّ له والضَّعيفُ

فأصبح كالماء فى قدره ... لديهمْ وفى الماء سرٌّ لطيفُ

يعنى مُهتضمًا وسرُّهُ اللطيف قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾(٢).

﴿وقال أيضًا﴾

لا إِلــه إلاَّ اللَّــهْ ... قــولٌ عـارفٍ أوّاهُ

أظهــرتْ شــهادتهُ ... حكمَ كلِّ من نَاداه

---

(١) سورة الأنبياء - آية ٣٠.

(٢) سورة هود - آية ٧.

إنْ دعـــــاه مُــــــوجِـــــدُه　　فــــالَّذى دعـــــا لَبَّـــــاهْ
مـن وجــــــــــودنـا فـلـذا　　قــلـــتُ إنـــــنـــى إيّـــاهْ

وقال رأيت ليلة الجمعة سابع وعشرين صفر سنة إحدى وثلاثين وستمائة فى النوم كأنى واقِفٌ على قَبْر وأثر وورقة فى جدار كـان للقبر، فهيا مكتوب على لسان صاحب القبر بكتابة إلهية بيتان من قصيدة كنتُ أحفظهَا لبعضهم.

﴿وهما﴾

حَـاسَـــبُـــونا فــدقـــقُـــوا　　قَـــيَّـــــدُونا فــــأوثَقُـــــوا
نَـظـروا فِى صَـنِـيــــــعِـنـا　　ثُمَّ مَـنُّوا فَـــأعْـــتَـــــقُـــوا

والناس وقوف على القبـر يبكون بكاء فرح بالله لما من به على صاحب ذلك القبر فكنت أقول لو قال هذا الشاعر مثل ما وقع لى الآن.

حـــاسَـــبُـــونَـا مـــا دقَّـــقُـــوا　　قـــيَّـــــدُونَا مــــا أوْثَـقُـــــوا
نـــظـــروا فــى ذنــوبـــنـــا　　ثُـمَّ منُّـوا فـــــأطْـلَقُـــــــوا
إنَّ ظـنِّـى وخـــــــــاطـرى　　فـى إلهـى مُــــــحَـــــقَّـقُ
إنَّ من مــــــات مُـــــحــــسنًا　　لـيـسَ بالـنـارِ يـحـــــــرقُ

فاستيقظت فما فرحت بشىء فرحى بهذه المبشرة

﴿وقال أيضاً﴾

الحـــمــــدُ لله بـأسْــــمــــائهِ　　الظـاهرِ البـــاطنِ عـنْ خلقـــهِ

فى خـلقـــهِ فـكلـهُمْ عـــينهُ　　　لذاك أجْـــراه علـى وَفْـــقِـــه

نُحْـــيى به أعـضـــاءَ إنْسانـهـا　　　وهوَ لَنـا كَـــالمِسْكِ فى حَـــقِّـــه

تُشْـــبِـــيــهُـه الـرؤية لا عَـــيْنُه　　　كـالشَّـمْسِ أو كالـبدرِ فى أُفـقِـه

من فَـــهِمَ الأمْــر الذى قُلْـتــه　　　صَـيَّـر عَينَ الـغَرْبِ فى شَـرْقِـه

﴿وقال أيضًا﴾

تَبَـــارَك الله لا أبغى به عِـــوضًــا　　　ولستُ أبرمُ مــا قدْ حلَّ أو نَقْـضَا

إنى عَـجِـبتُ لمن بالجهـلِ أعْرِفـه　　　والعجـز غايَةُ مَنْ فِى ذَاته نَهَـضَا

قدَ حجرَ الشـرعُ فكرى أنْ يصرفَهُ　　　فى ذاتِه فـأبى العقلُ الذى فَـرَضَا

مــا إنْ رأيتُ لهُ مـثـلاً يعـارضُـهُ　　　وهوَ المريدُ ومــا أدْرى لهُ غَـرَضَـا

لما تألـفتِ الأشـيـــاء فى عَـــدَمٍ　　　قـامَ الوجـود بهِ لعارضٍ عَـرَضَـا

وهو الوجود كـما قامت بأنفسـها　　　لذاكَ مـا أبـتـغى بربنا عِـــوَضَـا

فما ترى جوهرًا فى الكونِ منفردًا　　　على اختلافٍ ولا جسمًا ولا عَرَضَا

إلا وذاكَ الَّذى عَـــاينتَ صُـــورتَه　　　فـمنْ بهِ مـرضٌ قدْ زدتُهُ مَـرَضَـا

كـذا أتت فى كـتـــابِ الله آيتـه　　　فلمْ تقلْ غيـرَ ما قدْ قـالهُ ومَضَى

فليس يظهـره فى عـين مـبصـره　　　إلا الغـمـامُ إذا بـرقٌ بهِ ومـضَـا

بذا أتى نـصـــهُ إنْ كنـتَ ذا نظرٍ　　　والكشفُ أعطى الذى قد قلتـه وقضَى

طهَ ويسُ لا تُعـربُهـمـا فـهـمـا　　　منَ الذى أبهمَ النبراسُ حـينَ أضَا

يا عـابدَ الفكرِ لا تَسْلُكْ طريقـتنا　　　هذى بحورٌ بلا سَـيْفٍ لها وأضَى
إنَّ القــرآن لنورٌ يُســتـضــاء به　　　وزاد رجـسًا قليبٌ زادَه مَـضَضَـا

قوله كـذا أتت فى كتب الله آية يريد قـوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾[1]، وقوله بذا أتى فى نصه يريد قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾[2]، وقوله: أبهم الـنبراس يريد قوله تعالى: ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[3]، وآخر الأبيات يريد بـه قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾[4].

﴿وقال أيضاً﴾

نهضتُ إلى نفـسى لأعرفَ خالقى　　　كما جـاءَ فى التنزيلِ والسُّنَّةِ المُثْلَى
فلم أر إلا العـجـز لم أر غـيـره　　　فأعـرضتُ عنهُ وارتحلتُ إلى المجلَى
على رَفْرفِ الياقوتِ والدرِّ قاصدًا　　　وذلك عند العَـقْل غايتنا السُّـفلَى
فلمـا بدت للعـين سـبـحـةُ ذاته　　　سجـدتُ لها ذُلاً فقـالت لنا أهلاً
وشالتْ ستورَ الحـجبِ عنْ عينِ عقلنا　　　فـشاهدتُ مـرئيًـا بلا مقلةٍ نجـلاَ
وقلتُ لها من أنتِ قالتْ وجودكمْ　　　فكنت لهـا أهلاً وكانت لنا بعـلاَ
فـأولدنى من كلِّ سترٍ مُحـجب　　　وأوْردنى من ذلك المـوردِ الأجلَى

---

(١) سورة التوبة - آية ١٢٥.
(٢) سورة البقرة - آية ٢١٠.
(٣) سورة النور - آية ٣٥.
(٤) سورة البقرة - آية ٢٦.

لذاك أحِبُّ المصطفى سـيِّد الورى كما جاءَ بالحلواءِ والعسلِ الأحْلَى

﴿وقال أيضاً﴾

إذا قلت يا الـله لبى من الحـــشـا فأصغيت نحو الصَّوت والعينُ فى غَشَا

وقال شُهــودِى إن تأملت شاهدى إذا طلعَ الليلُ الإلهىُّ فـى العشَـا

لأنى وترٌ لمْ تَـشْـفــعـــهُ ذاتكُمْ لأنكَ منْ أهلِ العـزاءِ معَ العشَـا

وإن شِـئْت قلتَ العينُ منى عـينه وإن مُـدَّمنْه نحـو أعْيـاننا الرَّشَـا

وجـاء بنعتٍ فـيـه عـينى وعـينه لذا يقبلُ القـرضَ الذى حُرِمَ الرِّشَى

ومَنْ كـان هذا حاله فـهو شـاهِدٌ عليه بأنَّ العقلَ فى الفكرِ فى غَشَا

فـما ثمَّ إلا الكشفُ مـا ثمَّ غيـره لهُ ترفعُ الأستـارُ فى الحالِ إنْ يشَا

ومـا ثم سـتـرٌ غيـر أنى فـرضتـه ومَنْ يقبلِ النقصـانَ قد يقبل المشَا

هوَ القمرُ الوضـاحُ فيها كـمثلِ ما هوَ الشَّمسُ والروضُ المنمنمُ والرشَا

﴿وقال أيضاً﴾

إنى أرى صوراً فـيما يَرَى البَـصرُ فى كلِّ جسْمٍ صَقَـيل مَا به صُوَرُ

ولستُ أمكر ما أبصْرَتُ من صُورٍ والجِـسْمُ خَالٍ كـذا أعطانى النَّظَرُ

فما مَـحَلُّ الذى أدركتُ من صورٍ إلاَّ الخَـيَالُ ومـنْ أزْمانِنَا الـسَّحـرُ

وانظر بخاتمةِ الحَشْرِ[1] التى ورَدَتْ أسْـمـاؤهُ نَزَّهَتْ بـذكْـرِه السُّـوَرُ

---

(١) خاتمة الحـشر: قال تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القـرآن على جبل لرأيته خـاشعا متصـدعًا من خشية الله﴾ وباقى الآيات إلى نهاية السورة الآيات من ٢١ إلى ٢٤.

قال عليه الصلاة والسلام: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»، وقال: «المؤمن مرآة أخيه»[1]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2].

وقال أيضًا وقد رأى ليلة القدر ليلة الجمعة التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وستمائة وهى تنتقل فى السنة كما يراه الإمام أبو حنيفة[3].

ما ليلةُ القدرِ إلا ذاتُ رَائِيها	وهى الدليلُ على الخيرِ الذى فيهَا
تحوِى على كلِّ خَيرٍ قيَّدته لنا	بألفِ شهرٍ وذاك القدر يَكْفيهَا
ولم يقيدْ بشىءٍ ما يزيدُ على	ما قيدته لنا حتَّى يُوفيهَا
فليسَ يَحصُرُ غيرَ الذاتِ فى عددٍ	لأنه خير ربٍّ مودع فيهَا
وخيره سرمدىّ لا انقضاء له	فالله يحرسُها والله يَكْفيهَا
من كلِّ عَيْنٍ تؤديها إلى عطبٍ	ولوْ قدْ سعينا فى تَلافِيهَا

﴿وقال أيضاً﴾

تعالى وجود الذات عن نيل ناظرٍ	فإنَّ وجودَ الذاتِ لله عينهَا

---

(١) وفى رواية «المؤمن مرآة المؤمن» رواه الطبرانى فى الأوسط وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير جـ٢ ص ١٨٤.

(٢) سورة الشورى - آية ١١.

(٣) الراجح أنها فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان لقوله ﷺ عنها: «التمسوها فى الوتر من العشر الأواخر».

وذاك اخْـتِصَـاصٌ بالإله ولا تَقُل ... بأنّ ذوات الخلقِ كـالحـقِ كـونهَـا

تغـــيـرتِ الأحـكامُ لما تغـــايرتْ ... بألفـاظه الأنســابُ فالبـينُ بيَّنهَـا

فمنْ شاءَ فليـقطعَ ومنْ شاءَ فليصلْ ... فـذلكَ ستـرٌ فيـهِ للذاتِ صَونهَـا

﴿وقال أيضاً﴾

الذاتُ تَشْهد فى المجلَى وليس لنا ... حُكْم عليـهـا بنعتٍ لم يزل فـيـهِ

إلا تحـــولُّهـــا إلا تـبـــدّلهـــا ... فى كلِّ مـجلىً وهذا فيـهِ ما فـيهِ

فى العقل لا فى نصوصِ الشـرعِ فالتزموا ... قـولِ المشرعِ إذْ كـانَ الهـدى فيـهِ

فليس من صـور أدنى ولا صـور ... عُلْيـا تشـاهد إلا حُكْمُـهـا فـيـهِ

فإنْ رأتْ حَـجَرًا وإنْ رأتْ شـجرًا ... وإنْ رأتْ حـيـــوانًا كلهـا فـــيـهِ

هو الوجـود ولكن مـا حكمت به ... فـإنهُ عـــينُ أعـيـانٍ بدتْ فـــيـهِ

﴿وقال أيضاً﴾

عزَّ المسـاعِدُ إذ عزَّ الذى قَـصَدُوا ... عِلمًا بـهِ وهوَ المشهودُ لوْ عـلمُوا

هم الحـيارى وعَـيْنُ العلم عندهمُ ... فنعم ما شهـدوا وبئس ما حكَمُوا

العـقلُ خـوّفـهـم والشـرعُ آمنهم ... إنَّ النجـاة لهم إنْ شَرْعَهُـم لزمُوا

هم الحيارى السكارى فى مَعارِفهم ... ومـا لهمْ خَـبـرٌ بـأنهمْ قـدمُـوا

عليـه من غـيـر علمٍ قـام عندهمُ ... به ولو علـمـوا بعلمـهـم نَدِمُـوا

عجبت للجهلِ فى علمٍ أحقِّقه   لديهمُ وهمُ الجهلا كما زعمُوا

﴿وقال أيضاً﴾

ألا إنهُ الفرقانُ عينُ وُجُودى   وإنْ كانَ قرآنًا فذاكَ شُهودِى

زبورٌ وتوراةٌ وإنجيلُ مهتدِ   مسيحٌ وقرآنٌ صريحٌ وجودِى

تعاليتَ أنت الله فى كُل صُورةٍ   تجلتْ بلا سَتْرٍ لعينِ مُريدِ

وقدْ شهدتْ عندى بذاكَ مسامعى   من ألفاظِ معصومٍ بحبْلِ وَرِيدِ

فما العالم المنعوتُ بالنقصِ كائنٌ   ولكنه نقصٌ بغيرِ مَزِيدِ

فما نظرت عينى مليكًا مسوَّدًا   تجلى لمملوك بنعتِ مَسُودِ

سواه ولكن فيه للقلبِ نظرة   إذا هوَ حلاَّه بنعتِ عبيدِ

فأخبرت عن قرب بما أنا شَاهِدٌ   وإنْ كنتُ فيما قلتهُ بِبَعِيدِ

فبُعْدِى به قُرْبٌ إليهِ وقُرْبنا   هوَ البعدُ إذ كانَ الوجودُ شَهِيدِى

وما أنا معصوم ولست بعاصمٍ   إذا طلعتْ شَمْسِى بِنجْمِ سُعودِى

ولو كنتُ معصومًا لما كنت عارفًا   وإنى لعلاَّم به وبِجُودِى

كما جاءنا نصُّ الكتابِ مخبرًا   بغفرانِ ذنبِ المصطفى بقيودِ

يريد قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] فأضاف الذنب إليه فعلمنا العصمة فيم كانت، وقوله ﷺ: «إنه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة أو مائة مرة». قال الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] فاعلم.

﴿وقال أيضًا﴾

يقـولون أنتَ الحقُّ بـل أنا خُلْقُـه ... لوْ كنتُ حـقًـا لمْ يكنْ ببـعـيـدِ

فـإنى مَـشْهـودٌ وحكمِىَ قَـاصـرٌ ... وإنْ كان عينُ الحـقِّ عينَ وُجُودِى

وحُكْمِى عليـه نافـذٌ غيـر قاصـرٍ ... وعينُ وجـودِ الحقِّ عينُ شـهودِى

ولستُ بِخَـلاَّقٍ ولـستُ بفـاجـرٍ ... إذا كانَ لى كنْ واسْتَـمرَّ قُصودِى

ومهـما يفى سـمعى فـإنى سامعٌ ... لما أوردوهُ فَـــــالـورودُ ورُودِى

ومـا أنـا عـلامٌ ولستُ بجـاهلٍ ... إذا كان مَشْهـودِى بحيثُ شُهودِى

ومـــا أنـا حىٌّ ولا أنا مـــيتٌ ... وإنْ ألحـقـونى عنـدهمْ بلُحُـودِى

ولستُ بأعـمى لا ولا أنا مبـصرٌ ... إذا كـانَ قـربى منهُ قـربَ وريدِى

ولستُ بذى نطقٍ وإنْ كنتُ مفصحًا ... بأخـبـارٍ مـا عـاينتُ دونَ مـزيدِ

فـــذاتى ذاتُ الحقِ إذ هى عــينُنا ... كما جاءَ فى الشـرعِ المبينِ فعودِى

إلى الحقِّ يا نفـسى ولا تجزعى لما ... أتيتُ بما أودعْــتُـهُ بقـصــيـدِى

يريد قـوله تعـالى: كنت سـمعـه وبصـره ولسـانه ويده ورجله فى الحـديث الصحيح وقيد.

﴿وقال أيضًا فى فتية أهل الكهف﴾

وإخوانِ صِدقٍ جَـمَّلَ اللهُ ذكرهمْ ... مـعلمـهم كـلبٌ وَهُم يَزْجُـرونهْ

يعـرفهـم بالحالِ والفـعلِ قَـدْرُهمْ ... فـيعـرفـهم عـينًا وهم يجـهلونه

يلازمُ بابَ القـومِ يحمى ذمـارهمْ ... ويحـفظهُم طبـعًـا ولا يحـفظونهْ

يَقُــولُ لــهم بالحــالِ إنى مِـنْكُمُ وعلمِـى بِكُمْ عِلْمُ بما تَـعْلَمُــونهْ

فلم يفـهـموا مـا قـاله وتواطئـوا على مَـسْكِه حـفظًا بما يـنظرونَهْ

﴿وقال أيضًا﴾

إنَّ المهـيـمِنَ وصَّى الجـارَ بالجـارِ والكلُّ جَـارٌ لِربِّ الـنَّاسِ والدارِ

فــإنْ تعـدى عليـه جــارُه فلهُ العــفـوُ والأخــذُ آثـارًا بآثارِ

إنْ شاءَ عـاقَبـه أو يعفُ عن كَرمٍ والعفوُ شيمةُ مَنْ يُصْغِى إلى القَارِى

﴿وقال أيضًا فى الطبيعة﴾

بَلِّـغُــوا عنّـى أمَّ الأربعــهْ أنَّنى فــيـمــا تُرِيدُ إمَّــعَــهْ

نَظَرتْ عَــيْنِى إلـيــهـا نَظْرةً مــلأتْ قلبى نـورًا وسَـعَــهْ

فــإذا شـتـت أمــرى قــدرٌ جـاءَ منهـا مـا إليـهـا جُـمعَـهْ

لمْ أُسـمـيـهـا لأنـى خـفتُ أنْ يطلقَ الجـارُ عليــهـا الأربعــهْ

عـلمــــوا أهلَ وِدَادِى أنَّـهُ فــازَ قلبى بالَّذى قــدْ وسعــهْ

باتِّبــاعِ المصطـفى حَــصَّلهُ وحَــبِيبُ اللهِ مَنْ قــدْ تَبِعــهْ

أصـبـحت فـيهم بهـم حاكـمـةٌ وهمْ بـينَ يـديهــا وَزَعــهْ

فــبــهم يحكـم فــيـهـمُ ولهم وعليـهم حـكمُ منْ قـدْ شَـرَعَـهْ

قــالَ لى الحقُّ وقــدْ ســرحنى من قــيــود الطـبعِ لما مَنَعَــهْ

مع مَنْ أنتَ عَبِيدى فى الهَوى قلتُ ربِّى أنا واللهِ معَهْ

﴿وقال أيضًا فى السحاب وما يمنح﴾

عيونُ الزهرِ يَبْدو من خِبَاها لناظرِ مُقْلتى الزهرُ الأنيق
إذا مَا سَاعَدَتْها الشمسُ فيه تراهُ بَعْدَ نومتِهِ يَفِيقُ
أفَاقَتْ لأمرٍ فيهِ سِرٌّ فُؤادُ الطالبِينَ لهُ مَشُوقُ
يَرومُ المجنون له حُصُولاً إذا تُزجى الزَّعازعُ أو تَسُوق
إذا النَّجْمُ الرَّجيمُ رَمى نَهارًا فذاك النَّجمُ ليس له حَريقُ
فإن الشمسَ أقوى منه فعلاً ودَمْع الزَّمْهَريرِ له طَلِيقُ
فَيُطْفِئُهُ ويَسْلمُ منهُ ريحٌ ويحكمُ أنَّه فيهِ غَريقُ
وذاك الانقضاضُ لنا شهيدٌ على ما قُلْتُه بَرٌّ صَدوقُ
رأيتُ الريحَ تأخذُ منهُ سغلاً حذارَ منيةٌ ولَهَا شَهِيقُ

﴿وقال أيضًا﴾

إنّ الوجودَ وجودُ ربِّكَ لا تقلْ فيما تراهُ منَ الوجودِ برَمْتُهْ
خَلْقًا فذاكَ الخلقُ فى أعيانِها واقسمهُ فالعلمُ الصحيحُ بقسمتِهْ
هبتْ عليكَ إذا قسمتَ وجودَه قسمًا صحيحًا نفحةً منْ قسمتهْ
أنا لأفضل أمّةٍ خَرَجَتْ لنا من أجلِ شخصٍ إننى من أمَّتهْ

لنا تَـقَـسَّـمتِ المراتبُ كـلُّهـا أبْدى لكَ التحقيقُ صِحةَ قِسْمَتِهْ

سَلَخَ النهـارُ لـعـينِ كلِّ مُـحَـقِّقٍ سلخًـا يُشَعْـشعُ نورهُ منْ ظُلمتِـهْ

أبداه للأبصـارِ بعـدَ حِـجـابهِ والليلُ مـستورٌ بـخالصِ حِكْمـتِهْ

مَنْ ضَـمَّـه أعطاه كلَّ مـكتَّم من عِلْمِـه كَشْـفًا له فى ضَـمَّتِـهْ

ظنَّ اللَّعـينُ فـصَـدَّقـوا مـا ظنَّهُ فِـيهِمْ فـقابلهُ الـرَّحيمُ برَحْـمتِـهْ

إلا القليلُ فـإنـهُمْ عـصـمـوا بما شكروا لما أولاهـمُ منْ نِعْـمَـتِـهْ

فـلـذاكَ زادهـمُ الإلـهُ أيَـاديًـا واختص من كَـفرَ النعـيمَ بنقْمَـتهْ

فـإذا وفى العَـبْـد المطيعُ بِعَـهْـدِه لله قـامَ له الإلـهُ بِحُـرْمَـتِـهْ

لولا الكذوبُ لما علمتَ مُـحَقَّـقًا شرفَ الذى خصَّ الإله بـعِصْمَـتهْ

كَـالأنبيـاءِ ومَنْ جَـرى مجـراهمُ من وارثٍ أمنوا بهـا من فصمـتهْ

يَغْـتَمُّ من يَـدْرى الذى قـد قُلتـه لمقـالتى ونَجَـاتُـه فى غَـمَّـتِـهْ

ويَهُـمّ بى فـسيـردُّه تَـنَبُّـهُ عنى فَـيَـرْجع هَـمُّـه عَن هِمَّـتـهْ

الكونُ كـورُ عـمـامـةٍ عـمتْ به رأس الوجودِ ونحنُ داخلِ عـمَّتهْ

فـانظر تَـر مـا نحن فـيـه فَـإنه عِلْم يعـزُّ فـحـصلّوه لبـهـمـتـهْ

نهـمٌ يحـصـلهُ ويـعلـمُ أنهُ معْ أنهُ قـدْ حـازهُ فـى نهـمـتـهْ

لا يرتوى ظمـآنَ فـاهٍ فـاغـرٌ ريانُ لا يشكو الجـوادُ لحـشـمَتِـهْ

إنّ الوجـودَ لمنْ تَحـقّقَ علمـهُ ذوقٌ ترى أشـيـاخُـه فى علمـتـهْ

صحَّ المزاجُ فـصحَّ منه قـبـولهم علمًـا بقـدرِ إمـامِـه وبقـمـيـتـهْ

﴿وقال أيضاً﴾

الحـــــــمـــــــدُ لله الــذى ... أذهــبَ عــنـا الحـــــــــزنَـا

ولــمْ نزلْ نــعـــبـــــدُه ... لمَّـا عَـــــبَــــــدنَـا الـوَثَنَـا

فَـــامْـــتَنَّ إحـــسَـــانًا ومنْ ... نـفـــــــــوسـنـا مَـكَّـنَـنَـا

وكَــــثَـــرَ الخَــيـــرُ لَـديـ ... ـــنـا جُـــــــودَهُ والمِـنَـنَـا

لَمَّــــا أتَــــانَـــا مُـــنْـــكِـــرٌ ... وكَـــــانَ عَـــــبْـــــدًا لَنَـا

ولم يَـكُنْ بـى رَاحِـــمًـــــا ... وَلَمْ يَـكُنْ بـى مُـــــحْـــسِنَا

قُلْـتُ لعــقْـلى واعْـــتَـبِـــرْ ... حَـــتَّى تَـرى مَنْ أحْــسَنَا

مَـــــــا ثَـمَّ إلاَّ الله بــالــبُـــ ... ـــرهانِ صَــــــحَــــــابَـيِّنَـا

فَـــقَـــهْـــقَـــهــرَ المعلـونَ يعـــ ... ـــدُ مُـــعْلِمًـــا بـى مُـــعْلِنَا

هذا عـــبـيـــدٌ جـئـــتـهُ ... بفــــتنـةٍ مــــا افــــتننا

وَجــــــدتُـهُ ذَا حَــــــذَرٍ ... فـــمـــا التَــــوَى ولا وَنَى

قَـلَبْـــــتـــــهُ لـعـلـنـى ... أضَـلّـهُ فـــــــــقـل أنَـا

فـــقـــال لى اكـــســـر ولا ... تَـــقُـــلْ أنـــا بَـــلْ قُـــلْ أنَـــا

لكِّـل خَـــيْـــر قَـــابِلٍ ... وحَـــــامِلٍ فــــأعْلَنَا

فـسلم أجِـدْ فـيـه مَـسَـا ... غًـــــا للـذى قـــــامَ بِنَـا

مـن سَلبــــــهِ عنْ ديـنـه ... فَـــعـــادَ رُشْــدًا غَـــيِّـنَا

قلـتُ بماذا قـــد عُـــصِـــمْـ ... ـتَ يـا فَـــتَـى مِنْ شَــــرِّنَا

فـــقـــالَ لـى عَـــاصِــمُـــهُ   بِهِ المُهَـــيْـــمِنُ اعْـــتَنَى
لَمَّا اصْطَفَـــاهُ سَـــيِّـــدًا   ذا حَـــجَّـــةٍ مُـــبَـــرْهِنَا
وَلِيَّ إلَيْـــه رَفْـــرَفًـــا   مِـــنْ درةٍ لَمَّـــا دَنَـــا
وقـــالَ لى اخْـــسَـــا يا لعـــيـــنُ لا تـــراه أعْـــيُـــنَـــا

﴿وقال أيضًا﴾

نَظَرتُ إلى عَيـنِ الوجودِ فلم أرى   قـديمًـا ولكنى رأيتُ حـديثَـا
أظنّ الذى قـد كـان بينى وبينه   بيـانًا يـسمى لِلْحِجَـابِ كُلُوثًا
فشبهتُ نَفْسى فى طِلابِ حَقِيقتى   بليلٍ أتى يَبْـغى النـهارَ حَثِيثَـا
ليـأخـذ منـه تارة فـيـردُّه   إلى الغيـبِ حتى لا يُرى مَبْثُوثًا
وهل يعـدمُ العلاتِ إلا قـديمهـا   ولكنْ نراهُ فـى العيـانِ حـدوثًا
فـمـدَّ بنا حـبـلاً من العلوِّ نازلاً   ولم يك فى نعتِ الحبـالِ رثيثَـا
له قـوّةٌ تَغْـشى النعـاسَ عيـونُنا   لهـا ألسنٌ فـينا وكمْ وكـميـثَـا
ويعطى قليـلاً من وجـودى لأننى   قليلٌ ويـعطينا الوجـودَ أثيثَـا
أُضاحِكُ فـى يوم السرورِ كـرائمًا   وأقـبلُ فى اليـومِ العبـوسِ لُيـوثَا
سـمعنا حـديثًا بـالرَّصافَـةِ طيِّبًا   وعند مُسـيئِى لو سمعت خَبِيثَا

﴿وقال أيضًا﴾

في سُـــورةِ الأعـرافِ مــذكـورةٌ ... ثلاثُ آياتٍ تُـسَـمَّى الحَـــرسْ

لما اعْـتَنى الرحــمنُ بالمصـطفى ... في كَـــربْـه جـــادتْ له بالـنفسْ

إذا تَـلَونَـاهَا لِـخَـــــــوفٍ بنـا ... بحكْـمِ إيمـــانٍ تكن كـــالعَسِّ

مـــا مــــثلُهـــا من آيةٍ آمنتْ ... نفــــوسُنا إلا الـتي في عـــبسْ

قـدْ جاءتِ الصـاخةُ فـاسْمع لهـا ... فـــإنهـا عــينُ غِنَى المـبْـتـئِس

قـدْ أظهـــرتْ أحكامَـهـــا عندنا ... في دارِنا الدنـيـا فَلَـم تَبْـتَـئِس

وليـسَ كلُّ النـاسِ يدري بهـــــا ... إلا السليـمُ العـينَ غـيــرُ الرئِسْ

﴿وقال أيضًا﴾

إذا ما ذكرتُ اللهَ في السرِّ والجهرِ ... ليذكـرني ربي بما كـان من ذِكْرِي

لأنَا نقـلناه حـــديـثًـــا مــعنـعنًا ... وما زال ذاك النقلُ عـنه على ذكرِي

فمِنْ كَونهِ كَـوني ومِنْ عينهِ عَيني ... ومن سرِّه سرّي ومن جـهره جهرِي

ولستُ بغـــيـــرٍ لا ولا أنا عـــينهُ ... فـمنْ أنا عـــرفني فـإني لا أدري

فلو كنتـه عـينًـا لما كنت جـاهلاً ... ولو لم أكنه لم يكـن أمره أمـرِي

فـميَّـزه عني الذي فـيـه مِنْ غِنى ... وميَّــزني عنه الذي بي من الفـقرِ

﴿وقال أيضًا﴾

قدْ كنتُ عبدًا والهوى حَاكِمى ... فاليومَ أولى أن أسمَّى بِهِ

لأننى عبدٌ لربٍّ يُرى ... وما له فى الخلق من مِثْله

أصبحتُ منهُ فلكًا حاويًا ... يدورُ بالحكمِ على قُطْبِه

لأنه قال لنا مُخْبرًا ... بأنه فى العبد فى قلبه

فمنْ يردْ يشهدْ خَلاقَهُ ... شهودَه المربوبُ من ربِّه

فَلْيَقلب العين الذى قد بدا ... فإنهُ المشهودُ فى قَلْبِه

سبحانه عزَّ وعزتْ به ... أنفُسُنا والكلُّ مِنْه بِه

هوَ الذى يُعْبَدُ فى عرشِه ... كمثلِ ما يُعبدُ فى تُربِه

يريد قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾(1)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾(2).

أشْهدنا مِنْ ذاتِنا ذاته ... وذاك فى مَوْقِفنا الأنْبَه

لو أنَّه يدركه خَلْقُه ... لكانَ مخلوقًا وأعَزِزْ به

مذهبنا مذهب أمٍّ لنا ... مَذْهبُ ابنِ العَمِّ اذْهبْ بِهِ

يريد بالأم عائشة رضى الله عنها وإن خالفها فى مدلول هذه الآية، لأنه إنما يوافقها فى حقيقة الإدراك لا فى الرؤية.

---

(1) سورة الأنعام - آية ٣.

(2) سورة الزخرف - آية ٨٤.

﴿وقال أيضاً﴾

اللهُ أعظمُ أن يُدرَى فَـيُـعْـتَـقَـدا — مـقـيدًا وهو بالإطلاقِ مَـعْـروفُ

وهو الذى تدركُه الأبصـارُ فى صورٍ — مشـهودةٍ فهو للأبْصـار مَكْشوفُ

فـهو المقـيَّـد والمحدودُ من صـورٍ — وهو الذى هوَ بالتنزيـهِ موصـوفُ

لذاكَ نـعلمــــهُ لذاكَ نجـــهـلهُ — فالعـجزُ فى علمـه عليه مـوقوف

إنْ قلت ذا قال حكمُ العـقلِ ليس كذا — فلا تقلْ ليسَ إنّ الأمـرَ مصروفُ

وقل بلـيس فـإنَّ الله قـــال بهـــا — فى آيةٍ وهوَ قـولٌ فـــيـه تعـريفُ

وقل بليـس ولكن فى أمـاكنـهـا — على الذى قـاله مـا فيـه تحـريف

فى عـين تنزيهـه عـين مـسهـبـةٌ — والكلُّ حقٌّ فـإنَّ الأمـرَ تصـريفُ

مـا الحقُّ خلقٌ فـيدريـهِ خليقـتُـهُ — ولا الخـلائق حقٌّ فـيـــه تكيـيف

إنِّى وَزنتُ لكم أعــلامَ خَـالِقكم — وزنًا ومـا فيهِ خـسرانٌ وتطفـيفُ

إنى نظمتـهُ لكمْ ما قـالَ خالقكمْ — والنظمُ تدريهِ مـوزونٌ ومرصـوفُ

﴿وقال أيضاً﴾

جلَّ الإله فـما تُحْـصَى مَـعارفـه — ولا عَـــوَارفُـــه ولا مـــــواهبـــهْ

ولن يصـاحـبـه من خَلْقِـه أحـد — لكنه الله فـى المشروعِ صـاحـبُـهُ

ومن يكون بهـذا الوصف فارضَ بهِ — ربًا فـإنَّـكَ بالبـرهانِ كـاســبُـهُ

واعلمْ بأنك مَـجـبـورٌ على خطرٍ — فى خرجٍ ما أنتَ بالـرحْمنِ وَاهِبهُ

فمن يوافقكم فأنت شَاكِرُه ... ومن يخالفكم فما تُطَالِبُهُ
لِعلْمِكُمُ إنه ماعنده خبرٌ ... فالله طَالبُهُ ما أنتَ طالبُهُ
لولا الوجودُ ولولا سرُّ حكمته ... ماكانَ لى أملٌ فيمنْ أصاحبُهُ
إنى خَصيص لما أُوليه من كَرَم ... إنى خسيسٌ لجانٍ إذ أعاقِبُهُ
العفوُ أَولَى بنا إن كنتَ ذا كرمٍ ... فإننى عارفٌ بمن أراقبُهُ
الخلقُ منْ خَلْقٍ أشفتْ مكانتهُ ... ولا يجانبنى إذا أجانبُهُ
لعلةٍ وجهلٍ قامَ بى فأنا ... للجهلِ فى المنع أنسى إذ أعاتبُهُ
فالله يغفر لى ما قد جَنَتْه يدى ... مما يكون له مما أقاربهُ
فالجهلُ غالبتهُ والجهلُ من شِيَمى ... وما يغالبنى إذا أُغالِبهُ
إنى عجبتُ لمن قد قال مِنَ عجبٍ ... الله من كَثُرتْ فينا أعاجبهُ

﴿وقال أيضاً﴾

كَبِّرْ إلهكَ فالإله كَبيرُ ... والخلقُ إن حَقَّرْتَه فكبيرُ
ولذاكَ جاءَ بوزن أفعلَ فاعتبرْ ... فى لفظِ أكبرَ فالمقامُ خَطيرُ
لا تحقرنَّ الخلقَ إنّ مقامَه التـ ... ـعظيمُ والتعزيزُ والتوقيرُ
فهوَ الدليلُ على مكونَ ذاته ... فلهُ التصورُ ما لهُ التَّصْويرُ
فإذا ذكرتَ اللهَ وحدْ ذاتَهُ ... فمقامها التوحيد لا التكثيرُ
ولتكثيرِ النسبِ التى ثبتتْ لهُ ... فهو الوحيد وإنه لكثيرُ

فـهــو المريدُ وجـودَنا من عَــيْنه — وإذا أراد وجــودَنــا فَــقَـــديرُ

وهو المكـلِّم والمناجـى عَــبْـــدَه — بالطـورِ فى النيـــرانِ وهـوُ النورُ

وهوَ الســميعُ هوَ البـصيرُ بخـلقهِ — وهوَ العلـيمُ بما علمتَ خَـبِـيــرُ

إنى رأيتُ قَـصـيـــدتى ديبـاجَـةً — فـيـهـا نضـارٌ رَقْـمُـهـا وحـريرُ

أوّلتْـــهـــا أسْــمَـــاءه ونُعــوته — فلهـــا على كلِّ الوجـــوهِ ظهـورُ

﴿وقال أيضًا﴾

أقـــــــــول لمـــا أن بـدا — للـعـــينِ مـــا أشـــهـــــدَنَا

الحـــــــمــــــــد لله الـذى — بـجـــــــودِه أوجَـــــــدَنَـا

مِـن عـــــــينـه فكـان لـى — من ذاكَ ربًـا مُـــــحْـــسِنَـا

أثنى عـليـه مُـــفـصـحًـا — بهِ مـــــســـــرًا مُـــعلـنَا

﴿وقال أيضًا فى أقسام أحكام الشرع فى العلم الإلهى﴾

كلُّ فـعلٍ كـــانَ منـى حكمُـــهُ — بين نـدبٍ ووجـــوبٍ ومـــبـــاحْ

ثمَّ مـكروهُ وحـظرٌ فـــانـظروا — كلَّ هذا عـــينهُ عـينُ الصـــلاحْ

علـمُ ذاتٍ نَعْـتُ تنـزيهٍ لـهـــا — ثمَّ أسـمـــاءُ مَـعَـانٍ تستـبـاحْ

وصـفـاتُ الفعل فـرضٌ فـعلهـا — ثم إدراكٌ بـه كـــان الـفـــلاحْ

فـــانظروا مـا قـلتُ فى خـالقنا — والزمـوا البـــابَ وقـولوا لا براحْ

فـجـمـيعُ الناسِ قـد أسْعَـدهم بينَ تَقْـيـيـدٍ وقـولٍ بالـسـراحْ
والّذِى أطْـلَقَ مِـنْهُـم عِلْـمَـهُ رَبَّ جُـودٍ ووَفَـاءٍ وسـمـاحْ
والّذِى حكّـمَ فـيـهم عَـقْلَهُ ربُّ حَـرْبٍ ونزاعٍ وكِـفَـاحْ
إنمـا العـلمُ الـذى أطـلبـه بإلهـى هو بالشـرعِ الصُّـراحْ
مَـسْكنُ الشـخصِ الذى يَحْظى بهِ بيـتـه المـعلومُ فـينا بالضُّـراحْ

﴿وقال أيضاً﴾

يُسَـاعِـد تعظيمِ الإزار ردَائى بتكبـيـره فـالقَـولُ قـولُ إمـائِى
كنفسى ومالى مِـنْ صفاتٍ تنزهتْ عن الكيفِ والتشـبيه فهـو مُرائى
يرَى نَاظِرى فيـها الوجـودَ بأسرِه وذلك عند الكشفِ كَشْفِ غطائِى
فـقلتُ ومَنْ قـد جـاد لى بعطَائِه فـقـال لى المطلـوب ذاكَ عَطَائِى
فخفتُ على نفسى لسـبحةِ وجهه فـجاد على نفـسى بأخـضرَ مـاءِ
من العلم مـا يحـيى به ما أمـاته يفكـر جـهلـى إذ وَفَى لِوفـائِى
أنا عـبـده مـا بين عـالٍ وسـافلٍ كـمـا هو فـى أرض له وسـمـاءِ
فَـيُـوقِـفُنى مـا بـين نُورٍ وظلمـةٍ بما كـان عـندى من سنًـا وسناءِ
ويشـهـدنى حـبًـا لنا وعـنايةً بما أنا فـيـه من حـيًـا وحـيـاءِ
فنـورى كنور الزبـرقـان إذا بدا مـلاء بمـا يعطيـه نـورُ ذُكـاءِ
فأصبـحتَ فى عيشٍ هنىءٍ وغبطةٍ يقلـبنى فـيـه رخـاءُ رَخَـائِى

فيخدُمنى مَنْ كان إذ كُنتُ فى الثرى ... بجَـانِـب ذاتى خِـدمـةً لـشـرائِى

ألا ليتَ شِعرى هل أرى رسم دارِ من ... يرى ذا هَوى فِـيـــه صـريعُ هَواءِ

من أجل سـلامٍ ساقـه فى هُبُـوبه ... من الملإِ الأعـلى من النَّجْــبَــاءِ

﴿وقال أيضًا﴾

إذا نزلَ الأمـرُ العزيـزُ منَ السمـا ... ويعرجُ فيها معـجمُ الحرفِ مبهمَا

ويولجُ فى الأرضِ الغـداءُ لترتوى ... فيـخرجُ منها الزَّهرَ وشَيًـا مُنَمْنَمَا

مـــصـــابيحُ أنوارِ الكواكـبِ زينةٌ ... لهـا ورُجُـومًا للشيـاطين كلمَـا

أرادوا استراقَ السمعِ من كلِّ جانبٍ ... فيـحرقـهم منهـا شهـابٌ تبسَّـمَا

ويجعلُ ما يعلو على الأرضِ زينةً ... لها فالذى يبـدو إلى العين منه مَا

يُغذى بهِ الرحمنُ جـسمًا مروحنًا ... كما قـد يغذى منه رُوحًا مجـسَّمَا

فـقلتُ ومن غـذاها مِنْ سَـمَـائه ... فقـيلَ لنا عيسى المسيحُ بن مَـرْيمَا

له الامتزاجُ الصـرفُ من روحِ كاتبٍ ... بـديوانـه لما تجـلَّـى بآدمَــــــا

فـروحَن أجسـامًا وجـسم أنفسًـا ... وكـان له التـحكـيم أيان يمـمَـا

فلمْ أرَ سـبطًا كـانَ يشبـهُ جـدهُ ... سواه كـما قـال المهيـمن معلـمَا

يريد قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾[1].

﴿وقال أيضًا﴾

إذا ما ذكرتَ اللهَ فى غسق الدجى ... دُجى الجسمِ لو عند الصـباحِ إذا بدَا

---

(١) سورة آل عمران – آية ٥٩.

صبـاحُ الذى يحيا به الجـسمُ عندما
هـوَ الروحُ لـكنْ بـالمزاجِ تَـبَلَّـدَا

فلا يأخـذُ الأشياءَ منْ غيرِ نـفسهِ
ولكن بآلاتٍ بهـــا ســرُّه اهْتَـدَى

فأمسى فقـيرًا بعد أن كان ذا غِنًى
وأصبحَ عـبدًا بعـدَ أنْ كان سَـيِّدَا

لقـد خلَتْهُ رُوحًـا كـريمًا مُنَهَـزهًا
فـأصبح ريحًـا عُنصريًا مُـجسَّـدَا

وكانَ جلـيسًا للـخَضارمـةِ العلى
بمقـعـدِ صـدقٍ للنفـوسِ مُـؤيَّدَا

لقـد كان فـيـهم ذا وَقَـارٍ وهَيْبَـةٍ
فلمـا ارتدى الجسمَ التـرابىَّ ألحدَا

وأجرى له نهـرًا من الخمرِ سَـائِغًا
فلمَّـا تحـسَّى شـــربةً منهُ عَـرْبدَا

وكان له فـوق السَّمـوات مشـهدٌ
فلمَّا رأى الأرضَ الأريـضَةَ أخْلَدَا

وكـــان لما يَلْقـــاه بالذاتِ قَـــائلاً
وكانَ إذا ما جـاءَه الوحىُ أسْجَدَا

وقدْ كانَ موصوفًـا فأصبحَ واصفًا
كما كانَ ذا قصدٍ فـأصبحَ مَقْصِدَا

كمـا كانَ فـيمـا نالَ منهُ مُـوحدًا
فـأصبح فـيـما نيـل منه موحِـدًا

وفى عـالمِ البعـدِ الذى قدْ رأيتـهُ
رأيتُ لهُ فى حضرةِ القـربِ مَقْعَدَا

ولما تجلّـى مَن تجلى بِنَـعْــتِــهم
رأيتـهمُ خَـرُّوا بكيًـا وسجّـدًا[1]

وأصْعَـقَهمْ وحىٌ من اللـهِ جاءهمْ
فلمَّا أفـاقوا قلتُ: ماذا فـقال: دَا

أصـابـهمُ فى حـالِ نشـأةِ ذاتهم
ولن يُصْلحَ العطارُ ما الدَّهر أفْسدَا

فقلت: وهل ميـزتنى فى رعيلهم
فقـالَ: وهل عـبدٌ يصـيرُ مُـسَوَّدَا

جعلتـكمُ فى أرضِ كونى خليـفةً
وأبلستُ مَنْ نـاداكَ فـيـهـا وَفَنَّدَا

(١) يريد قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [سورة مريم – آية ٥٨].

وأسْـجَدْتُ أمـلاكى وكانوا أئمَّـةً لرتْبتكَ العليـا فأمسَيت مَـعْبَدَا[1]

نَهَـيْـتك عن أمـرٍ فـقـاربتَـه ولَمْ نجد لك عَزْمًا إذ نَرى منْك مَا بَدا

وقُـمتُ لكم فِـيـه بعـذر مُـبـيِّن بوِّئـت دارًا خـــالـدًا ومُـــخَـلَّدَا

كمـا قال مَنْ أغْـواكمُ غيـرَ عَالِم بما قـالهُ إذْ قـــالَ قـولاً مُـسـدَّدا

وحَـار بِخُسـرانٍ إلى أصل خَلْقِـه كنورِ سِـــراجٍ فـى ظلام توقَّـــدا

يضىءُ لإبْـصَـــارٍ ويحـــرقُ ذاته عن أمْـرٍ إلهى أتاه فـمـا اعتَـدَى

يريد قوله تعـالى آمرًا: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾[2].

فيا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ يَرى الناسُ ما أرى من العلم فى القـرآن والنورِ والهُدَى

لقـد جـمعَ الله الكـريمُ بفـضلِه ورَحْـمـتـه بينَ الأوداءِ والعـدَى

ومـا كلُّ قُـربٍ كـائنٌ عن قَـرابةٍ كمـثلى وإنَّ الحقَّ بالكاملِ ارتدَى

وكان كـمالى فـيه بالصـورة التى خُصصت بها فانظره فى باطن الردَا

وفى سورةِ الشُّـورَى إبانَ وجودُها بدىّ لمن قـد فاز فـيـها إذا ابْتَـدَا

وأنزلنـا فى عـــالمِ الخلقِ قـــدوةً أئمـتـــهـا وأســوةً لمنِ اقْـــتَـدَى

(١) يريد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الحجر - الآيتان ٢٨، ٢٩]، ثم الآيات حتى ٣٥ من نفس السورة.

(٢) سورة الإسراء - آية ٦٤.

فللَّهِ مــا يَبْـقَى ولله مَـا مَـضَى فلمْ يُوجدِ الأشْياءَ خَـلاَّقُها سُدَى

وإنى لعَـــلاّمٌ بما جــئــتكمُ بهِ ومـا أنا ممـنْ حـارَ فـيــه وقلَّدَا

وإنَّ لنا فى كُلِّ حــالٍ مـواقـفًـا ومَقعْدَ صِدْقٍ فى الغيوبِ ومَشْهدَا

وإنى مِــمَّن أسْلَم الأمْـرَ فـيكمُ إليـــه وممنْ بالإمَـــامَـــة قـلَّدَا

أنا خَـــاتمٌ للأوليـــاءِ كــمــا أتى بأنَّ خِـتَام الأنْـبيـاءِ مُـحَمَّـدًا(١)

خِـتامُ خُـصُـوصٍ لا خِتـامَ ولايةٍ نعم فـإنّ الخَـتْمَ عِـيـسَى المؤيَّدا

لقـد منح الله العـبـيـدَ قصـيـدةً يقـوم بهـا يومَ القـيـامـةِ مُنشِـدَا

على رأسِ مَبْـعُوثٍ إلى خيـرِ أمةٍ لقد طابَ أصْـلاها شِمِيًـا ومَوْلِدَا

﴿وقال أيضًا﴾

أنا فـى الأمْــــرِ مِـــــثْلُـكُمْ تَرْجُـــــمَـــــانٌ عَـلَى الـوَلَدْ

فَلْـيكُن خَـــيْـــر مَلْجَـــإٍ إنكـمْ خـــيــــرُ مـــســـتَـنَدْ

إن خـــيـــــرَ الأنام مـن عَـــجَّل الخــيــرَ إنْ قَـصَـدْ

فـــإنَّا مِـنكـمُ كـــمـــا أنـتمُ بـيـــضـــةُ الـبلـدْ

أنـت عـــــزٌّ لـديـنِ مَـن شـــرع الخـيـر واجْـتَـهَـدْ

(١) للإمام ابن عربى كتاب بعنوان ختم الأولياء يتـحدث فيه عن شروط الولى الخاتم وأجاب على أسـئلة الحكيم الترمـذى بما يبين أنه هو خـاتم الأولياء كـما يشـير فى هذا البـيت. والكتاب قـام بتحقـيقه وضبطه الأسـتاذ الدكتـور أحمد عبـد الرحيم السايح رحـمه الله والمستشار توفيق على وهبة، وهو من منشورات مكتبة الثقافة الدينية.

النبىُّ الذى بِهِ ... تِهِ حُلَّتِ العقدْ
كيفَ تُحصى مآثِرٌ ... ما لها عِنْدَنا عَدَدْ
فَاحْمَدِ الله يا أخى ... فَالسَّعِيدُ الَّذى حُمِدْ
فبهِ دهرهُ نَجا ... وبهِ اليَومَ قَدْ سَعِدْ

﴿وقال فى حصة ما يختص بالنطق﴾

مقولاتُ أهْلِ العلمِ محصورةُ الكمِّ ... بجوهر أعراضٍ مع الكيفِ والكَمِّ
وتَتْلو إضافَاتٌ ووضعٌ مُحَقَّقٌ ... ولفظُ مَتَى والأيْنُ منها لذى أمّ
وفَاعِلُ أشْيَاءَ ومُنْفَعِلٌ لهُ ... وما ثَمَّ إلا ما ذَكَرْتَ مِنَ الحِكَمْ
وقد قَسَّموا لَفْظِى فلفظٌ مُحَقَّقُ ... يدل عَلى مَعْنًى كَما جاء فى العِلْمِ
وإنْ قدَّمُوا المعنى عَلْيه فإنَّه ... يَدُلُّ عَلَيه أىّ لفظ لذى فُهِمْ
وقد حصروا فى المفردات حَقَائقًا ... كَجِنْسٍ ونَوْعٍ ثُمَّ فَصْلٍ بلا قَسَمْ
ويتلوهُ ما يختصُّ منهُ بذاته ... وعارضُ أمرٍ لمْ أقلْ ذاكَ عنْ وَهَمِ
فَتَقْتَنُّصُ الأفرادُ بالحدِّ والذى ... تركبَ منها بالبراهينِ فى عِلْمى
فبرهانُ تحقيقٍ وبرهانُ رافعٍ ... وبرهانُ إفصاحٍ وسفسطةُ الخَصْمِ
وما ثَم إلا ما ذكرتُ فحققوا ... ولا تكُ منْ أهلِ التحكّمِ والظُّلمِ
فإنى أتيتُ الأمرَ فى ذاكَ قاصدًا ... فقل وتنزه عن ملامى وعَنْ ذَمِّى
وهذى عُلومٌ إنْ تأملتَها بدا ... لعينِ سَنَاها فى الإضاءَةِ كالنَّجْمِ

ومـا لفـظه إلا مـثـالٌ مـــحـقق   لها فانظُروه بالتَّـقَاسِيم فى القِسْمِ .

﴿وقال أيضاً ملغزا﴾

عجـبتُ لموجُودٍ حـوى كُلِّ صُورَةٍ   منَ الملإ العلـوىِّ والجنِّ والبـشَـرْ
ومنْ عـالمٍ أدنى ومنْ عالمٍ عـلا   ومنْ حيوانٍ كانَ أو نبتٍ أو حَجَرْ
وليـستْ سِــواهُ لا ولا هيَ عَـينهُ .   وفى كلِّ شيءٍ شاءَ منْ صـورةٍ ظهرْ
ويبدو إلى الأبْصَـارِ منْ حيث ذاتِه   ويخفى على الألباب ذاك ولسْـتَتَرْ
فتَجْـهَلُه الألبابُ من حكم فكرها   وتظهـره الأوهام للسمعِ والبـصَرْ
هو الحيّ لـكن لا حَـيــاةَ بذاته   تقومُ كما قـامتْ بها سائرُ الصُّورْ
فَمَنْ هُوَ خَـبَّرنى الَّذى قَـدْ ذكرتُه   بما قَـدْ وَصَـفْناه وترمَـى به الفِكَرْ
فـهـا هو مَـخْـفِيّ وليس بغـائبٍ   وها هوَ منظورٌ ويخفى على النظرْ
فيا ليتَ شعـرى هل سمعتم بمثله   ألا فـاخبـرونى أنّ هذا هو العِبَـرْ
ولمْ يَدْرِ مـا جِئْنَا به غـيرُ وَاحـدٍ   هوَ اللهُ لا تدرى بـه سـائرُ الفطرْ
ومـا مـثلهُ إلا شـــخـيصٌ وإننى   عجبتُ لهُ منْ كاملٍ وهوَ مختصرْ

﴿وقال أيضاً﴾

إنى بُليـتُ بأمـرٍ لـستُ أعْـرِفــه   ولـســـتُ أنـكـره والحـــكـمُ للهِ
جَهْـلى به عينُ علْمِى والنعـيمُ بِه   مـثلُ العَـذَابِ بـه كـالمالِ والجـاهِ

إن قلت هو قال عين الكشف ليس بهو | أو قلتُ ذا لمْ يوافقنى سوى اللهِ

فهذه حِكَم يدرى بها حكم | من أهملها مثل أهل الشرع فى الباهِ

فمن يوافقنى فيها أوافقه | ومنْ يوافقُ قلْ يا سيدى ما هِى

فيعتريه إذا ما قلت ذا خرس | وهو الدليلُ عليه أنه ساهِى

فكلٌّ منْ فى وجودِ الحقِّ يعرفهُ | إلا الذى هوَ فى مقصودِنا لاهِى

«وقال أيضاً»

ما إنْ علمتُ بأمرٍ فيهِ منْ عددٍ | إلا وقامت به حقيقة الأحدِ

عينٌ توحدُ والأسماءُ تكثرها | والكثرُ لا ينتهى فيها إلى أمدِ

لما علمت بهذا واتصفت به | علمت أن وجودَ الفرد فى العدَدِ

فخبرونى عن أمر لا شبيه له | وما هو الله ذو الآلاءِ والرفدِ

إنَّ الغنىَّ الذى غناهُ عنْ عرضٍ | هو الفقير إلى الآلاتِ والعددِ

وليس فى الكون إلا من تكون له | هذى الصفات فما فى الكون من أحدِ

يقالُ فيه غنىٌّ لا افتقارَ لهُ | وذلك الحكم فى الأدنى وفى البعدِ

وذلك الحكم سارى إن علمتَ به | فى كل ذى روح أو فى كل ذى جسدِ

إنَّ الوجودَ الذى تدرى بهِ بلدٌ | وإنه واحد من ساكنى البلدِ

أقولُ فيه مقالاً لا لا أقولُ بهِ | حتى أعاينه فى كلِّ مستندِ

هو الوجود الذى الأعيان صورته | وإنَّ صاحبه مشاركث النكدِ

لولا الوجودُ ولولا حسنُ صورتِه ... ما كانَ لى أملٌ فى كلِّ ذى حيدِ

عنْ منْ لى منْ وفى منْ فاستعدَّ لهُ ... إنَّ الإمامَ الذى يهدى إلى الرشدِ

إنَّ الإلهَ دعانا أنْ نلاقيهُ ... بالموتِ عندَ فراقِ الروحِ للجسدِ

لذاك أسرعتِ الأرواح طائرة ... ولمْ تعرجْ على أهلٍ ولا ولدِ

ليسَ التعجبُ منْ تعجيلِ رحلتها ... إن التعجبَ من نوحٍ ومن لُبدِ

﴿وقال أيضاً﴾

عجبت لمن دعا ولمن أجابا ... وماعلمَ الدعاءَ ولا الجوابَا

فلما أنْ تحققَ منْ دعاهُ ... وحققَ ما دعاه بهِ أنابَا

ولكن بالإبايةِ عن قبولٍ ... لدعوته فأخطأ ما أصابَا

وأما العارفون به فقاموا ... عن الكشفِ الذى يهدى الصوابَا

وقرر شرعَه تقرير حبر ... وأنزلهُ على شخصٍ كتابَا

وفازَ المؤمنون به ونالوا ... من الله السعادةَ والثوابَا

ونالَ المذنبونَ كثيرَ عفوٍ ... وفى الدنيا فما أمنوا العقابَا

إقامةُ حدهِ المشروعِ فيهمْ ... يقامُ به وقدْ قبلَ المتابَا

ولا ينجيهِ منه قبولُ توبٍ ... إذا علم الإمامُ وقد أنابَا

ويدنيه الإمام ويصطفيه ... ويوليهِ العقوبةَ والعقابَا

وما حكمُ القيامة فيه هذا ... وإنْ وفاه خالقهُ الحسابَا

يراهُ الأشعرىُّ بغيرِ حدٍّ ... ويثبتُ منكرهُ لهُ الحجابَا
ومنْ شهدَ الأمورَ بلا غطاءٍ ... تراه وما تراه إذا يحابَى
ويشهدُهُ العليمُ بكلِّ وجهٍ ... ويعلمُ أنه إنْ غابَ غابَا
ولولا كونه ما كانَ كونٌ ... وبالإتيان أشهدنا السحابَا
أتاك بها الحكمُ الفصلِ فينا ... ويفتحُ ظلةً فيهِ وبابَا

«وقال أيضاً»

ذكرى إلهى ليسَ عنْ نسيانِ ... لكن عبادة مُنعمٍ محسانِ
إنى على نفسى مننتُ بذكرهِ ... وكذاك فعلُ مُحقق إنسانِ
إن الرجالَ لهم شبابُ زمانة ... كالشمسِ فى حملٍ وفى نيسانِ
اللهُ قواهمْ على تكليفهِ ... إياهمُ فى دولة الميزانِ
بعنايةِ الندبِ الكريمِ المصطفى ... خيِ الخلائقِ من بنى عدنانِ
لَمَّا سمعتُ به سلكتُ سبيلهُ ... وكفرتُ بالطاغوتِ والطُّغيانِ
عقدًا وإيمانًا فإنَّ وجودَه ... فى عينها بشهادةِ الإحسانِ
وبذا قضى أنْ لا تكونَ عبادهُ ... الإلهِ فى محكمِ القرآنِ
فورثته قولاً وعلمًا والذى ... كلفت من عمل ومن إيمانِ
حفظَ المهيمنُ دينهُ بقواعدٍ ... خمسٍ لما فيه من السُّلطانِ(١)

---

(١) يريد قوله عليه الصلاة والسلام: «بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن=

لما تعــدى حــفظهُ أعــيـانهــا حــفظًا إلهــيًا إلـى الجـيــرانِ

فـبنيتُ إسلامى علـيهـا محكمًـا أركــانه فــيــحل من بـنيــانى

اللهُ كـــرمنا بـدولةِ أحــمــدٍ كـرمًـا يعم شــرائعَ الإحسـانِ

شـهــدتْ بذلك نيـتـى وطويتى وإن امـتـرى فى ذلـك الثَّـقَـلان

لما سـرى سـرّ الـوجـودِ بجـودِه فى عـــــالـمِ الأرواحِ والأبدانِ

شـهـدتْ حـقـائقـه بأنَّ وجـودَه قـدْ عـمنا فـى الحكمِ والأعـيـانِ

لما الـتــفت بنـاظرى لم أطـلع إلا إليـــهِ فـــإنهُ بعــيـــانى

لو كـان ثَم سواه كنت مُـقـسمًـا بيـنَ الإلهِ وعـــالـمِ الأكـــوانِ

فـانظرْ لما تحوى علـيهِ قـصيـدتى منْ كـلِّ علمٍ قـــامَ عنْ بـرهانِ

لوْ أنَّ أرسـطاليس أو أفـــلاطـنا فى عـصــرنا لأقـرَّ بالحــرمـانِ

منْ عـدلَ الميـزانَ يـعـرفُ قـولنا ويقـرُّ بـالنقـصـانِ والخـسـران

لا تُخْـسـرُوا الميزانَ إنَّ عـقـولكم دونَ الذى أعنيـهِ فـى الرجـحـانِ

اقـرأ كـتـابَ اللهِ فـاتحـةَ الهـدى فجـميعُ ما يحـويهِ فى العنوانِ(١)

=محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا» وليس فى العدد من يحفظ نفسه وغيره إلا الخمسة. . . حديث. .إلخ.

حديث بنى الإسلام على خمس. رواه الشيخان البـخارى ومسلم والإمام أحمد والترمذى والنسائى عن ابن عمر رضى الله عنهـما وصححه السيوطى فى الجـامع الصغير جـ١ ص ١٢٦.

(١) يقصد أن الفاتحة تدل على ما يحتوى عليه القرآن فإنها كالمقدمة لكتاب الله العظيم.

إنَّ الإلهَ الحـقَّ أعلمُ كـــونهـــا	عـين الصـلاة وإنـهـا قـسـمـانِ
لما قـــرأتُ كـتـــابهُ فـى خلوةٍ	مـعـصومـة من خـاطرِ الشـيطانِ
عـايـنتُ فـيــه مَـعــالمًا بدلائل	لا يمـتـرى فى صـــدقـهـا اثنانِ
لو أنَّ عـبـدَ الفكرِ يشـهـدُ قـوانا	لم يـنتطـح فى ســـرِّنا عَـنزانِ
لكـنهم لمـا تعـــبـــد فكـرُهم	ألبـــابَهم بعـــدوا عن الفُـرقـــانِ
إنْ تتـق الله الذى يـجـــعـل لك	الفـرقـانَ بيـنَ الحقِّ والبـهـتـانِ
لو وفـقـوا ما لـفقـوا أقـوالَ من	لعـبـــوا بهم كـتــلاعبِ الوِلدانِ
والكلُّ فى التـحـقيـقِ أمرٌ واحـدٌ	فى أصـله بالـنص والبـــرهانِ
نطقـتْ بذلك ألسنٌ مــعلومــة	بإصـابةِ التـحـقيق فـى التبـيـانِ
لو أنهم شـهـدوا الذى أشـهـدته	مـا قـــام فى ألبـابهم حـكمـانِ
لعـبـتْ بهم أهواؤهم فـهـمُ لهـا	عند اللبـيـبِ كـسـائرِ الحـيـوانِ
إنَّ الـنجــــاةَ لمـن يقـلِّد ربّـه	فـــيـــمـا أتـاهُ بهِ وهمْ صنفـــانِ
صنفٌ يراهُ شـهـــودُ عـينِ دائمًـا	أو فى حجـابٍ عنه وهو الثانى[1]

(١) يريد بقوله وبذا قضى قوله تعالى: «وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه» وقوله عن الصلاة يريد قوله تعالى: «قسمت الصلاة بينى وبين عبدى وذكر الفاتحة»، ويريد بقوله أمر واحد قوله تعالى: «قـل كل من عند الله» وقوله السن معلومة يريد السنة الشـرائع ويريد بقوله كسائر الحيوان قوله تعالى: «إن هم إلا كالأنعام».

﴿وقال أيضًا﴾

لولا شهـودى ما عـرفت وجودى فـامنن علىّ به فـأنتَ شـهـيـدِى

وعـلامتى انى جـهلت وجـودَكم منْ حـيثُ ما هوَ هوَ بغـيرِ مـزيدِ

ودليلُ مـا قـدْ قلتـهُ منْ جـهلنا منْ ذاتكمْ أنى جـهلتُ وجـودِى

﴿وقال أيضًا﴾

إنَّ لله بالحـجـازِ يمـينًا ومـقـامًـا مـؤمنًا وأمـينَا

يريد قوله عليه الصلاة والسلام الحجر يمين الله ويريد قوله تعالى مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا ويريد قوله تعالى: «وهذا البلد الأمين» حين أقسم به.

بايعـوه فـإنَّ فـيـهـا نَجـاةٌ واجْـعَلُوه لكمْ مُـصَلّى ودِينًا[1]

ولتـقـومـوا إذا وصلتمْ إليـهِ ونـزلتـمْ بهِ عـليـهِ سنينَـا

فـجـوارُ الإلهِ خـيـرُ جـوارٍ تعـلمـوه يومَ الورودِ يـقـيـنَا

وادخلـوهُ إذا أتيـتـم إليـهِ دونَ هدىً بعـمـرةٍ محـرمـينَا[2]

فـهـو الشـرع لا تحـيـدون عنه وهوَ نصُّ الرسـولِ فـيـهـمْ وفـينَا

معَ هذا فـقلتُ عـبـدٌ تقىٌّ وسعَ الحقُّ بـالنصـوصِ المتـينَا

---

(١) يريد قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة - آية ١٢٥].

(٢) يقصد مكة والبيت الحرام.

حين ضاقت عنه سماءٌ وأرضٌ نصَّ فيهِ الرسولُ حيًا مُبينَا

فثقلنا كما ثقلنا بقولٍ حينَ كنا بما أتى مؤمنينَا

لمْ نكنْ فى الذى ذكرناهُ عنهُ ونسبنا لذاته مفترينَا

فاحمدوا اللهَ إننى لنبىٌّ لمْ يكنْ مثلهُ نبىٌّ يقينَا

من عذابِ الحجابِ فى دارِ بعدٍ حصل الغيرُ فيهِ حزنًا وهونَا

ما مقامى بأرضِ شرقٍ وغربٍ وشمالٍ إلا خسارًا مبينَا

فاعملوا نحوهُ مطىَّ الأمانى لتكونوا لحكمهِ مسلمينَا

إنما أنتمُ عبيدٌ دعاةٌ لتكونوا بذلكمْ آمنينَا

واتقوا الله فى الدعاء إليه فبتقوى إلهكمْ تعملونَا

كلٌّ فرقٍ يكونُ ما بينَ هدىً وضلالٍ بهِ يكونُ مصونَا

منْ أذى باطلٍ وعصمة حقٍّ ولأشبالِ أسدِه فعرينَا

من يكن هكذا يغزُ بمقامٍ حازه من أتاه من طورسينَا

لم يكن قصده فكان امتنانًا وجزاء لسعيه ليبينَا

عندنا جودُه فنعلم حقًا أنه لم يكن بذاك ضنينَا

ولهذا الفقيرُ يطمعُ فيه وإليهِ شدَّ الحريصُ الوضينَا

يبتغى الجودُ والوجودُ جميعًا لتكونوا لديهِ حينًا فحينَا

إنهُ ذو جدىً وربٌّ وفاءٍ بعيدٍ أضحى لديهِ مكينَا

فإذا ما ابتغاه جاء إليه ومنْ أسمائه أراهُ كمينَا

فــيــهِ حــتى تراهُ عــينًا بعــينٍ شــافــيًــا عــلةً وداءٌ دفــينَا

إنه الداءُ والـدواءُ جـمـيـعًــا لتـقـومـوا بحـقــهِ أجـمـعينَا

واطلبـوا العـدلَ حـيث كنتم لديه واسكنوا مـن أمـاكنـيـه عــرينَا

مــثل زيتــونـة تمد بـدهن نورَ مــصــبــاحنا به لتــرينَا

مــا أتانا بـهِ لضـربِ مـثــالٍ نعلـمُ الحقَّ منهُ حــقًــا يقــينَا

﴿وقال أيضًا﴾

قل للذى اعـتبـر الوجـودَ مثـالاً هل نال مـنه العــارفــون مَنالاَ

لا والذى خـضعَ الـوجـودُ لعـزهِ مــا زادهم إلا عـمىً وضــلالاَ

فـإذا عجـزتَ عن المنالِ علـمتـهَ بالعـجزِ ليسَ بما اعـتبـرتْ مثـالاَ

قـدْ حـازَ منْ جـعلَ المثـالَ دليله للعـلمِ باللـهِ العظيمِ خـبــالاَ

فـيـراه تاجًـا فـى الرؤوس مكللاً ويراهُ فى رجلِ الـرجـالِ نعــالاَ

ورأيتـه عنـد اللجـينِ مـخـلصًـا للـناظرين وفـى النضــار ذُبالاَ

لا تقطـعنَّ بما ترى مـنْ صـــورةٍ فـالشمسُ وقـتًا قـد تكون هلالاَ

مــا سـمى البــدرُ المنيــر هلاله إلا إذا كــــبــــرته إهـلالاَ

حــلاكَ تعظيمُ التـشـهــدِ ذاتهُ من خلقِــه سـبـحـانه وتـعـالَى

وتحــــوزُ منـهُ مكـانةً عـلويـةً بعلومــهـا ومــراتبًـا وكــمـالاَ

دارتْ رحى الألبابِ فى طلبِ الذى مـا زالَ فى أرحى العـقول ثفـالاَ

فـيـرى مُطِيّـهُـمْ لذاك من الوجى ... تشكـو عــيــاءً عنـده وكـــلاَلاَ

فى مـهمـةٍ قطع السُّـرى أنياطهـا ... قطعًـا وزادهم العِـيـان مضـلاَلاَ

فـإذا ظفــرتَ بهِ فلستَ بـظافـرٍ ... وتقـولُ فـيـما تـدعيـهِ مُـحـالاَ

منْ يدعى عـلمَ الصـفــاتِ فـإنهُ ... لا يعــرفُ الإدبـار والإقــبـــالاَ

من يدعى التـصريفَ فى أحكامـهِ ... قـدْ ظنَّ ظـنًا أنَّ فـيـهِ مـــحـالاَ

هيـهـاتَ كـيفَ ومـنْ يكيفُ ذاتهُ ... فـهـوَ الذى يعـتـالُ أينَ اغـتـالاَ

لمَّا رأيتُ وجـــودهُ منْ خلـقـــهِ ... نورًا وأنصـــبــه الكيـــانُ ظِلالاَ

أيقنتُ أنَّ الأمــرَ فـيـــهِ تحـيـــرٌ ... عند الـلبيـبِ يهـيج البَلْبَـــالاَ

ويقـولُ أهـلُ الكشفِ فـيـــهِ بأنهُ ... تفـصـــيلهُ لا يقـبلُ الإجـــمـالاَ

ولـذاكَ أنزلـهم وهـم فى مـلكـهِ ... دون الملـوك أئمـــة أقـــيـــالاَ

يدعونَ فى لحنِ الشـريعة والهدى ... بالـوراثيــنَ الكـلَّ الأرســــالاَ

فـهمُ بـأرجـاءِ الوجـودِ مـــذانب ... وجـعـافـرٌ قـــدْ أرسلوا إرسـالاَ

ولوْ إنــهمْ فى كلِّ عـلمٍ جـــامعٍ ... قـد جــرروا عـجـبًــا به أذيالاَ

اللهُ كـــرمـــهمْ بعـلمِ وجـــودهِ ... وسـقـــاهمُ كـاسَ العلومِ زُلالاَ

﴿وقال أيضًا﴾

هنا يشـــاهد مـا الألبـــابُ تنكره ... لأنه بدليلِ الـكشفِ ليس سـواكْ

ومـــا لهُ مـثـلٌ يعطيكَ صـــورتَهُ ... إلا الصـلاةَ إذا صليـتهـا بسـواكْ

إنى غلطتُ بـقـولى إنَّهـا بسـواكْ	والحق عند الذى صلى بغيرِ سواكْ

فانظرْ ترى العلمَ فيـما قد أتيْتُ به	فى قولنا بدليلِ الكشفِ ليس سواكْ

﴿وقال أيضاً﴾

إنَّ الحـجابَ علينـا عينُ صـورتِنَا	فـإذ ولابدَّ فـاحـجُـبْنِى بصـورتهْ

ولا تنزلنَّ فـيــمـا لا أسـرُّ به	من بعد ما نلتُ مـنه عينَ سُورتهْ

إنْ كنتَ مجـتمعًـا بالحقِّ فى بصرٍ	فـالعبـد يمـتاز عنـه فى بصيـرتهْ

لوْ كـانَ يحجبـهُ كـما تشـاءُ بهِ	فـالحقُّ يطلبـه بحُسنِ سيـرتهْ

﴿وقال أيضاً﴾

إنـى رأيـتُ بـظـنـى	من كـان كـلبًـا ظَبـيًّـا

وكـان شـخـصًـا كـريمًـا	مـن الأنـاسـى سـويًّـا

ولـمْ أجـىءْ بـالـذى قـلـ	ـت فـيـه شـيًـا فـريًّا

ولا تقـل فـيـه مـسخ	تكـنْ فـتـىً عـربيًّـا

﴿وقال أيضاً﴾

ضاقَ النطاقُ وضاقَ الشِّبْرُ والباعُ	عن التـجلِّـى وأبصـارٌ وأسـمـاعُ

فـمـا يرى نفـسـه إلا بـهِ فلهُ	فى كلِّ ذاتِ تراكـيبٍ وأطبـاعُ

﴿وقال أيضاً﴾

العلمُ أولى ما اتُّبِعْ والعبدُ عبدُ ما اتَّبَعْ
هذا هو الحقُّ بدا فخذ بقولي أو فَدَعْ
من وسع الحق فما يعجز عن شي يسعْ
ما أشرفَ العبد الذي لكلِّ شيٍ قدْ وضعْ
من نازلٍ وصاعدٍ وخافضٍ ومرتفعْ
ميزانُهُ في يدهِ كالحقِّ يُعلي ويضعْ
إنْ قالَ قولاً هائلاً فما يقول من جَزَعْ
لأنَّهُ يعلمُ أنَّ القولَ بالحقِّ صَدَعْ
عبادَه فاعتبروا في هولِ يومِ المطلعْ
إذا أتى العبدُ به إلى الجحيمِ فاطلعْ
لكي يرى صاحبَهُ عنه الأمان قد نُزِعْ
فقال: تالله لقد كِدت لتردينْ ومعْ
هذا فإني شافعٌ فيكَ إنَّ اللهَ شفعْ
فالحمدُ لله الذي خلصني مما وقعْ
فيهِ الجهول إذْ أتا ه رادعٌ فما ارتدعْ
في سورةِ الصفِّ أتتْ آيتهُ لوِ اطلعْ
على المعاني نلتُها نيلَ الذي بها انتفعْ

فى منزلِ الدنيا الذى ... لكلِّ خيرٍ قد جَمَعْ

والشكرُ لله الذى ... منَّ علىَّ ودفعْ

عنى ما احذره ... يومَ النشور والفَزَعْ

وجاءَ فى توقيعهِ ... هذا جزاءُ منْ تبعْ

بعقدِهِ وفعْلِهِ ... رسولَنا فيما شرعْ

وكلُّ ما جاء به ... إليه من شرعٍ نزعْ

وما توانى ساعةً ... وما افترى وما ابتدعْ

فوجهُهُ النورُ إذا ... ما النورُ فى الحشرِ سطعْ

فالحمدُ لله الذى ... يحمدُ أعطى أو منعْ

بذا أتانا وحيُهُ ... فألسنُ الخلقِ تبعْ

بأنه قال على ... لسانِه ما قدْ شرعْ

لهُ بما يقولهُ ... على مُصلٍّ مُتَّبِعِ

إمامِ قومٍ مقتدِ ... ليسَ بشخصٍ مُبْتَدِعِ

وأىُّ مجدٍ مثلُ ذا ... وأىُّ فخرٍ قدْ سمعْ

أصبح عبدًا تائبًا ... عنى إذا قال سمعْ

اللَّهُ واللهِ لمنْ ... حمدُه كذا وقعْ

﴿وقال أيضاً﴾

من كـــان تـكملُ ذاتُه بـســـواها ... فـهـوَ الذى بالمحـدثاتِ يضـاهَى

الحقُّ أعظمُ أنْ يكونَ كـمـثلِ مـا ... قد قال بعضِ الناسِ فـيه فضاهَى

أكـــوانُه بـصـــفــاته وتـبـــاهى ... فى ذاكَ إعـــجـابًـا بهـا وتـناهَى

منْ يقـبلِ الأغـيـارِ كـانَ سـواها ... وهى التـى ثبــتتْ لمـنْ ســواهَا

عندَ المـنازعِ للمـــحـــقـقِ والذى ... مـا زالَ ينكرُ كــونهـا أشـبـاهَا

فانظر إلى هذى العـقول من الذى ... قـد كـان أثْبَتَـهَـا فـما أعـمـاهَا

﴿وقال أيضاً﴾

الحـــــمــــــــدُ للهِ الَّـذِى ... بِـفَـــضْلِـهِ فَـــــضَّـلَنَـا

بواحِـــــدٍ صَـــــيَّــــرنَـا ... إلـى نَـعِـــــــيـمٍ مِنْ هُـنَـا

بِـجَنَّةٍ عَـــــــالِيــــــــةٍ ... لَهـــــا التَّـــــدَانى لـلجنَى

وسَـــقـفُـــهـا العــرْشُ كـمـــا ... أرْضٌ لهــــا كُـــرْسِـــينَا

إنْ كُنْـتَ عــبْـــداً مُـــذْنِبَــا ... كـــانَ الإلهُ مُـــحْـــسِـنَا

أو كنْتَ عَـــبْـــداً مُــحْــسِناً ... كــــان الإلَـهُ مُــــؤمِّنَـا

أقُـــولُ قَـــولاً ثَـالِثًــــا ... فــــــــــإنَّـهُ أوْلَـى بِـنَـا

الحـــــمــــــدُ للهِ الَّـذِى ... أذْهَـبَ عـنَّـا الحَــــــزَنَـا

ولا أقُـــولُ مِـــثْلَ مَـــا ... يَقُـــولُ فِـــيـــهِ الزّمَـنَا

أقْدَامُنَا أقْدَامُنَا ... لَصِدْقِهَا فالامنا

قَالُوا كَمِثْلِ قَوْلِنَا ... قَولاً صَحِيحًا بَيِّنَا

يَنُوبُ عَنَّا مِثْلَ مَا ... نَنُوبُ عَنْهُ نَبْنَا

قَامَ الوُجُودُ كَلَّهُ ... مَا بَيْنَ ذَمٍّ وثَنَا

فَالحَمْدُ فى الكَوْنِ لَهُ ... والذَّمُّ فى الكَوْنِ لَنَا

فَمَا لَنَآ فَهُوَ لَهُ ... ومَا لَهُ لَيْسَ لَنَا

إلاَّ الَّذِى اخْتَصَّ بِنَا ... كَفَقْرِنَا وَذُلِّنَا

كَذَا حَكَاهُ شَيْخُنَا ... فِى حَالِهِ بَسْطًا مِنَا

عنْ الإلَهِ قَالَهُ ... فى ثُرْبِهِ لَمَّا دَنَا

لَهُ الوُجُودُ كلَّهُ ... والحُكْمُ فِيهِ حُكْمُنَا

فما رَأيْنَا سِوَى ... ومَا بَدا إلاَّ بِنَا

ومِثْلُ ذا إنْ كان ذا ... قَدْ حَارَ فِيهِ عَقْلُنَا

فَكُن بِهِ أوّلا كَمَنْ ... فإنَّهُ يُعِينُنَا

العِلْم مَا أنْزَلَهُ ... إلىَّ وَحْيًا بَيِّنَا

ولَيْسَ مَا نَنْظُرُهُ ... فى ذَاتِهِ بِفِكْرِنَا

فما أتى من خَطَأ ... فإنَّهُ مَنْ وَهْمِنَا

لا أُفَكِّرُوا فى ذَاتِهِ ... بذا أتاكُمْ شَرْعُنَا

وإنَّمَا حَجَرَهُ ... إضَافَةُ الفِكْرِ لَنَا

مَـنْ عَـــــايَنَ الحـقَّ كـــــذا لـم يَعْـــــبُــــدْ إلاَّ الـوَثَنَـا

تَـوْحــــيُـــــدكُمْ إلـهكـمْ فـــذاك عَـــيْنُ شِـــرْكِـنَا

وإنَّمَـــــا تَـوْحِــــيــــدُهُ أنْ لا تَـرَاهُ أعْــــــــــيُـنَـا

كـــمـــا أتَـانَا عَنـهْـــمُـــو فـــالسِّـــبُلُ فِـــيــهِ سَـبُلُنَا

﴿وقال أيضًا﴾

الكبـــرياءُ رداءُ منْ سـجـــدتْ لهُ كلُّ الجبــاه وســـخَّـر الأقـيـالاَ

أنتَ الرداءُ وعـلمكم بمـن ارتدى علـمٌ لذا لا يقـــبلُ الإشـكالاَ

وصفُ النفوسِ جـزاؤها وهذا أتى نصُّ الكتـابِ ففـصَّلوا الإجمـالاَ

ولتـتـخـذْ إنْ كنتَ تعـقل قـولنا وصف الإله لمـا يرون مَـــجـــالاَ

إنَّ البـيـانَ لذى عمىً فى نـفسـهِ مـــا زاده إلاّ عــــمى وضــــلالاَ

لو يدرى ذو السمعِ السليمِ مقالتى ونصـيحتى عــنْ حكمهـا ما زالاَ

وبدتْ له كالشمسِ تـشرق بالضحى ورأى علـيـــه نورها يـتـــلالاَ

مـا يصـدق الكنـز الذى يجـدونه العـــارفـونَ يرونَ ذاكَ مـــحـالاَ

خـتـم الإله على قلوبِ عـــبادِهِ أنْ لا يكونـوا كـــبــرًا ضـــلالاَ

وإن أظهـروا إضـلالهم وتكبـروا فـــالعـالمـون يرون ذاك خَـيــالاَ

فلذاكَ يـظهـــرُ ذله فـى مـــوقفٍ ويــــذلـــهُ ربُّ الـــورى إذلالاَ

كـــالذرِّ ينشـــرهُ الإلهُ بمـوقفٍ ليـــذوقَ فـيــــه خـزيـه ونكالاَ

لمَّـا تكـبـــــــرَ بـدرهُ فى ذاتـهِ   لحقَ الصـــغـارُ به فـعــادَ هلالاَ

لا بل أزال الحقُّ عـنه ضـيــاءَه   مـحـقًـا فكانَ المحقُ فـيـهِ وبالاَ

لو يشهـدونَ كما شـهدتُ مقـامَه   رفــعــوا له أصــواتـهم إهلالاَ

وأفـادهُمْ مـا قــدْ رأوهُ شـهـادةً   وتـريةً فـى قلـبــــــهِ ونـوالاَ

لا يشـهــدُ البـدرَ المنـيـرَ هلالاً   إلا عــيـونٌ أبصــرَته كـمـــالاَ

لَّما بدا للـعـينِ خـلفَ حـجــابِهِ   كنتَ الحـجابَ لهُ فكنتَ حـجالاَ

ورأى الذى عـاينتـــه من حكمـة   فى سـتـره عـمـن يريد فـشـالاَ

لنـراه حــــتى لا نـشك بـأنه   هوَ عـينهُ فـأتى الحـجـابَ زوالاَ

فـعلمتُ أنَّ الأمــر لا ينفك عن   سـتــر عليـه وكــان ذاك ظِلالاَ

العــــرشُ ظلُّ اللـه فى ملكـوته   وبذا أتـتْ أرســـالـه أرســـالاَ

تاهَ الـذينَ تحــيــــروا فـى ذاته   عـجـبًـــا بذاكَ وجـرروا الأذيالاَ

وتقــدمـــوا لَّما تقـدسَ عـندهمْ   وأنالهـم تقــديســـهمْ إجـــلالاَ

مـا عظمَ الأقوامَ غـيـرُ نفوسـهم   فى عـــينه سبــحـانه وتعـــالَى

لما علـمت بأننى مــتــحـيِّـــر   فـينـا وفـيـه مـا رددت مـقـالاَ

وعلمتُ أنَّ العـجـزَ غـايـةُ علمنا   بوجـــودِه سبــحـانه وتعـــالَى

فـمــوحـد ومـشـرك ومـعطِّل   ومـــشــبـــه ومنـزهٌ يتـغـــالَى

حـتى يكذبَ مـا يقـولُ بنفـسـهِ   عن نفـــســـهِ ويردَّه إخـــلالاَ

قـد كنتُ أحـسب أنَّ فى أفكارنا   عـــينَ النجـــاةِ لمنْ أرادَ وصـــالاَ

حـتى قـرأتُ كـتــابه وحـديثـه عنْ نفـسـهِ فى ضـربهِ الأمـثـالاَ

فـعلمت أن الحقَّ فى الإيمـان لا فى العـقل بل عاينت ذاك عـقالاَ

فى آيةِ الشـورى تحـارُ عـقـولنا وتواصلُ الأسـحـارَ والآصـالاَ

إنْ كنتَ مـشـغـوفًـا بروية ذاتهِ فـاقطع إليـه سـبـاسـبًـا ورمـالاَ

حـتى تـراه ومـا تراهُ بعـينهِ إن النـزيه يبـاعـد الأشـكالاَ

مـثلَ الذى جـاءَ الكـتـابُ بنصـهِ فى رمـيـهِ بتـلاوتى الأنفـالاَ

إنَّ اللبـيبَ يحارُ فى تكيـيفِ منْ هوَ مـثـلهُ وينازلُ الأبطالاَ

للهِ بـيتٌ بالحـجـازِ مـحـرمٌ لا يدخل الإنسـانُ فـيـه حـلالاَ

مـا إنْ رأيتُ لـهُ إذا حـقـقـتـهُ حـقًـا يقيـنًا فى البـيوتِ مـثـالاَ

قـد أذنَ الرحـمنُ فـيـه بحـجـه فـاتوه رُكـبـانًـا به ورجـالاَ

بيـتٌ رفـيـع بالمكـانةِ سـابقٌ أضحى لهُ البـيتُ الضراحُ سـفالاَ

هوَ لـلدخـولِ وذا يطافُ بـذاتهِ كـالعـرشِ أصبحَ قـدره يتـعـالَى

والقلبُ أشـرف منه فى مـلكوته ملكَ الوجـودِ وحـازه أفـضـالاَ

لولا اتسـاعُ القلبِ مـا وسع الذى ضـاقَ السـمـا عنه فـأصـبح آلاَ

بالقـيعةِ المثلى مـنْ أرضِ وجودنا ولـذا كـنـى عـنـه بـلا وبـلالاَ

لا شىءَ يشـبـهـهُ لذاكَ وجـدتُه فى الفـقـدِ منصـوبًا لكم تمثـالاَ

وفـاكمُ الرحـمنُ فـيهِ حـسـابكم قـولاً وعـقـدًا منـةً وفـعـالاَ

لا يلتـفـتُ منْ قـال فـيـهِ إنَّهُ يفـرى الكلى ويقطـعُ الأوصـالاَ

بالحـــفظ كـــان وجـــودُه لمـكانه ولذاك يحـــمل عـنكم الأثقـــالاَ

لولا وجـودى ما عـرفتُ وجـودَهُ ولذاك كنـتُ لكونه مـــغـــتـــالاَ

من بحـثـه كـان اغـتـيـالى كننه فـــالبـحـثُ لى ولهُ علوٌّ حـــالاَ

أمـســيتُ فـيـه لكـونه ذا عـزة دونَ الأنام مـخـادعًـا مـحـتـالاَ

لَمَّا رأيتُ الأمـــرَ يعظـمُ قـــدرهُ ورأيتـــه يزهـو بنا مـــخـــتـــالاَ

حـصلتُ أسـبـــابُ الخـداعِ بذلةٍ وتمسكـن فـــيـــه فـــزدت دلالاَ

إذلالـه إذلاله لـوجـــــــــودنـا فلـذاكَ لمْ تـظفـــــــرْ بـهِ إذلالاَ

لولا وجـودُ صـفـاتِهِ فى غـيـرهِ مـشـــهـودةٌ ببـــراعـةِ مـــا نالاَ

إنَّ الإلهَ يـغـــــــارُ أنْ يلـقى بـهِ ولذا أذلَّ عــــــبـــــــادَه إذلالاَ

فى مـوطنِ التحـقيق لا تبـدوا به فـبكفـركمْ قـالَ الذى قـدْ قـالاَ

لما تـأهل بالـذى مـــا زلـتـــه اصـبحتُ لـلأمرِ العظيـمِ عيـالاَ

وأتى الحـــديثُ بنشـــره وبنظمـــهِ فـشـربتُ مـــاء كـالحـيـاةِ زُلالاَ

اللهُ أعظـمُ أنْ يحـيطَ بوصـــفـهِ خلقٌ ولـو بلغ الســـمـــاءَ ونالاَ

مـا نـاله أهلُ الوجـودِ بأســرهم منْ نعـتـــهِ سـبـحـانـهُ وتعـالَى

العجـزُ يكفيـهـم وقد بلغـوا المنى والجـاهل المغـرور مَـن يتـغـالَى

لا تغل فـى دينِ الشـــريعـــةِ إنه قـدْ جـــاءَ فـيـهِ نهـيـــهُ وتوالَى

منه خطابُ النـهى فى أسـمـاعنا حـــــتى رأيـنا نـورَهُ يتـــــلألاَ

لا تغلُ فى دينِ الحـقـيقـةِ ولنقل فى الله مـــا قـــال الإله تعـــالَى

فـهـوَ اعتـقـادهُ المؤمنينَ فـلا تزدْ		إذ بلـغــوا فـى ذلك الآمـــاَلا

﴿وقال أيضاً﴾

ألا إننى العـبـدُ المليكُ السـميـدَعُ		ولِ منزلٌ من رحـمـــةِ اللهِ أوسعُ
ومن رحـمـةِ الله العظيمِ وجـوده		وهذا غريبٌ فى العلومِ فاجـمعُوا
لهُ كلَّ بـرهانٍ عـــسى تدركـــونهُ		وليسَ لهُ فى عالـمِ الفكرِ موضعُ
لقـــد وسعَ الحقُّ المبـينُ بـصـورة		إلى مجدِها تعنو الوجوهُ وتخضعُ
أنا الأزلىَّ العـينُ والمحـدثُ الذى		له فى قلوبِ الـكونِ حظٌّ ومـوقعُ
أنا فـيضـه السامى أنا عـرشُ ذاته		أنا العــــالم العلوىّ بـل أنا أرفعُ
أنا العـربىّ الحـــاتمىّ أخـو الندى		إلى حضــرتى تغدو المطىُّ وترجعُ
ثقـالاً وقد كـانت بهم فى وروده		خـفـافًا فـتـعـدو للنوالِ وتوضعُ
لنا فى زمانِ الخـصبِ ملهىً وملعبٌ		وفى وقتِ جدبِ الأرضِ مرعىً ومرتعُ
أنا عـدله السـارى أنا سـرُّ كـونه		أنا فضلُهُ الماضى الذى ليسَ يرجعُ
أنا المسجدُ الأقصى أنا الحرم الذى		إلى بيـتـهِ تعـدُو النيـاق وتسـرعُ
إلى مـهبطِ الأسـماءِ تقنعُ أروسًـا		ونحو استواءِ الأرض تسمو وترفعُ

﴿وقال أيضاً﴾

إذَا حِـــزْنَا وَحَـــارَ النَّـاسُ فِـــينَا		وَأَسْكَـنَّاهُـمُ البَـلَدَ الأَمِــــــينَا

عَـرَفْنَا الحقَّ حَـقًّا فَـاتَّبَـعْنَا فَكُنَّا فِى القِـيَـامَـةِ آمنِينَا

ولَولاَ ذاك مَـا كُـنَّا عَـبِـيـدًا بِمَا قَـالَ المُهَـيْـمِنُ غَـالِبِـينَا

ويُشْـهِـدُنَا الأمُـورَ كَـمَـا عَلِمْنَا فَنَقطَـعُ تَجِـدْهَا حِـينًا فَـحِـينَا

رَأيْتُ أَئِـمَّـةُ كُـبَّـارَ قَـوْمٍ أَضَلُّوا بَـعْـدَمَـا ضَلُّوا يَقِـينَا

فـإِنْ عَـزَمُـوا عَلى إبْـطَالِ حَقٍّ وكَـانُوا فِى الشَّـرِيـعَـةِ مُمْتَـرِينَا

فـإِنَّ اللهَ يُهْـلِـكُهُـمْ ذِهَابَـا وَيَأتِـيكُـم بِقَـوْمٍ آخَـرِينَا

ويُخْـزِيهِمْ وَيَنْصُـرْكُمْ عَلَيْـهِمْ وَيَشْفِ صُـدُورَ قَـوْمٍ مُـؤْمِنينَا(١)

أقـولُ لَهُم وَقَـدْ كَـفَـرُوا بِقَـوْلِى كَـفَـرْتُم بِئْسَ عُـقـبَى الكَافِـرِينَا

أنَاَ الشَّـخْصَ الَّذِى مَا زَالَ قَـوْلِى يَرَاهُ ذُو الـنُّهَـى الحقَّ المُبِـينَا

﴿وقال أيضاً﴾

وقد رأى رؤيا نظمها كـما ذكره فى نظمه قال وأكثـر هذه القصيدة وقع نمت فى النوم وأتممتها فى اليقظة.

قـد صحَّ عندى خـبـر وجلّ عـندى مـن خـبـرْ

لـيس لـنـا إعـادة فـيـمـا انقـضى ومـا غـبـرْ

من صـور مـعـلومـةٍ مـحـسـوسـةٍ من البـشـر

لأنـهـا علـى مـزا ج كـله مـزاجُ شـر

وإنمـا إعـادتـى فى مـثـلهـا مـنَ الصـورْ

(١) استلهمها من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة التوبة - آية ١٤]..

على مزاجٍ صالح ... ما فيه شيءٌ منْ ضررْ

من صور مشهودةٍ ... فيهنَّ نحيا ونسرْ

فى فرشٍ مرفوعة ... منضودة وفى سُررْ

ملكًا إمامًا سيّدًا ... مدبرًا لمنْ نظرْ

وهى الذواتُ عينها ... المودعاتُ فى الحفرْ

لم تلحق الذات إذا ... نظرتَ فيها منْ غيرْ

وإنَّما مزاجُها ... من يعتبره لم يحرْ

لله فى هذا الذى ... أقوله معنىً وسرْ

يفرقُ منهُ ذو حجىً ... إذا به الحق ظهرْ

فالحمد لله الذى ... أشهدنى هذا الخبرْ

فى نومنا وعندنا ... محمدًا سفنديرْ

وامرأةٌ مؤمنةٌ ... الوجهُ منها كالقمرْ

يا حسنها من غادةٍ ... فتانةٍ لمن نظرْ

فديتها معشوقةً ... بالسمعِ منى والبصرْ

فى صورةِ الحقِّ أتتْ ... معَ الدلالِ والخفرْ

يستصرخ الشخص الذى ... أراد أنْ يعطى الوطرْ

منها فلمْ يحفل بهِ ... ولا على النيلِ قدرْ

ما يفعلُ المسكينُ إذْ ... لم ينجه منها الحذَرْ

قـــــــــــالـتْ لـهُ انـزلْ إلـىَّ　　من قـــدْ نـهــــانا وأمـــــرْ
إلـى هـنـا كـــــــــان الـذى　　أريتـــهُ حـــتـى الســـحـــرْ

﴿وقال أيضاً﴾

رأيتُ جـــاريةً فى النومِ عـــاطلةً　　حسناءَ لـيسَ لها أختٌ منَ البـشرِ
ترنو إلـىَّ بعـــينٍ كلهـــا حَـــوَر　　فمتُّ وجـدًا بها من ذلـكَ الحورِ
لَمَّا نظـرتُ إليـهـــا وهىَ تـنـظرنى　　فنيت حـــبـــالهـا من لـذةِ النظرِ
وقلتُ للنفسِ يا نفسُ انظرى عــجبًا　　هذا الخيالُ فكيف الحس يا بصرى
انظر إلى لطفـهِ وحـسنِ صـورتهِ　　بالفـاء لأبالى منْ حـضـرةِ الفكرِ
ولتـعـتبـرهْ وجـودًا لمْ يقم عـدمٌ　　به ولا ندمٌ من صـــورةِ البـــشـرِ
فـــإنهـــا جنّةُ المأوى لســـاكنهـــا　　وجنـةُ الخلـدِ لا منْ جنـةِ النـظرِ
وتلكَ جنةُ عـدنٍ والـكثـيبُ بهـا　　معَ الذى يحـتوى عليـهِ منْ صورِ
هذى المعالى التى الأفكارُ تطلبـها　　وهىَ التى نالَ أهلُ الكشفِ بالنظرِ
فـأين غايتــهم فيـما ذكـرت لكم　　هذى الروائح من مسك لهم عطرِ

﴿وقال أيضاً﴾

لما شهـدت الذى سوى حـقيقـتهُ　　فى ذاتِ أكملِ مخلـوقٍ منَ البشرِ
يخصـه اسم وما الأسماء تحـصره　　وليسَ شـيـئًـا لهُ نعتٌ بمنحـصـرِ

لأنه قـــائمٌ بـكلٍّ مـــا وصـــفتْ   به الذواتُ مـن التنزيه والغـيـــرِ

سبحانَ من أوجد الأشياء من عدمٍ   ومنْ ثبوتٍ وجـودٍ غيـرِ مختـصرِ

فى عـينه أو عيـونِ الخلقِ يظهـره   أحكامُهـا بالذى فثيهـا منَ الصورِ

وكلهُ خـارجٌ عنْ عـــينِ صـورتِهِ   بما له فى وجـودِ العينِ من سـورِ

الحقُّ أوجــــدَه والكـونُ عـــينهُ   بما لـديه من الآيـاتِ والســـــورِ

فــى كـلِّ آيـةِ تـنزيـهِ لـهُ عـلـمٌ   بهِ يشـــبـهـــهُ منْ كـــانَ ذا نظرِ

فـالحكم يشـفـعـه والعـينُ توتره   والعـقلُ ينكر مـا يتلوه من خبـرِ

جلّ الإلهُ فـمـا تحصى مـشـاهدهُ   قدْ حارَ فيهِ وجـودُ العقلِ والبصرِ

لأنَّهُ يـتـــعــــالى فـى نزاهتـــهِ   عنِ العقولِ وعـمَّا كانَ فى الفطرِ

لذا يقـــولُ رسـولُ اللـهِ نحنُ به   كمـا يكون له فانهض عـلى قدرِ

لو كـــان لى مـــا له لكنتـــه وأنا   إنْ كنتـــهُ فـــأنا منهُ علـى خطرِ

لكــنْ أقـــولُ أنا إنْ قـلتـــهُ بـأنا   عينُ الوجودِ الذى فى الحقِّ من سيرِ

فالـصورُ ليسَ لهُ والعـينُ ليسَ لنا   وباجتـماعهمـا لى ينقضى وطرِى

﴿وقال أيضًا﴾

عنِ العـدلِ لا تعدلْ فأنـتَ المعدلُ   وإنَّ قـيامَ الـفضلِ بالحـرِّ أجـملُ

فلو عـامـلَ الله العـبـادَ بـعـدله   لأهلكهـم والله من ذاك أفـــضلُ

يجـودُ ويثـرى بالجـمـيلِ عليـهمُ   وليسَ لهُ عمًا اقتضى الجودُ معدلُ

تبـــاركَ جـلَّ اللَّهُ فـى ملكـوته ... كـمالاً وإنَّ اللهَ فى الملكِ أكـملُ

فـإنَّ الذى فى الملكِ صورةُ عـينهِ ... وفى ملكوتِ اللهِ جـزؤ مـفـصلُ

وليسَ لهـذا اللفظِ عندَ اصطلاحنا ... مـبـالغـة فـانظر على مـا أعـوِّلُ

إذا كنتَ فى قـــومٍ تكلمْ بلـحنهم ... وحـيـنئـذٍ يجـــملْ بهِ ويفـــصلُ

إذا كنتَ فى قـــومٍ تكلمْ بلـحنهم ... لتفهمهمْ لا تلجئِ الشخصَ يسالُ

لو أنَّ الذى بالعـجز يُعـرف قدرُه ... لكنت كريم الوقتِ يسدى ويفضلُ

وكانتَ لكَ العلـيا وكنتَ لكَ المدى ... وأنتَ بهـا العالـى وما ثمَّ أسـفلُ

ومن أين جاءتْ ليت شعرى ففرِّعوا ... كلامى الذى قدْ قلتُ فيهِ وفصلوُا

علمتُ الذى أودعـتُه فى مقـالتى ... وجـملةُ أمرى أننى لستُ أجـهلُ

لأنى بهِ قلـتُ الذى جـئـــتكم بهِ ... ومن كان قول الحق قل كيف يجهلُ

أنا كلمـاتُ اللـه فـالقـولُ قـولنا ... لأنى مـجمـوعٌ وغيـرى مفـصلُ

كعيـسى الذى يحيى وينشءُ طائرًا ... فـيحـيى بإذنِ الله والحقُّ فيـصلُ

فمنْ كـانَ مثلى فليقلْ مـثلَ قولنا ... وإلا فإنَّ الصـمتَ بالعبـدِ أجملُ

«وقال أيضاً»

إنى سـألتكَ أسمـاءً وحـصرتُهـا ... تسعٌ وتسعـون لم تنقصْ ولم تزدِ

بأنْ يـكونَ لنا فـى كلِّ حــــادثةٍ ... عينُ اسـتناد وأنتم خير مـستندِى

جـاء الجوابُ لنا من فـوق أرقعـة ... سبعٌ من الدُّخ قامَتْ لا على عمدِ

يرونهـا وأنا عـيـنُ العـمـادِ لهـا | لـذا تزول إذا زلـنـا مـن البـلـدِ
فـإنَّهـا لى ولولا عـبـنى مـا بينتْ | والحقُّ يبـعـد عن مـراتب العـددِ
لذا يكـفـرُ بالتـثليثِ قـائلهُ | أينَ الثـلاثُ من المنعوتِ بالأحـدِ
اللهُ أعـظمُ أنْ يلقـاهُ منْ أحـدٍ | فى عـينِ كثـرته فـاعمل به وقـدِ
ينجو إذا صاحبُ الأعدادِ يهلكُ فى | تعـداده وهو الحـيـرانُ فى كـبـدِ
وكلُّ عـينٍ من الأعـدادِ تطلـبُـه | ولا سـبـيـل إلى فـوزٍ بلا سندِ
قل للذى رام أنْ يحـظى بموجـده | هيهاتِ هيهـاتِ لا تعدلْ عن الرشدِ
فليسَ يحظى بهِ منْ ليسَ يـشبـههُ | وليس يشبـهه فى العـين من أحدِ
إذا تجلَّى لكـمْ فى عـينِ وحـدتهِ | لنْ تدركـوهُ لأنَّ الروحَ ذو جسـدِ
والعـينُ ذو جـسدٍ فـأينَ وحـدتُهُ | فـارجـع وراك ولا تكرع ولا تردِ
إنَّ المهـيـمنَ بالأسـمـاء نعـرفـه | والاسمُ يظهـرهُ لصاحبِ الرصـدِ
لذاكَ قـالَ لـهم سـمـوهـمُ فـإذا | سموهمُ بان من أسـمائهم رَشَدِى
فواحـد العينِ مـجهولٌ بلا صـفةٍ | فاعـملِ عليهِ فإنَّ الناسَ فى حـيدِ
عن الذى رمـتُ منه إن تحـصله | لوْ لمْ يكنْ فيـهِ إلا الوصفُ بالجسدِ
لذاكَ يطلبـهُ حـتى يكونَ كـهـوَ | ولا يكن فـاقتـصـر عليك لا تزدِ
لو أنَّ إبلـيسَ عـلامٌ بخـالقـه | كـان الإله له من أعظم العـددِ
لو أنَّ آدمَ لم يخـذلْ طـبـيـعـتـه | ما كان فى الملأ الذرىّ من لددِ[1]

---

(١) يريد قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الغريب: «نسى آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته».

﴿وقال أيضًا فى أسماء سور القرآن لاعتبارٍ ظهرَ له فى ذكرها﴾

مَفَاتِحُ الغَـيْبِ فى أمِّ الكِتَاب فَمَنْ ... يَقْرأُ بها فِى صَلاة فَـهى تَكْفِيه[1]

النِّصْفُ منها لَهُ والـنِّصْفُ مِنْهَا لَنَا ... على اشْـتِـراكٍ وإفْـرادٍ بتَـنْزِيه

وفى الَّتِى قـد تَلِيـهَـا مِنْ بَرَازِخِنَا ... عِلْمٌ صَحِـيحٌ وذَاكَ العِلْمُ أدريه[2]

أتَى بِهَـا اللهُ للأسْـمـاءِ فِى بَقَـرٍ ... يُحْـيى بِهَـا مَـيِّـتًا حيَـاتَهُ فِـيـه

وآلِ عِـمْـرَانَ تَوحِيـدٌ بلا صِـفَـةٍ ... مِن الصِّـفَاتِ التى أتَـتْ بِتَشْـبِيـه

إلى النِـسـاء جَـنْحَنَا فِى تَـلاوَتِنَا ... فَـهُنَّ فَـرْعٌ لَنَا بِكلٍّ تَـوْجِـيـه

وفى العُـقُـودِ عَـقْـدٌ عُـقِـدَتْ بِهِ ... مَـا بَيْنَنَـا لِيُـوفِىَ إذْ نُوفِّـيـه

إنَّ السكِـينة للأنْعَـامِ قَـدْ نَزَلَتْ ... لما تَلاهَا شُـخَـيْصٌ جَلَّ مَنْ فِـيـه

السُّور مِـن سُورَةِ الأعْرَافِ مَنْشَأهُ ... بَيْـنَ الجِنَانِ وبَيْـن النَّار تُـبْـديه

ألفًا لنَـا قد أحَلَّتْ لِلَّذى جُـمِعتْ ... لَهُ العُلُـومُ وهَذَا القَـدْرُ يكْفِـيـه

وتَوبتٌ لَـدَيْهَـا اليَـوْم بَسْـمَلَةٌ ... الاسْمُ فِـيـهَـا وإنَّ اللهَ يُخْـفِـيـه

وإنَّ فى يُونُـس مِنْ ربِّنَا قَـدَمًـا ... لنَا بِصـدْقٍ إذَا مَـا كُنْتُ أعْـنِيـه

وإنَّ هُودًَ لهُ مِـن يُوسُفٍ خَـبـرٌ ... من قَـبلِ تَكْوِينِه مَـا زَالَ يَدرِيه

والرَّعْـدُ تَسبِـيحُهُ حَـمْدٌ يقـولُ بِهِ ... خَلِـيلُهُ وهو إبـرَاهِيمُ يَـحْـوِيه

بالحِجْرِ حَـجرُ وَحْى النَّحلْ حِينَ سَرَى ... بِفِتْـيَةِ الكَهْفِ فى قُرْبٍ من التـيه

---

(١) يقصد سورة الفاتحة.

(٢) سورة البقرة ثم أتى بعدها بباقى سور القرآن حسب ترتيب المصحف الشريف.

وَمَــريمُ ثم طهَ فَـلاَقُـلْ بِهِـمَــا في الأنْبِياءِ بِمَـا أسْمَعْـتُكم فِـيهِ

وإن زَلْزَلَةَ الأصْـعَـاقِ قَـالَ بِهَـا الْمُؤْمِنونَ لِـسـرٍّ فِـيـهِ يُوحِـيـهِ

النُّورُ فُـرْقَـانُ مَنْ أفْتَنْهُ ظِـلَّتـهُ والنَّمْلُ في قَـصَصٍ لَهَا تُجَـافِيـهِ

والعَنْكَبُـوتُ بَنَـتْ بَيْـتًا لتـسكُنَهُ والرُّومُ تَهْــدِمَـهُ وَقْـتًا وتَبْـنِيـهِ

وجَـاءَ لُقْـمَـانُ يَتْلُو بَيْـنَنَا حُكْمًـا بِسَـجْـدَةٍ لتَرِي الأحْـزَابَ تَأتِيـهِ

وفِي سَبَـأ فُطِروُا يَاسِينَ واعْتَـمدُوا على الصُّـفُوفِ لِصَـادٍ شُرْبُه فِـيهِ

لَمَّا أتَتْ نَحْــونَا أمْـلاَكُــهُ زُمُـرًا بِمُـؤمِنٍ فُـصِّلَتْ بِمَـا يُلاقِـيـهِ

نَعم وفي سُورَةِ الشُّــوررَى لَنَا مَثَلٌ مِنَ الإلَه بِـتَنْزِيهِ وتَـشْـبِــيـهِ

وزُخْـرُفُ القَـوْلِ أبْـدَتْهُ دَجَـاجلةٌ بسُورَةِ الدُّخَ صَـافٍ قَدْ جَـثَا فِـيهِ

أحقَـافهُ أوقَعْت فِـيهَا القِتَـال ومَا فَـتَح الحِـجْـرِ بقَـافٍ إذْ تقْـفِـيـهِ

والذَّارِيَاتِ الَّتي فِي الصُّورِ مَسْكَنُهَا هي الدَّوَاءُ لِمَنْ قَـدْ جَـاءَ يَبْـغِيـهِ

النَّجْمُ والقَمَرُ العَالِي يُسْـقِفُه الرَّحمـ ـنُ عَــيْنًا وفي الآفَــاقِ يُبْــدِيه

وكلُّ نَازِلَـةٍ فِي الكَوْنِ وَاقِــعَــةٌ مِنَ الحَـدِيدِ الَّذِي بَـأسَـاؤُهُ فِـيـهِ

فَـإنْ أتَتْ نَحـونَا عَــيْنٌ تُجَـادِلُنَا فَـالحَشْـرُ يَجمَـعُنَا وَفِـيهِ مَـا فِيـهِ

وَلْتُمْـتَحَنْ نسْـوةٌ في الدِّين هُنَ لَهُ مُـهَـاجِـرَاتٌ بِلا عَـجَبٍ ولأيَتِـهِ

والصَّفُّ للجُـمْـعَـاتِ سُنَّةٌ ثَبَـتَتْ مـا لِلمُنَافِقِ حَظٌّ فِـيـهِ يُشْـفِـيـهِ

إنَّ التَّـغَـابُنَ إنْ طَلَـقَتْ سَـابِقَـةً فَــلا تُحَــرِّمُ لَهُ مُلْكًا تُـوافِـيــهِ

رَأيْتُ بالقَلَـمِ الأعْلَى مُـحَـقِّـقـهُ عِنْدَ المـعَــارِجِ إذْ نُوحٌ يُوالِـيــهِ

والجنُّ يُعضدُه التَّزميلُ حينَ أتَى ... مَدَّ ثَريدُه مِنْهُ إلى فِيهِ
وفِى القِيَامَةِ إنْسَانٌ بهَا لَسَنٌ ... بالمُرْسلاتِ وَعَمَّ النورُ يأتيهِ
بالنَّازِعَات والأعْمَى كُوِّرَتْ شَمْسٌ ... والانفِطَارِ مع التَّطْفِيفِ يَحْميهِ
والانشقَاقُ إذا عَايَنْتَ صُورَتَهُ ... عِنْدَ البُرُوجِ تَجدْهُ طَارِقًا فِيهِ
سبِّح إلهَكُمُوا الأعْلَى بغَاشيةٍ ... بالفَجْرِ فى بَلَدِ الشَّمْسِ تُبْدِيهِ
والليلُ عِندَ الشُّحَى يَأتيه شَارِحَهُ ... بالتِّينِ فى عَلَقٍ وَقَدْرُهُ فِيهِ
ولَمْ يَكُنْ زُلْزِلُوا بالعَادِيَات إذَا ... بالقَارِعَاتُ أتَتْ بالقَبْر تُلهِيهِ
والعصرُ يَهْمِزُ فِيلاً بالحِجَارَةِ إذ ... جَاءَتْ قُرَيْش بدين الحَوْضِ تُنشيهِ
وكَافِر قَدْ أبَى نَصْرًا فكَانَ لَهُ ... التَّبُّ مِنْ سُورةِ الإخْلاصِ يَأتيهِ
وسُورَةُ الفَلَقِ النُّورى جَاءَ بهَا ... للنَّاسِ واللهُ مِنْ ضُرٍّ يُعَافِيهِ
فَهَذِهِ سُورُ القُرْأنِ أجْمَعُهَا ... جَمَعْتُ أسْمَاءَهَا لِرَغبَتِى فِيهِ

﴿وقال أيضاً﴾

الصومُ لله العظيمِ بشرعِه ... وإذا أضيفَ إلىَّ كانَ محالاَ
الصومُ لله الكريمِ وليس لى ... لكنْ إذا ما صمتهُ وتعالَى
عن صومنا فيكون ذاك الصوم لى ... نقصًا وفى حقِّ الإله كمالاَ
إنّ الصيامَ لهُ العلوُّ جلالةٌ ... صامَ النهارُ إذا النهارُ تعالَى
وعلوّ قدر العبد فيه خضوعُه ... حتى يكون من الخضوع سَفالاَ

والفِطر لى بالكسـر وهو حقيـقتى فـإذا فـتـحتُ جـعلتـه المحـلالاَ
الأمرُ فى الثـقلِ الحقيرِ كمـثلِ ما هو فى الـعظيم فـدبّر الأثقـالاَ
لا ترض بـالأعلى إذا لـم ترتـقى فـيـه الإله بحـمله الأثقـالاَ
نـال المدبـر رتـبـةً عـلويـة عنـد الإله بحـمله الأثقـالاَ
منْ كـانَ بدرًا كـامـلاً فى ذاته علمًـا يصـيـرهُ المحـاقُ هلالاَ
عند المحـقق فى المحـاق كـمـاله فى ذاتـه فكمـالهُ مـا زالاَ
الشمسُ تظهرُ حكمـها فى عنصرٍ ظلـمـاته من نورهـا تتـلالاَ
من بعـد ما ألقت عليـه سمـاؤها مـاءً له سـرُّ الحـيـاة زُلالاَ

﴿وقال أيضًا﴾

مطوتُ مـتونَ الصـافنات جيـادى بقـبـة أجـيـاد ومـهـبطِ وادِ
أزاحمُ فـيـه كلَّ ملكٍ مـتـوجٍ وأنفـق فـيـه طارفـى وتلادِى
وأظهـرُ فـيـه كلَّ يومٍ بـصـورة إلى أنْ نـزلتُ الأرضَ أرضَ إيـادِ
فـعـاينتُ قـسًـا فى عكاظٍ وعندَهُ بمجلسـهِ المهـدىُّ وهـو ينادِى
أظلكـمُ وقتٌ عليـه مـهـابةٌ بإظهـار مـهـدى شـريـعـةِ هادِ

﴿وقال أيضًا﴾

إنى أغـار على المولى وصـاحـبـه من الحـديثِ بشىءٍ لا أسـرُّ به

ومـــا يـليقُ بحـــــرٍّ أنْ يبلـغـــه فـإنَّ تـبليـغـــه يزرى بمنصـــبـهِ
ونائبُ اللهِ يـرمى بالسـهـامِ فـلا يقف له غـرضٌ فى صدرِ مـذهبِهِ
وليسَ يدرى الذى بالقلبِ منْ صورٍ إلا لبــــــيبٌ يراه فـى تقلبــــهِ

﴿وقال أيضًا﴾

العلمُ أشـرفُ مـا يقنى ويكتـسبُ بصـالحِ العـملِ المرضىّ فى خلقِ
والوهبُ فى العلمِ أمرٌ لا يصحُّ لما عندى له من الاسـتعـداد والطرقِ
فـإنْ تردْ صـفـةٌ عليـا مـقـدسـةٌ مـــثل التـــبـشش لـلورّادِ والملَقِ
ولستُ أقـصد للوارد مـا زعمـوا غيرَ الأسامى التى تأتى على نسقِ
كمثل أسمائه الحسنى التى علمت تخلقًـــا طبـقًـا منهـــا على طبقِ
أعـوذُ منهـا بهـــا بقـولِ عـالمهـا كـمـــا تُعـوِّذ فى نـاس وفى فلقِ
ومن جـهـالة من تردى جهـالتـه ومن دخيلٍ أتى يبغيك فى الغسقِ
إذا رأيتَ وليًـــا يســتـــريحُ إلى ذى لوعـة دائم الأشواقِ والحـرقِ
بادرْ إليـــهِ عـسى تحظى بـرؤيتـهِ فـإنّ تحصيلهـا فى النص والعنقِ
فـإنه من شـهـود الذات فى دعـة وإنه من حـجابِ العـين فى قلقِ
تجـــرى بـخـــاطره فـى كل آونة معَ الملائـكةِ العــــالينَ فى طـلقِ
جرتْ على السنةِ البـيضاءِ سيرتهُ وليس يـقطعـــه قـــواطع الـعلقِ
وكل مـــا جـــاء مما لا يســـرُّ به منَ الإلهِ فـمحـمولٌ على الحـدقِ

ولوْ يكونُ لهُ الإنـسـانُ فى كـبـدٍ … والنفسُ فى تلفٍ والحلقُ فى شرقِ

فحاصل القولِ فى الألوان إنْ كثُرت … فى أســـود حـالك وأبـيض يقَقِ

ولا تخـــادعُ إلهَ الخلقِ فى أحـــدٍ … فـــإنَّ تقليـــده المعلوم فى الـعنق

﴿وقال أيضًا فى الحروف المرقومة﴾

إنَّ الحروفَ التى فى الرقمِ تشهدُها … لهـا مـــعـانٍ وأســـرارٌ لمن نظرَا

فـأولُ الأمـر فى مـــرقـومنا ألفٌ … واللفظ ينكره حرفًـا على ما ترَى

قـالَ ابن حبـانَ فيـهِ فى طريقتـهِ … بأنه نصـفُ حـرفٍ هكذا ذكـــرَا

ونصـفهُ همـزةٌ فى عـينِ كـاتبهـا … كـــذا رأيتُ لهُ نـصًـــا وأينَ يرَى

كـمثلهِ فى عـلومِ أصلِ مأخـذها … من جعـفر وبهذا الفن قد شـهرَا

واللفظ ينكر مـا قد قـال فى ألف … ومـا ابتـغـى جـدلاً ولا رآه مـرَا

وإنَّهُ مـــذهبى إنْ كنتَ تـبتـــغى … لكنَّهُ ثبـتـهـا فى الاعـتبـارِ قـرَا

فيهَ جمـيعُ الذى قدْ صادَ صائدُكمْ … من الحـروفِ لمنْ أعلـمـتَـهُ قـدرَا

فهـمزةٌ تقطعُ العشّـاق إنْ هُجرت … وإنَّ فى وصلِ من تهوى لها خبرَا

والباءُ تـعملُ فى عقـدِ النكاحِ إذا … خطت على صفةٍ قد ألبست حبرَا

والتـاءُ تجمع شـمـلاً بالحبـيبِ إذا … مـحبـوبه بانَ عنه أو نـوى سفـرَا

والثـاءُ تثـبتُ أحـوالَ الرقـيب إذا … جاء الحـبيبُ إليـه بعد مـا هجرَا

والجـيم تعملُ فى أحـوالِ منشئـه … حتـمًا فـتفـرده إذا القضـاءُ جرَى

والحاءُ تطلب بالتنزيه كاتبها ... يومًا إذا صار تشبيه به وطرًا

جاءت إليك بأعيانِ الورى زمرا ... حتى يقضى منها الكاتبُ الوطرًا

والدالُ فى كلِّ ما ينويهِ فاعلةٌ ... لهُ المضاءُ وجلَّ الأمرُ أو صغرًا

والذالُ فى حضرةِ الزلفى لهُ قدمٌ ... فكلما رامَ تقديمًا يرى لورًا

والراءُ توصلهُ وقتًا وتفرحهُ ... بكل ما يبتغى فزاحم القدرًا

وإنَّ لامًا إذا ما جاورت ألفًا ... كذا رأيناهُ فى أعمالنا ظهرًا

والطاء تطلبُ تنفيذ الأمور له ... فانظر ترى عجبًا إنْ كنتَ معتبرًا

والظاء تعطى حصول العبد فى رتب ... تعنو الوجوه له والشمسُ والقمرًا

والكاف فيه لمهمومٍ إذا كتبت ... تفريجُ كربٍ لهُ فى كلِّ ما أمرًا

واللامُ درعٌ له فيه يحصنه ... من كلِّ سوءٍ ومكروهٌ من الأمرًا

والميم يروى به من كان ذا عطشٍ ... من العلومِ بهذا القدر قد فخرًا

والنون تجرى مع الأفلاك صورتُه ... لنيلِ صورة أنثى تَشتهى ذكرًا

والصادُ نورٌ قويٌّ فى تشعشعهِ ... بما له منه فى أحواله السرًا

والضادُ كالصادِ إلا أنَّ منزله ... أدنى فتلحقه برتبة الوزرًا

والعينُ كالجيمِ إلا أنَّ صورتهُ ... فى الفعل أقوى ظهورًا هكذا اعتبرًا

والغين كالعينِ إلا أنْ يقومَ بهِ ... عينُ السحاب الذى لا يحمل المطرًا

والفاءُ كالباءِ فى التصريفِ وهىَ بهِ ... أتمُّ فعلاً فقدْ جلتْ عنِ النظرًا

والقافُ تعملُ فى الضدين إنْ كتبتْ ... غربًا وشرقًا فكن للحالِ مدَّكرًا

والسـين تعصمُ مـن سوء تخـيُّله نفسُ الضعـيفِ إذا شخصٌ بذاكَ زرَى

والشِّينُ كـالتَّـاءِ إلاَّ أنَّ فـيـهِ أذَى يَدْرى بِهِ مَنْ لَهُ التَّـحُكيم والعِبَـرَا

والهَـاءُ تَفـعَلُ أسْـبَـابًا مُـنَوعَـةً وإنَّ فـيهَـا لَمنْ قَـدْ حَـازَهَا أثَرَا

والواوُ تُخْـرِجُ مَا الألْبَـابَ تَسْتُـرُهُ ومَـا رَأيْتُ لَهُ فِي سَـتْـرِهِ خَـبَـرَا

واليَـاءُ جَلَّتْ فَـلا شَيْء يُمَـاثِلُهَـا إلاَّ الَّذى سَطَّـرَ الآياتِ والسُّـورَا

وإنَّ لاَمًـا إذاَ مـا جَـاوَرَتْ ألِفًـا جَاءَتْ إليـك بأعْيَانِ الـوَرَى زُمرَا

عِلْمُ الحُرُوفِ شَـرِيفٌ لا يُقَاسُ بِهِ عِلْم الكيَانِ لَمَنْ قَدْ جـدَّ أو سخِرَا

نَبِـيلة قَـيـلَ هَذا عَـالِمٌ ندس ولا يَخُصُّ بوَصفٍ فَهو مـا انْحصَرَا

لَولاَ العُهُودُ الَّتـى عليَّ قَدْ أخَذَتْ أظْهَرْتُ منهَـا عَلومًا تبهر البَـشَرَا

منَ الخَـصَائِصِ لكنْ قَـدْ أبيحَ لَنَا مَا يجرْى منْهَا اعْـتبَارًا يُذْهِلُ الفكرَا

فَـمَنْ أرَادَ يَرَى أسْـرَارَهَا فـيَـرَى فى الأعْتبَارَ لَهَا أن صَوَّرَتْ صُورَا

ومَـا رَأيْتُ لِمنْ قَـد حَازَهُنَّ أخًـا إلا ابنُ مَنْصور الحـلاَّج فَاشْتَـهَرَا

عَنْهُ بتَـأليـفـهِ فِى ذَلِكُـم خَـبَـرٌ قَدْ طَالَ فِيهِ كَـلامُ النَّاسِ مَا قُصِرَا

﴿وقال أيضاً﴾

أرى نشأةَ الدنـيا تشيـرُ إلى البلى بما حـملتـه من سـرورٍ ومن أذَى

إذا مـا رأيـتُ اللهَ أنشـأَ خلـقـه من أعمـاله فرّقت مـا بين ذا وذَا

وتعلمُ عـندَ الفَـرْقِ أنـكَ واحـدٌ ولا تعتبر من قال فشرا ومن هذَى

وكنْ بكتـابِ اللهِ مـعتـصمًـا ولا　　　تحـرِّف كـلامَ اللـه عن نصِّـه إذَا
أتتك به الأرسـال تـتـرى وكن به　　　على كلِّ حـالٍ تتـقـيـهِ مـعـوذَا
تكنْ عندَ أهلِ العلمِ شخصًـا مقدسًا　　　وعندَ أولى الألبابِ حبـرًا وجهبذَا

«وقال أيضاً»

لما قـرأتُ كـتابًا ليسَ فـى سيـرِكْ　　　علمتُ أنى جهلتُ الأمـر من خبرِكْ
إنْ كان جودُك قد عمَّ الوجودَ فما　　　فى الكونِ حرفٌ تراه ليسَ فى سـيرِكْ
أنت الوجودُ فما فى الكونِ غيركمُ　　　أما وجـودُك أو ما كـان من أثرِكْ
فالكلُّ أنتَ ومـنكَ الأمرُ أجمـعُهُ　　　إليكَ مرجعـهُ فى الآى من سورِكْ
إن كنت عـــينكمُ ولم أكن فـــأنا　　　بكلِّ حالٍ لنا مـا حلت عن نظرِكْ
بنا وصـفتَ كما بكمْ وصـفتُ أنا　　　فقلْ بلى أوْ نعـمْ الكلُّ منْ قدرِكْ
سبحان مَن مـجدُه تعنو الوجوه له　　　والكلُّ هو فلمنْ تـعنو على نظرِكْ
عجبتُ منِ سبحاتِ الوجهِ يمنعها　　　سدلُ الستـورِ عن الإحراقِ منْ بصرِكْ
وليسَ يحـرقُـهـا أنوارُ وجـهكمُ　　　كذاك ترجم مـا أودعت فى زبرِكْ
قل للذى أنتَ فى الأكـوانِ تطلبه　　　قدْ خبتَ واللهِ يا مـغرورُ فى سفرِكْ
يا ربِّ هذا الذى ذكـرتَ قـصتـهُ　　　بأنَّ نعـمـتكمْ نجـتهُ فى سـحـرِكْ
ولمْ أنلْ حكمـةً غـراء فى سمـرٍ　　　مثل التى نلتهـا فى الليلِ من سمرِكْ
فاحـفظ علىَّ علومًـا أنت غايتـها　　　واعصم عـبيدَك يا الله من غـيرِكْ

فقالَ لى منْ وجودى خـيركمْ بيدى	وكلُّ ضـرٍّ تراهُ فـهوَ منْ ضـررِكْ
ولســرٌّ ليسَ إليكمْ هكـذا نطقتْ	بهِ النصوصُ ومـا أدريهِ منْ فطرِكْ

﴿وقال أيضًا﴾

إنَّ لى ربًّا كـريمًا أجـدهُ	كالذى نعلمُ أو نعتقدهْ
هـو منى وأنا منه بـه	ولذا فـى كلٍّ حـالٍ أجـدهْ
كلُّ مـن نال الذى قـد نلتـه	من وجـودٍ قـدْ تعـالى مشـهدُهْ
إن أسـتـاذى الذى أدّبـنى	هو شخـصٌ فى وجودى يشـهدُهْ
هو منى والدٌ معـتـبـرٌ	وأنا منه كـهـو أو ولدهْ
لا أسـمـيـه لأنى عـالم	أنه يـكره ذا بـلْ يعـبـدهْ
ولذا قـلتُ بـشـخصٍ لـلذى	قـد روى مـنْ قـدْ تعـالى سندُهْ
مـا قـصـدنا لنوالٍ غـيـرهُ	هو رِفـدى فـأنا أسـترفـدُهْ
إنـه النـائب عـن خـالـقنا	برضـانا ولذا نعـتـمـدهْ
من يكـن يعـرفـه جـهـلاً به	أنْ يرى فى كـل حـالٍ نعـبـدهْ
وبهـذا الأمـرِ قـد كلفـنا	وعلمنا أنَّ هذا مـقـصـدُهْ
فلـيكن عنـدك من ذا خـبـرٌ	منصـفٌ تعـرفـه لا تجـحـدهْ

﴿وقال أيضاً﴾

أحببتُ شخصًا جميعُ الناسِ تعرفُهُ　　من كانَ فى بدوه أو كان فى حضرِهْ

الشـمسُ منْ نورِهِ فـالقلبُ منزلهُ　　والمسكُ فى ريحهِ والشهدُ منْ أثرِهْ

إذا أعــاينهُ تســرى الحيــاةُ بهِ　　فى خده فيـذوبُ القلبُ منْ خفرِهْ

لَمَّا بحـثتُ عليــهِ لا أراهُ سـوى　　ما قـام بالنفس منه فهـو من أثرِهْ

فـمـا يهـيمُ قلبًـا فى الهـوى أبدًا　　إلا تخـيله لا غــيـر مـن نظرِهْ

فبـالخيـالِ نعيمُ النـاسِ أجمعُـهم　　كـمـا بهِ الألـمُ الآتى على قـدرِهْ

إذا علمت بهــذا قـد نعـمت بما　　تشكو نواهُ إذا ما غـابَ فى سفرِهْ

﴿وقال أيضاً﴾

مـا لقــومٍ إذا تفكررتُ فــيـهمْ　　لا يكادونَ يفــقـهـونَ حــديثَـا

هم بعـينِ الـقـديمِ فى كلِّ حـالٍ　　يطلبـونَ الوجــودَ منهُ حـثـيـثَـا

فـيـبــثُّون علمَـه لـشـخـوصٍ　　مــا لديهم علـمٌ بذاك نثـيـثَــا

قلتُ للعـيـسوى فيكَ انتبـاهق　　للذى قلـتـه فـقــال كـمـيــثَـا

﴿وقال أيضاً﴾

تنازعنى الأقــدار فـيـمـا أرومـه　　وإنَّ نزاعى فـيه أيـضًا من القـدرِ

فـحكمى عليـهـا إنْ تأملتُـهُ بهـا　　فـمنها أمـانُ الخـائفين مع الحـذرِ

تقابلتِ الأضداد منها كمثل ما — تقابلتِ الأسماء بالنفع والضررَ
فكل الذى فى الكون من متقابلٍ — من العلمِ بالله العظيمِ لمن نظرَ
فسلِّم وفوِّضْ واتَّكلْ واعتمدْ فقد — يجيئك ما ترضاه يمشى على قدرَ

وقال رضى الله عنه: رأيتُ الحقَّ فى النَّومِ ليلةَ الاثْنَيْنِ الثَّامِن والعشرِينَ من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وستمائة وهو ينهانى عن مجالسة ثلاثة: المطاطين، والسقاطين، وأنسيت الثالثة، فكنت أقول له يا رب وما المطاطون، فقال الذين يمدّون العالم إلى غير نهاية فى الابتداء، وإنى ابتأتُ العَالَمَ بالخَلْقِ قلتُ: وما السقاطون، فقال تعالى: الذين يأتون بسقط الكلام ليضحكوا به الناس وهى من سخط الله فإن الرَّجُل ليتكلَّمُ بالكلمة من سخَطِ اللهِ مَا يظُنُّ أنْ تبلغ ما بلغت فيهوى بها فى النَّارِ سَبْعِينَ خريفًا.

﴿فقلت فى ذلك فى النوم وقد أنسيت الثالثة﴾

نهانى الحقُّ فى الغطِطِ — عن المطّاط والسقَطِ
وإنى لا أجالسُ منْ — يكونُ بمثلِ ذا النمطِ
وأفهمنى بأنْ أحظى — بهِ فى العالمِ الوسطِ

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾(١) أى خيارا.

ووقع لى فى النوم فى الغطط إنه صوت النائم ولذلك جئت به فإن الغطيط الصوت كما قيل يغط غطيط البكر شدّ خناقه، وفى الحديث فى نوم النبى ﷺ أنَّ له غطيطا.

(١) سورة البقرة – آية ١٤٣.

﴿وقال أيضًا لزومية﴾

قلْ للشخيصِ الذى بالحقِّ يعرفنى ... منْ كانَ يعرفنى بالحقِّ يُنْصِفُنِى
ولستُ فيه بمعصوم وإنْ غلطتْ ... ألفاظًا فعلى التحقيقِ يوقفُنِى
فصاحبى من أراه فى تقلبه ... فى كلِّ حال من الأحوال يَنْصَحُنِى
فى خلوةٍ إنْ نصحَ الشخصُ فى ملإ ... فضيحةً وخليلى ليسَ يَفْضَحُنِى
فالله يمنحُ ما أملت منه وما ... يعطينى إلا الذى فى الوقتِ يصلحنى
نعمْ ويصلحُ بى فالنفسُ واثقةٌ ... به على كلِّ ما يرضى وينفعنى
فإنه اللهُ جلَّ اللهُ ذو كرمٍ ... المنعُ منهُ عطاءٌ حينَ يمنعنى
المنعُ منهُ عطاءٌ فيهِ منفعةٌ ... للعبدِ منْ حيثُ لا يدرى ويحجبنِى
عنه واعلم قطعًا أنه ملك ... وإننى نائبٌ عنهُ فيكرمنى
يرفعِ غاشيةٍ يقولُ مطرقًا هذا ... هذا خليفتنا فى السرِّ والعلنِ
بروحه القدسىّ العال أيدنى ... وبالظلالِ التى فى الحرِّ ظللنى
وجاءنا منهُ توقيعٌ بأنَّ لنا ... ختمَ الولاية[1] والختمانِ فى قرنِ
روحٌ لروحٍ وتيجانٌ مكللةٌ ... من النضار الذى الرحمن يزجرنى
عنها وعن حللِ الديباجِ فاعتبروا ... فيما أتاكمْ به ذو المنطقِ الحسنِ
الواهبُ الألفَ والآلافُ جائزة ... لكلِّ طالبِ رفدٍ أوْ لذى لسنِ
شبهتُ نفسى فى عصرى وحالتها ... بعصرِ سيدنا سيفِ بن ذى يزنِ
لا علمَ لى بالذى فى الغيبِ من عجبِ ... ولستُ أدرى بنعمانَ ولا المزنى

(١) يشير إلى أنه خاتم الأولياء لأن الحكيم الترمذى له كتاب عن ختم الأولياء ضمنه أسئلة من يجيب عليها يكون هو الولى الختم فأجاب عنها ابن عربى فى كتابه الفتوحات المكية، ثم أفرد لها كتابًا آخر وكتاب ختم الأولياء وأجوبة ابن عربى على الحكيم الترمذى نشرتهما مكتبة الثقافة الدينية بتحقيق الدكتور أحمد السايح رحمه الله والمستشار توفيق على وهبه.

حتى رأيتُ الذى بالعلمِ بشَّرنِى ... والملك وهو مع الأنفاس يطلبنِى

إنَّ الذى قد دعانى فى بشائره ... فلا يزالُ معَ الأحيانِ يخطبنِى

فقلتُ يا ربِّ أما العلمُ أقبلهُ ... والملكُ لستُ أراهُ فهوَ يخدعنِى

إنْ كان عَرَضًا فما لى فيه من إربٍ ... أو كان أمرًا فإن الأمرَ يُطْمِعُنى

فى عصمةِ عصم اللهُ الحفيظُّ بها ... نفسى فأعلمُ أنَّ اللهَ يَحْفَظُنى

إذا سمعتُ كلامًا لا يوافقنى ... منه أسلمه وليس يحفظنى

له التصرفُ فى مولاه كيف يرى ... مولاهُ فهوَ لهُ منْ أعصمِ الجنَنِ

أجسامُ كلِّ رسولٍ مصطفى نَدْس ... لهُ المكانةُ والزلفى بلا محَنِ

أتى بمألكة من عند مرسله ... مبلغًا بلسانِ القومِ واللَّحْنِ

قد طهرَّ الله نفسًا منه زاكية ... من كلِّ سوءٍ كمثلِ الحقدِ والإحَنِ

﴿وقال أيضًا﴾

إن الطبيعة أعطت فى عناصرها ... أحكامها بالذى فيه من أسماءِ

يبس التراب إلى بردِ المياه إلى ... تسخين نار إلى ترطيب أهواءِ

لأجل ذا كان خلقُ الناسِ من حمأ ... ومن هواء ومن نارٍ ومن ماءِ

فتلك أربعةٌ أعطتكَ أربعةً ... دمتًا بلغمًا فى صفرا وسوداءِ

أعوانهم مثلهم جذبٌ ودفعُ أذى ... عنا وهضمٌ وإمساكٌ لأدواءِ

﴿وقال أيضاً﴾

مـــا جـنةُ الخلدِ غـــيــر قـلبى ... لأنَّـــهُ بـــيـــتُ مَـــنْ يـــدومُ

قـــمــتُ لهُ بالهـــوى ويدرى ... من قـــام فـــيـــه ممن يـقُـــومُ

عنهُ إلـى غـــيـــرهِ فـتـــرمى ... إليـــــهِ أنـوارها الـرجــــــومُ

لـو أن قـلـــبى يـراه قـلـــبى ... قـلت أنـا الرائـح المـقــــيـمُ

إنّ الـعـــــــذاب الـذى تـراه ... مـنهُ بـنـا ذلكَ الـنـعــــيـمُ

قــــالَ لىَ الحـقُّ من وجـــودى ... وقـــولهُ الـصـــادقُ الـقـــويمُ

نبـئْ عـــبــــادىَ عـنى بأنـنى ... أنا هـوَ الغــــافـــرُ الرحـــيمُ

وإن أيضًـــا عـــذابُ حـــجـــبى ... عــــــذابـنـا المـؤلم الألـيـمُ

قــلــتُ وأىّ الـكـــلامِ أولـــى ... أذكـــــرُ والذاكــــرونَ هـيمُ

فــقــالَ لى منْ صــفــا فــؤادى ... كــلامـــهُ الحـــادثُ القـــديمُ

قـلتُ لـهُ منْ يـقـــــولُ هـذا ... فـــقـــــال لى: ربـكَ العلـيمُ

قلت لعـلى أقـتـصر فـقل لى ... أولـى بنـا أيـهــــــا الحـكيمُ

فـــإنـهُ ذو المعـــالى فـــينا ... وإنـهُ المحـــــــسـنُ الـكريمُ

فـــسـلِّم الأمـــر لا تبـــالى ... فـــالقـولُ مـــا قـالـه القـســيمُ

فـعلمــه فـى الوجــودِ ســار ... مـــادامَ كـــونى بـه يقـــيمُ

﴿وقال أيضًا﴾

النورُ سترُ الذى الأظلامُ تحجبُهُ   عنَّا وترفعهُ مفاتحُ الكرمِ
وقل به كرمًا إنْ كنتَ ذا كرم   فإنما الكشفُ بينَ النورِ والظلمِ
ما أسدلَ السترُ إلا أنْ يصونَ بهِ   وجه الكيانِ من الإحراق والعدمِ
إذا أردت ترى ما لا تراه فكن   به على قدمٍ علياءَ من قدمِ
له الإحاطة ليست لى فأطلبها   فإنها قد تؤدينى إلى الندمِ
لا شىءَ أعلمَ بعدَ الله منهُ سوى   نون الدواةِ فرأسُ السيد القلمِ
هوَ المفصلُ جاءتكَ منْ حكمٍ   له التحكم فى الألباب بالحكمِ
فالعلم فى عالم الأنوار والظلم   أقوى ظهوراً من العرفانِ فى الكلمِ

وقال أيضًا، وقد سمع سائلاً في السوق يكدّى الناس وهو يقول فى جناب الحق تعالى يا من هو الكلُّ والكلُّ إليه فطاب على قوله وأنشد مرتجلاً:

سمعتُ من ليس يدرى ما يقولُ بِهِ   قَدْ قال فى اللهِ إنَّ الكلَّ هو وإليْهِ
إنّ الإلهَ بعينِ الحقِّ أنْطَقَهُ   بما هوَ الأمرُ فيما قالَ فيهِ عَلَيْهِ

﴿وقال أيضًا﴾

نزيهُ الجنابِ العالِ كيفَ تنزَّهتْ   به مُقَلُ الأبصارِ بالمنظرِ الأزهَى
وكيفَ تراه العين وهو منزَّهٌ   بكرسيِّه العالى المنزَّهِ والأبهَى .

إذا سـمـعتْ أذناىَ شرحَ كـلامـه تحققتْ قطعًا بيننا منْ هوَ الأشْهَى

تعـالى جلالُ الله عن كلِّ مـدرِكٍ ولله حـالٌ مـا ألـذَّ ومـا أشْـهَى

فأنهـيتُ أمرى طالبًـا حقَّ خالقى إلا أنَّ عبد الله مـن كان قد أنْهَى

فـإنْ كـان حـقًـا مـا يقـالُ فـإنه يقـررهُ حـالاً وإلا فـقـدْ ينْهَى

ومثلى منْ يسهـو عن الحقِّ عندما يقـررهُ أمـرًا ومـثلى مـنْ ينْهَى

دهانى بأمـرٍ كنـتُ قـبل جـهلتُـه فمـا أمكن المملوك ردَّ فـما أدْهَى

وهى جـانبُ البيتِ العـتيقِ لعـزة فلم أر أهوى منه بيـتًـا ولا أدْهَى

ولمْ يلهنى عنهُ حـميمٌ وصـاحبٌ فإنْ لمْ يكنْ بالقـولِ بالحالِ قد ألهَى

فـلا تحـجـبنى عنك ربىّ بصـورة فـإنى لها أسـعى كـما أننى منْهَـا

حـديثى الذى عند السـمـاع أبثـه فـمـا هوَ إلا من روايتنا عـنْهَـا

ومـا علمتْ نفسى مـثالاً مطابقًـا كما تزعُمُ الألبابُ كنتُ لهـا شَبْهَا

إذا طمـعتْ نفـسى بإدراكِ ذَاتِهَـا فـتلكَ التى تُدعى بجـاهلةٍ بَلْهَـا

تخصُّ إذا خـصتْ نفوسَ شـريفة منزهة الأوصاف بالصورةِ الشَّوْهَى

﴿وقال أيضًا﴾

عـجـبتُ مـنْ سـتـورٍ تُـرخـى وتُـسْـدَلُ

فى سَـدلهـا نعـيمٌ يعـطيـه مـفـضَّلُ

إنْ قـلـتَ يـا فـلانٌ رخـم وقـل فـلُ

قد جاءنا كتابٌ ... للحقِّ فيصلُ
لباسُه حروفٌ ... فيهنَّ يرفلُ
يقولُ فيهِ قولاً ... عليه عوِّلوا
إنَّ الكلامَ سهلٌ ... والصمتَ أسهلُ
عليه فليعوِّل ... فهو المعوَّلُ
ففى الكلامِ ما لا ... يدرى ويجهلُ
والصمتُ ليسَ فيهِ ... هذا مفصلُ
إنَّ الكلامَ فيهِ ... أعلى وأنزَلُ
والصمتُ ليس فيهِ ... ذا الحكمُ فاعدلوا
فكلُّه نجاةٌ ... وعنهُ نسألُ
كما يقول أيضًا ... ما فيهِ فيصلُ
إنَ الكلامَ منا ... وحىٌ منزلُ
فكلُّه علىّ ... ما فيهِ أنزِلُ
وكلهُ صحيحٌ ... لكن يعللُ
فمنه ما يُردُّ ... شَرْعًا ويُقبلُ
يقضى بهِ جنوبٌ ... فينا وشمألُ
للشرعِ منهُ فينا ... تاجٌ مكلَّلُ
قولٌ عليه نُورٌ ... ما عنهُ معدلُ

وللعقولِ منه ... ظلٌّ مظللُ
ضربُ المثالِ حقٌّ ... يدريه أمثل
إنَّ الحكيمَ يسدى ... بهِ ويفضلُ
فما جهلت منه ... عن ذاك تَسألُ
ما فى الوجودِ شيءٌ ... سُدى فيهملُ
بل كلُّه اعتبار ... إنْ كنتَ تعقلُ
قدرْ نهىً وفكرًا ... عليه يعملُ
ستارةُ الغيوبِ ... قامتْ لتسألوا
منْ فوقها شخوصٌ ... تعلُو وتسفلُ
فما تراهُ منها ... يأتى ويُقبلُ
ويبدو فى عيانٍ ... وقتًا ويأفلُ
الفعلُ ليسَ منها ... والأمر مُشكلُ
وإنَّ ما تراه ... نطقٌ مُخيَّلُ
ولا تقل خيال ... ما ذاكَ يجملُ
ما لعبةٌ تراها ... إلا تؤوَّلُ
لحكمةٍ يراها ... مَنْ كانَ منْ علُ
وكلنا خيال ... وهوَ المخيلُ
والعالمونَ منا ... عليه عوّلوا

فأجملوا كلامى ... فيه وفصِّلوا

أقوالنا نصوصٌ ... فلا تؤولُوا

فما أرى سواه ... للأمر يشملُ

ما فى الوجودِ إلا ... أمرٌ ينزلُ

فى أرضٍ أو سماءٍ ... إذ هنَّ منزلُ

فاعقل كلامَ ربى ... إنْ كنتَ تعقلُ

فالقولُ قولُ ربى ... فلا تقولُوا

وما رملتَ عندى ... إذْ أنتَ ترملُ

فإن أتيتَ تسعى ... أنا أهرولُ

الحكمُ حكمُ دورٍ ... ما فيهِ أولُ

إلا بحكمِ فرضٍ ... فاللهُ أولُ

هذا من ابتداعى ... هذا المنزلُ

فالخوضُ فيهِ أولى ... بنا وأجْمَلُ

«وقال أيضاً»

لما رأيتُ وجودى ما رأيتُ عمىً ... ولمْ أزلْ فى عمىً منه إلى الأبدِ

إذا يُحددنى فى كلِّ آونة ... فلا أزالُ مع الأنفاسِ فى كبدِ

كذا أتتنا به الآياتُ ناطقة ... بقافٍ وأنزلها فى سورة البلدِ

من فـوق سـبعِ سـمـوات منزلةٍ ... على حقيـقةِ ذى روحٍ وذى جسدِ
أتى بهـا تبـلغ الأسـمـاعَ دعـوته ... عن اذن منزلهـا ألواحـد الصمـد
فـعندمـا سـمـعتْ أذنى تلاوتَهُ ... بالوهمِ فى قبـةٍ قامتْ على عـمدِ
مـربعُ الشكلِ والأمـلاكُ تحـرسـهُ ... من كلِّ ذى حسدٍ والكلُّ ذو حسدِ
من جنسـهِ فجمـيعُ الخلقِ تحـسدُهُ ... من المـلائكةِ العـالـين بالسَّندِ
إنَّ الذى تحتَ أرضَ الأرضِ منزلهُ ... لمحـرقـون بنور النجم لـلَّرَصـدِ
لأنهُ نـسـخـةٌ مـن كلهمْ فـلهُ ... هذا السفـوفُ فقلْ خـيرًا ولا تزدِ
لما رأيتُ لهُ حكمًـا على جسـدى ... علمت منه الذى ألقـاه فى خلدى
لولا تطابقُ ألـفـاظِ الكتـابِ على ... عين المعانى لكـان الخلقُ فى حَيَدِ
فليـس إعـجـازه إلا نزاهـتُـهُ ... عن الأباطـل هذا سـرُّه وقِـدِ
ومـا سـواه فـأقـوال مـزخـرفـةٌ ... ليستْ من الخلاقِ فى شيءٍ فلا تعدِ
إن القـرآن لنور يُسـتـضـاءُ بِهِ ... يهدى مع السَّنةِ المُـثْلى إلى الرَّشدِ
فخذ به صـعدًا إنْ كنتَ فى سفل ... وخذْ بهِ سفـلاً إنْ كنتَ فى صعدِ

﴿وقال أيضًا﴾

من قـال فى الله بتـوحـيـدهِ ... قـد قـال مـا قـال به اُلْمـشـركُ
وإن يقل أكـثـر مـن واحـدٍ ... فـهـوَ الذى بربِّـهِ يُشـركُ
قـدْ حـار فـيـهِ أهلُ توحـيـدهِ ... ثمَّ مـعَ الحـيـرةِ لا يتـركُ

فاحفظ جميع القول فيه تكن | فى ذاكَ منْ غيكمْ أدركُ
فإنه يقبل أقوالكم | فى ذاته إذْ كانَ لا يدركُ
وخلقه الأشياءَ ما بيننا | محققٌ يدرى قيلَ هوَ المدركُ
وكلُّ شيءٍ نحنُ فيهِ بهِ | فذلك الشيءُ لنا مدركُ

﴿وقال أيضًا﴾

علمتُ ربى لما | علمتُ علمى بنفسِى
إذ كان عينُ وجودى | وروحى عقلاً وحسِى
قد بعتُ نفسى منه | لما اشتراها ببخْسِ
ولم أبع منه نفسى | إلا لجهلى بأسِى
فلو علمتُ به ما | ذكرتُ بيعًا لأنسِى
فإنْ أكنْ عنهُ غيرًا | فالحقُّ جنَّةُ أُنْسِى
ما لى وإياهُ شبهٌ | إلا كيومى بأمسِ
الفرقُ فيهِ عسيرٌ | لأنه أصلُ لبسِى
فما بدا كون عينى | إلا ببعل وعرسِ
من الطبيعة بنا | ما بين عقلٍ ونفسِ
فيها بعقدِ نكاح | أعلى بحضرة قدسِ
فنحنُ أهلُ المعالى | ونحن أهل التأسِّى

لكن بأسماء ربى ... ما بين عرشٍ وكرسِى
لو قلتُ ما قلتُ يأتى ... إلىَّ فيه بعكسِ
وإنْ أعجل تراه ... بصورة الحالِ ينسِى
تعجيله فيه ذكرى ... تأخيرِه الأمر ينسِى
سرُّ الشريعةِ خافٍ ... ما بين عُربٍ وفُرسِ
وليس يظهر إلا ... إلى شهيدٍ بحسٍّ
فلا تمتُ حتفَ أنفٍ ... فلستُ فيها بنكِسِ
نطقُ الشهادةِ حالٌ ... ما بينَ جهرٍ وهمسِ
لله قومٌ تراهم ... بحالِ ذلٍّ ونكسِ
وهمْ لديهِ كرامٌ ... لا يشترون بفَلْسِ
عجبتُ منى وممنْ ... قد بنتُ عنهُ بجنسِى
إطلاقُ سرِّى دليلٌ ... أنى بأضيقَ حبسِ
وإننى فى مقالى ... لستُ بصاحبِ حدسِ
بل ذاك نورٌ مبينٌ ... كنورِ بدرٍ وشمسِ
أفصحتُ فيهِ لسانى ... لأننى بين خرسِ

﴿وقال أيضاً﴾

سأصرفُ عن آياتٍ كلَّ محققٍ ... رجالاً أبوا إلا التبجحَ بالهزلِ

ولم أر فى الآيات مـــثلَ كـلامـه		يلازمـــهُ قلـبى مـــلازمـــةَ الظلِّ
ولم أشـهدِ الأقـوام لكن رأيتُـهم		سكارى حيارى يطلبونَ على مثلى
فلمـا رأونى لم يـروا مـا تخـيَّلوا		لأنَّ شهـودَ العينِ سـترٌ على إلىَ
ولما رأونى لم يروا مـــا تحـقـقـوا		لأنهمُ فى النشء ليسوا على شكلِى
مزاجـهمُ غـير الذى قـد مزجـته		وإنّ مزاجى لم يكن فـيه من قبلِى
فإنى وحـيدُ العـصر شـهم مقـيد		بشـرعٍ وتحقـيقٍ وذا غايةُ الفـضلِ
سألتُ اجتمـاعًا بينَ عينى وشاهدى		ومن لى بهذا الجمع من لى به مَنْ لِى
لقد جـدت يومًا بالـقرونة مثـلما		تجـودُ به الأمطار فى الزمنِ المحلِ
أقول بعـين الجمع فى عين مـفرد		تعجبتُ من جـزء له حكمةُ الكلِّ
كـــــــآدم لما أنْ عـلمـتُ بذاتـه		وقد جاء فى الأخرى على صورةِ الإلِ
وصورةُ ما فى الكـونِ من عالمٍ علا		ومن أنزل فـيه إلى غـايةِ السـفلِ
علمتُ بحـالى إن تحققتْ نـشأتى		إذا كـان مـرآتـى بأنى من الأهلِ
فقـالَ لى المطلوب أنتَ حـقيقـتى		فأنـتَ منْ إلىَّ لستُ واللهِ من أهلى
فقلتُ لهث قلْ لى الذى قـدْ علمتهُ		منْ أحوالِ قلبى فى جنابكمُ قلْ لِى
فقـدْ كانَ ظيفـورُ يقول هوى لكمْ		وأتبـعـهُ فـيـهِ أبو بـكرٍ الشـبلِى
خلعتُ عليـهِ منْ صفاتى مـلابسًا		ليخلفنى فـارتاع من ذلك الفضلِ
ونادى بتـرجـيعٍ وقـولٍ مـفـصلٍ		إلهى ماذا بعـد أنْ جدتَ بالوصلِ
يكلفنـى مـا لا أطيق احـتـمـاله		ولمْ يدرِ أنى فى الأطايبِ والثـقلِ

وإنى منْ أعطى الوجـودَ كـمـالهُ كـما أنهُ أعطى الكـثيـرَ منَ القلِّ
وجـاد على قـومٍ بريًّا مُـمـسَّكٍ وجـادَ على قـومٍ بـرائحـةِ الزّبلِ
وكلٌّ لهُ فـيـهِ نعـيمٌ ورغـبـةٌ فما فى عطاءِ الله شىءٌ من البخلِ

﴿وقال أيضًا﴾

قـد جـرى فى مـثلنا مـثلَ علمٌ فـى رأسـه نـارُ
بـيـنـنـا وبـيـن كـن نـسب فـلـنـا فـى الـكـونِ آثـارُ
إنَّـهُ لمنْ تحـقـقـه نقـصُ حظٍّ فـيـهِ أضـرارُ
فـردَدْنـاهُ لصـاحـبـه ما أنا فى الردِّ مـخـتـارُ
إنما الـدنـيـا لـه ولـنـا فى التـى تليـهـا أخـبـارُ
إنَّمـا يدرى بصـحـة ذا من لـه فى العـلم مـقـدارُ
والذى يـلهـو بـعـبـرته مـا لـه فى القـلب أبـصـارُ
هـذه الدنـيـا لـهـمْ تعـبٌ ولـنا عـونٌ وأنصـارُ
لـلذى أرجـوه مـن منح جُلُّـهـا أنّى لهـا جـارُ[1]
هـكذا قـال الجلـيـل لنـا وأتى فـى ذاكَ أخـبـارُ

(١) يشير إلى قول آسـية امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [سورة التحريم - آية ١١] قدمت الجار على المجرور.

﴿وقال أيضًا﴾

توقف فإن العلم ذاك الذى يجرى وتعلــمْ بأنَّ الحكمَ مــنا ولا تدرى

ومـــا قلت إلا مـا تحــقـقــه به كذا قرّر الله المهـيمن فى صَدرِى

أنا فى عـبـاد الله روح مـقـدّس كمـثل الليالى روحهـا ليلة القدرِ

تقـــدّست عن وتر بشـــفع لأننى غريبٌ بما عندى عن الشفعِ والوترِ

ولما أتانى الحـقُّ ليـلاً مـبـشّـرًا بأنى ختـام الأمر فى غرَّة الشـهرِ

وقال لمنْ قدْ كانَ فى الوقتِ حاضرًا منَ الملإِ الأعلى ومنْ عـالمِ الأمرِ

ألا فـانظروا فـيـه فإنّ عـلامـتى على ختمه فى موضعِ الضربِ فى الظهرِ

وأخفـيتـهُ عن أعينِ الخلقِ رحـمةً بهم للذى يعطى الجحـود من الكفرِ

عرضتُ عليهِ الملكَ عرضًا محققًا فقـالَ لىَ الأمرُ المعظمُ فى السـترِ

لأنكَ غيبٌ والسـعيدُ من اقـتدى بسـيدِهِ فى حـالةِ العسـرِ واليسـرِ

فنحمدُ فى السراءِ حمدًا مخصصًا ونحمـد حمدًا ساريًا حـالة الضرِّ

ظهوركَ فى الأخرى فثمَّ ظهورنا لذا جئتنى فى العـربِ إذْ جئتَب بالشكرِ

فـإنَّ وجـود الشكـرِ يبـغى زيادة من الله فى النعماء فانهض على اثرِى

لو أنك يا مسـكين تعـرف سـرَّه لكنت بما تدرى به أوحـد العصـرِ

غـريبًـا وحيـدًا حـائرًا ومـحيـرًا وكنتَ على علمٍ تصانُ عنِ الذكرِ

خفىٌّ على الألبـابِ منْ أجلِ فكرها وإن كان أعلى فى الوضـوحِ من البدرِ

أنا وارثٌ لا شكَّ علمَ مـحـمـدٍ وحالته فى السِّـرِّ منى وفى الجهرِ

ولستُ بمعصومٍ ولكنَّ شهودَنا ... هو العصمة الغرَّاء فى الأنجمِ الزهرِ

ولستُ بمخلوقٍ لعصمةِ خالقى ... منَ الناسِ فيما شاءَ منهُ على غمرِ

علمت الذى قلنا ببلدة تونس ... بأمر إلهى أتانى فى الذكرِ

أتانى بهِ فى عامِ تسعينَ شربنا ... بمنزلِ تقديسٍ منَ الوهمِ والفكرِ

ولمْ أدرِ أنى خاتمٌ ومعينٌ ... إلى أربعٍ منها بفاسٍ وفى بدرِ

أقامَ لى الحقُّ المبينُ يمينهُ ... بركبتهِ والساقُ منْ حضرةِ الأمرِ

وبايعته عند اليمين بمكة ... وكانَ معى قومٌ وليسوا على ذكرِى

وأَقسمَ بالحجرِ المعظمِ قدرهُ ... وفى ذلكَ الإيلاء يمينٌ لذى حجرِ

مولدة الأرواح ناهيك من فخر ... لقد جاء بالميراثِ فى طىء نشرى

وأينَ بلالٌ منْ أبى طالبٍ لقدْ ... تشرفَ بالتقوى المحقرُ فى القدرِ

سألتكَ ربى أنْ تجودَ لعبدكمْ ... بأنْ يكُ مستورًا إلى آخرِ الدهرِ

كمثل ابن جعدون وقد كان سيِّدًا ... إمامًا فلم يبرح من الله فى سترِ

سألتكَ ربى عصمةَ السترِ إنهُ ... على سنة الحناوى سنتنا تجرِى

لقدْ عاينتْ عينى رجالاً تبرزوا ... خضامةً عليًا وما عندهمُ سرِّى

وأقسمتُ بالشمسِ المنيرةِ والضحى ... وزمزم والأركانِ والبيتِ والحجرِ

لئن كان عبدُ الله يملك أمره ... فما مثلهُ عبدُ السميع أو البرِّ

فإنَّ لكلٍّ اسم تعيَّن ذكرُه ... سوى الذات مدلولاً له حكمة الظهرِ

فمنْ يشتهى الياقوتَ منْ كسبِ كدِّه ... يقاسى الذى يلقاه من غمة البحرِ

وإن ذكروا روحى حننت إلى مصر أتانى به الفاروقُ عندَ أبى بكرِ

فلم أستطع عنى دفاعًا ولم أكن بما جاءنى فيه مبشرهُ أدرى

بحجرته الغرّا بمسجد يثرب بحضرةِ عبد الله ذى النائلِ الغمرِ

وما زلت من وقتِ الغروبِ بمشهد أشاهد فيه إلى مطلع الفجْرِ

ومصباحُ مشكاةِ المشيئةِ فى يدى أنوّر بيت الله عن وارد الأمرِ

لأسرحَ منهُ والصلاةُ تلزنى على ما أراه ما يزيد على العشرِ

لباسى الذى قد كان فى اللون أخضرا وإنى منْ ذاكَ اللباسِ لفى أمرِ

غنيتُ بتصديقى رسالةَ أحمدٍ عنِ الكشفِ والذوقِ والمحققِ والخبرِ

وهذا عزيز فى الوجودِ مناله ولوْ لمْ يكنْ هذا لأصبحتُ فى خسرِ

ولى فى كتاب الله من كل سورة نصيبٌ وجلُّ الخيرِ منْ سورةِ العصرِ

تواصوا بحقِّ اللهِ فى كلِّ حالةٍ كما أنهم أيضًا تواصوا على الصبرِ

أحبُّ بقائى ها هنا لزيادةٍ وأفزع إيمانًا إلى سورة النصرِ

إذا لم أكن موسى وعيسى ومثلهم فلست أبالى أننى جامع الأمرِ

فإنى ختم الأولياء محمد ختامُ اختصاص فى البداوةِ والحضرِ

شهدتُ له بالملك قبلَ وجودِنا على مَا تَرَاهُ العَينُ فى قَبْضَةِ الذَّرِ

شهودَ اختصاصٍ أعقلُ الآن كونهُ ولم أك فى حال الشهادة فى ذعرِ

لقدْ كنتُ مبسوطًا طليقًا مسرحًا ولم أك كالمحبوس فى قبضة الأسرِ

ظهرتُ إلى ذاتى بذاتى فلمْ أجدْ سواى فقال الكل أنت ولا تدرى

فإن أشركت نفسى فلم يك غيرها وإنْ وحدتْ كانت على مركبٍ وعِرِ

إذا قلتُ بالتوحـيد فـاعلم طريقه فما ثمَّ توحيـدٌ سوى واحدِ الكثرِ

ولا بد أن تمتـازَ فـالوتر حـاصلٌ ولكن فى الايجـاد لا بد من نزْرِ

لقد حارتِ الحـيراتُ فى كلِّ حائرٍ وحاصلُ هذا الأمرِ فى القولِ بالنكرِ

فـإنْ شـهـدتْ ألفـاظنا بوجـودِنا تقولُ المعانى إننـى منكَ فى خسرِ

إذا ذكروا جـسمى حننتُ لشـامنا وإنْ ذكروا روحى حننتُ من فخرِ

ألا إن طيب الفرع من طيب أصله وكيفَ يطيبُ الفرعُ من خبثِ النجرِ

يعـزُّ عـلينا أنْ تردَّ سـيـوفنا مفلـلةً من ضربِ هام ومن كـسرِ

صريرًا من أقلامٍ سـمعتُ أصمنى وما علمتْ نفـسى بصمٍّ منَ الصرِّ

حـياة فـؤادى من علومِ طبـيعـتى كإحيـاء ماء قد تفجـر من صخرِ

بلادًا مـواتًا لا نبـات بأرضـهـا فـأضحتْ لمحـياها تبـسمُ بالزهرِ

تتـيـهُ بهَ عـجـبًا وزهوًا ونحـوهُ حـدائقَ أزهارٍ مـعطرةِ النشـرِ

نراها مع الأرواح تثنى غـصونهـا حنوًا على العـشاقِ دائمـةَ البشـرِ

فـيـا حـسنه علـمًا يقـوم بذاتنا جـمعنا به بيـنَ الذراعِ معَ الشبـرِ

وما بينَ سعيِ الساعِ والباعِ والذى يهـرول بالتقـسيـم فيـه وبالشبـرِ

فـيحظى بمجـلاه وبالصـورة التى لهـا سورةٌ فوقَ الـطبيـعةِ والفـقرِ

سريتُ إليـهِ صحبةَ الروحِ قـاصدًا إلى بيتـهِ المعمـورِ فى رفرفِ الدرِّ

فكن فى عداد القوم واصحب خيارهم ولا تكُ فى قـومٍ أسـافلةٍ غـمـرِ

ولا تتـركنهم وانـظر الحق فـيـهمُ كمـا تَشْهَـد الأبصَارُ مَنْزَلَة الغُـفْرِ

ولا تتـخـذ نجمًـا دليـلاً عليـهمُ فـسكناهمُ المعروفُ بـالبلدِ القفـرِ

وعاشر إذا عاشرت قـومًا تبرقعوا أشدّاء مـأمونين مـن عالم القـهْرِ

علومُ عـبـادِ اللهِ فى كلِّ مـوقفٍ وغيـر عباد الله فى مـوقف النشرِ

ترى عـابدَ الرحمنِ فى كلِّ حـالةٍ تميل به الأرواح كـالغصن النضـرِ

بقاء وجـودى فى الوجود منعـمًا بما أنعمَ الـلهُ علىَّ منَ السـحـرِ

يسوق لى الأرواح مـن كل جانب فما معجـراتٌ بالخيالِ ولا السحرِ

كما جـاد لى بالحل من كل حرمة صبيـحةَ يومِ الرمىِ منْ ليلةِ النحرِ

ويممَ لى المطلـوب من كل منسكٍ تجلى لنا فـيـه إلـى حـالة النَّفْـرِ

سـبـانى وأبلانى بـكلِّ مـقـرطقٍ وما نظمَ الـرحمنُ منْ لولؤ الثـغرِ

نزين بـه إكليل تـاجٍ وسـاعـد وَسَلكْ يُدلِّـيـه عَلَى لُبَّـةِ الـنَّحْـرِ

لقـدْ أنشـأَ اللهُ العلومَ لـناظرى على صورٍ شتى منَ البـيضِ والسمرِ

ترفلنَ فى أثـوابِ حـسنٍ مـهـيمٍ منوّعة الألوان من حمـر أو صُفْرِ

وبيضٍ كـريمـاتٍ عـقـائلَ خـردٍ يجـرّرن أذايلَ البـهـا أيّمـا جـرٍّ

لقـد جمع الله الجـمـالَ لأحمـد وغيـر رسول الله منه على الشطرِ

فمنْ كـانَ يدرى ما أقـولُ ويرتقى إلى عرشِهِ العلوىِّ مـن شاطئ النهرِ

فذاك الـذى حاز الكمـال وجوده وزاد على الأملاك علمًا بما يجرى

إذا جـاء خيـر الله يصـبح نادمًـا بما فـرطِ المسكينُ فى زمنِ البـذرِ

عُلومٌ أتتْ نصًّا جليًّا تقدّستْ عن الظنِّ والتخمين والحدس والحزرِ
تجيءُ وما ينفكُّ عنها مجيئها ولكنها تأتيكَ بالمدِّ والجزرِ
ألا كلُّ خُلقٍ كان منى تخلقًا بخلقٍ إلهىٍّ كريمٍ سوى النذرِ
فيا شؤمهُ خلقًا فإنَّ أداءَهُ كمثلِ أداء الفرض فى القسر والجبرِ
لقد طلعتْ يومًا علىَّ غمامةٌ تكون لما فيها من الصون كالخدرِ
فقلتُ تجلى فى غمامٍ علمتهُ أتانى بهِ الرحمنُ فى محكمِ الذكرِ
فجادت على أركان كونى بأربع مَعَارفِ ألبَانٍ ومَاءٍ ومنْ خَمْرِ
ومَا أخْرَجَتْ نَحْلٌ لَنَا منْ بُطُونهَا مُصَفًّى لنَا فِيه الشِّفَاءُ منَ الضُّرِّ
علومٌ يقومُ الحبرُ منا بفضلها فما هى من زيد يمرّ على عمرِ
تعالتْ فلا شخصٌ يفوزُ بنيلها ولا سيما إنْ كان فى ظلمة الحشرِ
بها ميزَ الرحمنُ بينَ عبادهِ غداةَ غدٍ فى موقفِ البعثِ والنشرِ
كما ميزَ الرحمنُ بينَ عبادهِ إذا دفنوا فى الأرضِ من ضغطةِ القبرِ
فضمٌ لتعذيبٍ وضمُ تعشق فلا بد منه فاعلموا ذاك من شعرى
قد اشتركا فى الضم من كان ذا وفا لما كان فى عهدٍ ومن كان ذا غدرِ
يجىءُ بأعذارٍ ليقبلَ عذرهُ وليسَ لهُ يومَ القيامةِ منْ عذرِ
ويقبلُ منهُ صدقهُ فى حديثهِ ولو جاء يومُ العرضِ بالعمل النزْرِ
لقد عمّ بالطبع العزيز قلوبنا فلا يدخلن القلبَ شىءٌ من النكرِ
جهلت علومًا فى حداثة سننا وما نلتَ هذا العلمِ إلا على كبرِ

وما خفتُ منْ شيءٍ أتاني بغتةً كخوفي إذا خفنا منَ النظرِ الشزرِ
جرينا به في حلبة الكشفِ والحجى على الصافناتِ الغر والسبق الضمرِ
فلما أتينا الصورَ قالَ لنا فتىً ألا إنَّهُ الناقورُ فافزعْ إلى النقرِ
فلمتُ إليهِ في رجالٍ ذوي نهىً بمحوٍ وإثباتٍ من الصحوِ والسكرِ
أهدى كما قال الجُنيد بحامل فقلت له: أين القعود من البكرِ
فأنزلني منه بأكرم منزل علوت به فوق السماكين والنّسرِ
وفرقَ حالي بينَ هذا وهذه وأينَ زمانَ الرطبِ منْ زمنِ البسرِ
إذا كانَ لي كنتُ الغنيَّ بكونِهِ وأصبحت ذا جاه وأمسيتُ ذا وفرِ
دعاني إلهي للحديثِ مسامرًا ولي أذن صماءُ من كثرة الوقرِ
وحملني ما لا أطيقُ احتمالهُ وأطّت ضلوعي من ملابسة الوقرِ
وخفتُ على نفسي كما خافَ صالحٌ على قومه خوفَ المقيمين في الحجرِ
إذا قلت يا الله لبي لدعوتي ولمْ يقصيني عنهُ الذي كانَ منْ وزرِي

﴿وقال أيضاً﴾

إذا كنتَ تطلبُ ما تركبُ وكان لكم كونه المذهبُ
وقمتَ به حين قامت بكم صفاتٌ تُعار ولا تكسبُ
فمنه إليه يكون الذي تسمونه الملجأ المهربُ
أتاكمْ بجبريله مُنَّزلاً بوحي على قلبكم يُكْتَبُ

وما هو جبريل إرساله ... ولكنه مَثَلٌ يضربُ

فلستُ نبيًا ولا مرسلاً ... وإنى له وارثٌ أحجبُ

وإن جمعتْ بيننا حضرةٌ ... فإنى أنا الحاجبُ الأقربُ

لأنى خديمٌ له تابعٌ ... أوامره سيِّدٌ مُنجبُ

يقول لى الله من عرشه: ... ولىّ أنا ذلك المطلبُ

ظهرتُ بصورةِ أرسالِنا ... إليكم وإياكم أطلبُ

فأنت الولىُّ لنا المجتبى ... لك الوهب والأخذ والمنصبُ

نصبتَ من أسمائنا سلمًا ... لكم فاعرجوا فيه لا ترهبواُ

ولا ترغبوا عن وجودى إذا ... وصلتم وفيه ألا فارغبُوا

وكم قلتُ فيكم ولم تسمعوا ... قواكم أنا فافرحوا واطربُوا

إذا ما سعيتَ لأمرٍ أنا ... لك الرِّجلُ فى سعيها فاعجبُوا

تعاليت عن ذا وعن ذا فما ... أنا مثلكم فكلوا واشربُوا

هنيئًا مريئًا ولكنْ بنا ... فنحن لك المأكلُ المشربُ

فإنى القوىُّ وعينُ القوىِّ ... وإنى المقوّى الذى يطلبُ

فجولُّوا بميدان أسمائنا ... فميدانُ أسمائنا مَلْعَبُ

أفسر قولى بما أشتهى ... لتضمينه كل ما يرغبُ

فسبحانَ من كُلُّنا عينُهُ ... ولسنا وليس وما نكذبُ

﴿وقال أيضًا يمدح الأنصار رضى الله عنهم﴾

وسبب ذلك أن بعض إخوانه كتب إليه أنه رأى رسول الله ﷺ بجامع دمشق فى رؤيا طويلة فسأله رسول الله ﷺ هل تعرفنى؟ فقال: نعم، ثم ذكر له رسول الله ﷺ كلامًا طويلاً يأمره فيه أن يبلغه إلىَّ وفى آخره يقول له قد أمرناه أن يمتدح الأنصار بنصرهم لى وصحبتهم وليخصَّ منهم سعد بن عبادة ويذكره فى شعره وليكن ذلك عن عجل فإذا مدحهم اكتبه فى ورقة بخط بين وادفعه عند قبره ليلة الخميس. قال الراوى فقلت نعم يا رسول الله، ثم قال رسول الله ﷺ: أين حسان بن ثابت، فقال حسان: ها أنا ذا يا رسول الله صلى الله عليك، فقال: اذكر له بيتًا يبنى عليه فقال: نعم، وقال:

شغف السهادُ بمقلتى ومزارى فعلى الدموعِ معولى ومشارى

قال صاحب الرؤيا ثم قال لى وعيت ما قلنا لك، قلت: نعم يا رسول الله صلى الله عليك، فقال: انهض واكتم هذا الحال، وقل له يكتمه أيضًا، يعنى الكلام الذى أمر أن يبلغه إليه وادفع المدح لمن أمرت حيث أمرت ليلة الخميس. قال: ثم استيقظت فلما وقف على ما كتب به إله صاحب الرؤيا قال يمتثل أمر النبى ﷺ فيما أمره به من مدح الأنصار، وما قال إلاَّ ما أملى عليه فى خاطره ولم يستعمل فى ذلك روية كما جرت عادته فى نظمه ونثره وجميع ما يسطره.

قالَ ابنُ ثابتِ الذى فخرتْ بهِ فقرُ الكلامِ ونشأةُ الأشعارِ
شغف السهاد بمقلتى ومزارى فعلى الدُّمُوعِ معّولى ومَشَارِى
فلذا جعلتُ رويَّهُ الراءَ التى هى من حروفِ الردِّ والتكرارِ

فـأقـولُ مـبتـدئًا لطاعـةِ أحـمـد | فى مـــدحِ قـومٍ سـادةٍ أخـــيـارِ
إنى امـــرؤٌ منْ جـملةِ الأنـصـارِ | فـإذا مـدحتـهمُ مـدحتُ نجـارى
لسيـوفهمْ قامَ الـهدى وعلتْ بهمْ | أنـــواره فـى رأس كـــلِّ مـنـــارِ
قـاموا بنصـرِ الهـاشمىِّ مـحمـدٍ | المصطفى المخـــتـارِ منْ مـخـتـارِ
صـحـبــوا النبىَّ بنيــةٍ وعـزائمٍ | فـــازوا بهنَّ حـــمـــيـــدةَ الآثارِ
باعـــوا نفـوســـهمُ لنصـــرةِ دينه | ولذاك مـا صـــحـبـوه بـالإيثـارِ
لهمُ كنـى المختـارُ بالـنفسِ الذى | يأتـيـــه من يـمن مع الأقـــدارِ
سـعـد سليل عـبادة فـخـرتْ به | يومَ السـقـيـفـةِ جـملةُ الأنصـارِ
للـه آســـادٌ لكلِّ كــــريهـــةٍ | نـزلـتْ بـديـــنِ الـلـهِ والأبـرارِ
عـــزوا بدين اللـه فى إعـــزازهم | دين الهـــدى بالعـــسكر الجـــرّارِ
فيـهم علا يومَ القـيامـةِ مشـهدى | وبهم يرى عنـد الورود فـخـارى
لوْ أننى صـــغتُ الكلامَ قـــلائدًا | فى مـدحـهم مـا كـنت بالمكثـارِ
كـرشَ النـبىُّ وعـيـبـةٌ لـرسـوله | لحـــقـتْ به أعـــداؤُهُ بتـــبـــارِ
رهبـــانُ ليلٍ يقــروونَ كـلامـــهُ | آسـادُ غـــابٍ فى الوغَى بنـهـارِ

﴿وقال أيضًا فى الطبيعة والأخلاط والأركان﴾

قــــــــل لأم الأربَــــــــع | أنتَ فـى الخـــيــــرِ مــــعِى
لـولا عـــــــينـى لم يـكـن | لكَ عـــينٌ فـــاســـمـــعِى

إنما نحن لها	في الوجودِ فدعى
ولها الحكم بنا	في الجهات الأربع
فإذا علمتِ ذا	فلكوني فارجعى
رجعةً مرضيةً	لرياضي وارتعى
أنا فيما قلته	منْ حديثٍ مدعى
ودليلى واضحٌ	مثلُ لمعِ اليرمعِ
في سرابٍ فترى	ماءَ مزانٍ فاكرعى
فإذا ما جئتَه	لم تجد شيئًا معى
كلُّ ما جئتُ بهِ	عن خطيبٍ مصقعِ
وحديثى إنَّما	هو منى ومعى

وقال أيضًا قصيدة جلها في المنام لحقيقة إلهية تجلت له في نومه، وكانت له بنت مَاتَتْ فأنزلها بيده في لحدها فَسُئِل في النوم عن ذلك،

﴿وقال﴾

لحدتُ بنتى بيدى	لأنها ذو جَسَدِى
أنا على حكم النوى	فليس شيءٌ بيَدِى
مقيد في وقتنا	ما بينَ أمسٍ وغدِ
جسمى لُجين خالصٌ	حقيقتى من عسْجدِ

كـــالـقـــوسِ نشـئـى ولذا عـــينُ قـــوامى حِـــيَــدِى
يـقــــــــــول ربـى إنـه خـلقـنى فـى كـــــبــــدِ
فـكيـف أرجـــو راحـــة مـــــا دمت فـى ذا الـبلـدِ
لـولاهُ مـــــا كـنـتُ أنـا ذا والـــــدٍ وولـــــدِ
ولـم يكـن لى كـــــفـــؤًا كـــخـــالقـى من أحـــدِ
فـــالنـعتُ نـعتٌ واحـــدٌ فى عـــيـنِ ذاتِ العـــددِ
فـــــحـلٌّ إلـهى بـيـننـا فى الـكونِ لا المتــعــقــدِ
بـنـشـــأةٍ ثـابـتــــة يـصـحُّ منـهــــا سندِى
فـى أنـنـى مـــــثـلـكـمُ وأنتَ لـى مـــســتنـدِى
بـالـفــــرضِ لا إنـى أنـا مـــثلٌ وهـذا رشـــدِى
نـفـــــيت عـنـى المثل فـى مـــثلٌ وهـذا رشـــدِى
وجـنتـى عـــالـيـــــةٌ مع الحــســـانِ الخـــردِ
وإنما قـــــــالَ بـهِ كـــمـــا لـنا فى المـقـصـدِ
طبــيـــعـــةُ الكـون له أهـل وعـــيـنُ الأحـــدِ
بعلٌ لـهـا فـاجـتـمـعـا عـلى وجـــودى وقـــدِ
مـــــا قـلـتُ ذا عنْ نـظـرٍ قـــد قـــام بـى فى خَـلَدِى
وإنَّـمــــا قـــــرَّرَهُ عنـدى رســـولُ الصـمـــدِ
فـكـــانَ يـمـلـــى وأنـــا أكـــتب عنـه بيــــدى

وهكذا الأمرُ ولا يعرفهُ منْ أحدِ
غيرُ إمامٍ سابق بالخيرِ أوْ مقتصدِ
والغيرُ لا يعرفُهُ في الحال بل في الأبد
وكلٌّ فرعٍ راجعٌ لأصله لم يزد

«وقال أيضًا مجبورا»

الحمدُ للهِ الذى أنْعَمَا بما ترى ولمْ يزلْ مُنْعِمَا
فما ترى شيئًا من أفعاله إلاَّ تراهُ متقنًا مُحْكَمَا
يضرب أخماسًا بأسداسها لما يرى من فعله مُبْهَمَا
إنْ يفردِ الوترُ له فعلهُ يقول عينُ الشفع بل منهُمَا
لنا قبولٌ ولنا قدرةٌ لذاكَ قالَ الشفعُ بل منهُمَا
منْ نعمةِ اللهِ على عبدهِ أنْ جعلَ العلمَ لهُ مغْنَمَا
وفجرَ النورَ بأرجائهِ وليلهُ منْ جسمهِ أعتَمَا
ما النورُ والظلمةُ فى حقهِ سترٌ له يحجبه كُلَّمَا
أرادهُ بالجهلِ حسادهُ يصمه الستر فما أعْصَمَا
ما استكبر المحروم فى خلقه لو أنَّ إبليس يرى آدمَا
لو أنه يكمل فى خلقه لما أبى واستعظم الأعظمَا
فِى الجرمِ والمعنى لهمْ واحدٌ بينهما الرحمن قد قَسَّمَا

أرواحـــهُ الـعـــالـونَ تعنـو لهُ ... لصـــورةٍ أعطاهُ منْ أنْعَـــمَـا

بهـــا عليـــه دون أمـــلاكـــه ... حـاز بهـا الأسـمـاء لما سَـمَـا

فـــهـــو مع الله بأســمـــائه ... كـــمـــا هو الـله به أيْـنَمَـا

أنزلـهُ الحقُّ إلـى عـــرشـــهِ ... وكـانَ مـحكومًـا لهُ بالعَـمَـا

أنزلـهُ الإلطافُ مـن عـــرشـــهِ ... إلى الذى يـقـربنا منْ سَـمَـا

فى ثـلثِ الليـل لنا رحـــمـــة ... بنـا لكـى يتـلو أو يَـعْلَـمَـا

اشـــهـــدنى منـه بأســمـــائه ... وجـــودُهُ والمحـــضـــرَ المعلَّمَـا

﴿وقال أيضًا﴾

ما فى الوجـودِ الذى تدريهِ من أحدٍ ... إلا له فى الـذى يدريه مـيــزانُ

يقـضى بهِ والذى بالعقلِ حـصلهُ ... شـخص يقـال لـه بالحـدِّ إنسـانُ

لهُ الكمالُ كمـا فى الكونِ صورتُهُ ... ولى عليـهِ منَ الـتـشـريعِ برهانُ

فـالوزنُ لا بدّ فـيـه إن وزنتَ له ... ما كانَ من عـملٍ نقصٌ ورجحانُ

فاعكـفْ عليهِ ولا تفرحْ بـصورتهِ ... فـقـدْ تمـلكهُ جـحـدٌ ونسـيـانُ

يبـدو إذا قـسمَ التكليفُ بينهـمـا ... نهىٌ وأمـرٌ وإنسـانٌ وشـيطانُ

فمنْ كـمالِ وجـودى أنْ يكونَ لنا ... من كلِّ نعتٍ نصـيبٌ فيـه تبيـانُ

على الذى حـزته من الكمال فـلا ... تقلْ بأنَّ وجـودَ الجـحدِ نـقصـانُ

لمْ ينقص النقصُ منْ عـينِ الوجودِ لما ... كان الوجـودُ كمالاً وهو خـسرانُ

الأمـرُ أعظمُ أنْ يحـظى بهِ أحـدٌ — إلا الـذى هوَ عـــــلامٌ وديـانُ

لما أراد كـــمــالَ الحكمِ مـنه أتى — فى شــرعِ جبـريلَ إسلام وإيمـانُ

فـــعمَّ ظـاهره الأعلى وبـاطنه الأ — دنى وتممــه بالكـافِ إحـســانُ

فـثلـثُ الأمـرِ والتـربيعُ نـشـأتهُ — لذا أتاك به من بـعـد مـحـسـانُ

فـقـــالَ إنْ لمْ يكنْ كـــونٌ بهِ نزهٌ — فأثبتْ على النفى مـا فى الكونِ أعيانُ

هو الوجودُ فمـا فى الكون من عدد — والقولُ بالكثـرِ فى الأكوانِ بهـتانُ

فـانظر إلى حكمـةٍ عرّا أتيتَ بهـا — بيضاء مثلى فـقال: الناسُ عميانُ

يا ليتَ شعرى فما فى الكونِ من بصرٍ — يراه نـاظره المدعـــوُّ إنـســـانُ

إنْ تتقِ الله كـان النور يعضـدكم — يتلوهُ فـيكـمْ هدىٌ منهُ وفـرقـانُ

مـا حكمةُ اللـهِ فى الأشيـاءِ باديةٌ — إلا لمن هو فى التـحـقـيقِ إنسـانُ

فليس كونك إنسـانًا بصورتِك الد — نيـــا إذا لـم تكن بالحـق تزدانُ

﴿وقال أيضًا﴾

لَّما رأيتُ وجـودَ الحقِّ مـنْ قـبلى — علمتُ أنّ وجودَ النُّـورِ من عَمَلِى

إنى وصلـتُ إليـــه بـالعناية لم — أصلْ إليــهِ بما عندى منَ الحـيَلِ

ولستُ ممنْ يقـولُ العلمُ فى قمـرٍ — يسرى إلى غـايةٍ أو شمسٍ أو زُحَلِ

بلِ الـعلومُ مـن اللهِ الـعليـمِ إلى — قلبى ولـكنهـا تأتى على مــهل

إنى عـجلت إلى ربى لأرضيـه[(١)] — فـإنُه خلقَ الإنسانَ من عـجلِ[(١)]

(١) ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ موسى [سورة طه - آية ٨٤].

إذْ كنتُ موسى فلمَّا أنْ ورثتُ بهِ ... مقامَ أحمد خير الناس والرسلِ
أعطانِ ربى لكىْ أرضى معارفَهُ[1] ... فلتحمد الله يا عبدى فإنك لِى

﴿وقال أيضاً﴾

ألاَ إنَّ الوجودَ وجودُ ربِّى ... وما يبدو منَ الأحكامِ حُكْمِى
فلا عينٌ تراهُ علا فاعلمْ ... كذا يقضى بهِ نظرى وعلمِى
وعلمى بالذى يقضى صحيح ... ولكنى أرجحُ فيهِ كتمِى
وكونُ الحقِّ عينًا عينُ حكمى ... فمنْ قبلَ الإلهَ ولا اسمِى
فذاتُ الحقِّ إدراكات ذاتى ... وذاتى ظلهُ فى حكمِ زعمِى
ألا تنظرُ لمدِّ الظلِّ منهُ ... بنورِ الشمس ابقاء لرسمِى
فلولا أنْ أكونَ كهو وجودًا ... بحذفِ الكافِ فى مدى وضمِى
إليهِ بعدَ مدى وانبساطى ... يسيرًا إذْ أساميهِ منْ اسمِى
ولما كانت الأسماء باسمى ... كذاكَ لهُ السماتُ منْ أصلِ وسمِى
فنعتى نعتهُ منْ كلِّ وجهٍ ... ولكنى أغطيهِ لأعمِى
ولولا أنْ يقول به أناسٌ ... لقلتُ به كما يعطيه فهمِى
ووهمى فى العلومِ لهُ احتكامٌ ... وما وهمُ النفوسِ كمثلِ وهمِى
فإنَّ الوهمَ عينُ وجودِ حقى ... كمثلِ قوايَ فى قولِ المسمِى

---

(١) ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ محمد [سورة الضحى - آية ٥].

له عندى مــقــامٌ لـيس يدرى وهمّ الخَلق فـيـه غـيـر همّى
حكمتُ بـهِ عليـهِ وليسَ كـونى بهِ حـكمـى بعـــدلٍ أو بظـلمِ
لقــد كـان الـوجـودُ بلا زمـانٍ ولا أيـنَ ولا كـــيفَ وكـمٍّ
ولا عـــرضٍ ولا وضعٍ بلـحنٍ ولا فـعلٌ ومنـفـعلٌ وجـسمٍ
ولا نسبٍ يضـافُ إلى وجـودى وبعــد الكونِ حـقـقـهن أمىٍّ
مــقــولاتٌ أتين عـلى اتسـاق يتـرجـمهـا إلى الأفـهـام نظمِى
لهُ عــشــرٌ وللأكـوانِ عـشـرٌ كـذا زعـمـوا وهذا ليسَ زعـمَى
فـإن قلنا به جــهلوا مــقـالى وإنْ جـهلوا يزيـدُ علىَّ غـمِّى
مدحتُ المصطفى فـمدحتُ نفسى ولى قـسَمٌ ومـا جاوزت قـسـمِى
فـأعــمـالـى تردّ علىّ مـنه ولو أرمى فـعـينى منه أرمِى
فـإن عـصم الإله به وجـودى فـإن أرمـى فنصلٍ ليس يَصـمِى
وهذى رحــمـة منهُ تـوالتْ لدىَّ بهـا يعـودُ علىَّ سـهـمِى
وظنى لـم يزل ظنًا جـمـيـلاً فـإنَّ الظـنَّ منى عـين عـلمِى
إلى مـعنـاى فـانظر يا خليلى ولا تنظر بطرفكَ نـحوَ جـسـمِى
فـقـفلى مـا قـفلتُ بهِ وجـودى عن الإدراك بى والختم ختـمِى
فـلا تفـتحْ فـخـلفَ البـابِ ريحٌ إذا هبَّـت علىّ تـهـين عظـمِى
تميـزنى الصـلاة ويـرتدى بى إذا صليـتـهـا بأبٍ وأمِّ
ولوْ أنَّ الـدليلَ يـدلُّ حـقًـا علـيـه لكان يـولده لتـسمٍّ

ولم يولـد فلم يدركـــه عـــقلٌ فـإنْ ظفـروا بهِ فَبِـحُكْمٍ وهمِ
وإن حكمـــوا عليـــه بمـثل هذا فـقـد حكمـوا عليـه بغـيـر عِلْمِ
تعـــالـى اللهُ عن قـــدمٍ بـكوني كـمـا قـد جـلَّ عنِ حـدثٍ بكَمٍّ

﴿وقال أيضاً﴾

أقـــــول بـالله لا بكَـوْنـي فـــــإنَّهُ بـالدلـيلِ عـــــينِي
إنَّ الحـــــدوثَ الذى لـكونـي قـــدْ حـــالَ مـــا بـينهُ وبيـنِي
فى نظـرِ العـــقـلِ لا بكشـــفى فـــالبـــينُ بينـى والبـــينُ بـينِي
إنْ دلَّ أنـى له بـغـــيـــــر فـــذاكَ لى إذْ ســألـتُ عـــونِي
أوْ قـلتُ إنـى لـهُ بعـــيـــنٍ أكـــذبنى صـــوتهُ وصـــونِي
فـــالأمـــرُ بينـى وبينَ حـــبى علـيـــه نبـنى إن كنـتَ تبـنِي
أثنيـتَ يومًـا عـلىَّ جـهـــلاً فــــقـــالَ: أثـنى عـلىَّ تثـنِي
فـنيت عـنـى بـه إليــــــه وذاك مـــــا لـم يقـم بـظنِّـى
ومـــا جـهـلتُ الروىَّ فـيـمـا نظـمــتــه فــــانظروه مـنِي
فـــمـــا تراه مـن نظم قـــولى فليـس شـعـــرًا خـــذوه عنِّى
بل هو مـــا قـــال فـــيـــه ربى من ذكـــر جـمع بـبـينِ كـــونِى
فكـلُّ مـــا فى الوجـــودِ نـظمٌ وليسَ شـــعـــراً والـوزنُ وزنِى
ليـس الفـــراهيـــد لى إمـــامٌ أنـا إمـــــام له فـــــإنِّـى

فى كـلٍّ مـــــا قلـتُ من رَوِيٍّ   عـــلامَ وقـــتـى فـــلا تُثَنِّى

فى آل عـــمـــرانَ إنْ نـظرتمْ   بـيـتٌ وفـى تـوبـة وثـنـى

بالحـــجـــر واعلم بأنَّ قـــولى   فى كـلِّ مـــا قلتُ عـنه يُغْـنِى

فـــالـرَّقْمُ مـنِّى والحـقُّ يُمْـلِى   فـكلُّ مـــا خـطَّ ليـسَ منِّـى

﴿وقال أيضًا﴾

مـــا نظـرتْ عـــينـى إلى   شـىءٍ تـراهُ فـــأرَى

إلا الـذى قـــال لـنـا   بـــأنَّـــهُ الخـلـــقُ بـرى

قلـتُ فـــمن قـــيـل لنا   مـن الميـــاه والـثَّـــرَى

فـلـيس فـى الـكـون الـذى   تـراه من غـــيـــر يـرَى

ســواهُ فـــانظرْ عـــجـبًـا   يـدرى بـه من قـــد درَى

إنَّ الـوجـــودَ واحـــدٌ   فى عـــينـه دون امـــتـــرَا

وكـلٌّ مـن قـــال بـه   فى حـقـهِ فـمـا افـتـرَى

فـنحـنُ فـــيـــهِ كـلنا   كـأصـيَـد فى جـوفِ الفـرَا

والجـــوفُ منه فـــارغٌ   والحقُّ مـــا فـــيـه مِـرَا

قـــد قلن مـــا ذا بشـــرًا   بلْ مـلكًا فـــيـمـا نرَى

ولـم يـكـن بمـلـك   مـــا كـــانَ إلا بشـــرَا

فـــهكـذا أمـــرَ الإلـــ   ـهُ فى الـوجـــودِ والـورَى

﴿وقال أيضًا﴾

إذا طلعَ البـــدرُ المنيــرُ عِـشَـاءَ رأيتَ لهُ فى المحــدثاتِ ضِـيـاءَ

وليسَ لهُ نورٌ إذا الشـمسُ أشرقتْ وقـد كـان ذاك النورُ منه عـشـاءَ

فـمـا النورُ إلا من ذكـاءٍ لذاكَ لمْ يكن يغـلب البـدرُ المنيــر ذكـاءَ

فـإنَّ لهـا مـحلين فى ذاتهـا وفى صِـقـالةِ جسمٍ غـدوةً ومـسـاءَ

ألمْ ترَ أنَّ البـــدرَ يكسفُ ذاتَــهـا إذا كـانَ مـحـقًـا غـيـرةً ووفـاءَ

ولكن عن الأبصار والـشمسُ نورها بِها لـمْ يزلْ يُعطى العيـونَ جَلاءَ

وإدراكىَ المـرئىَّ بيـنى وبيـنهـــا وقـــدْ جـــعلَ اللهُ عـليــهِ غِطاءَ

وهذا من العلمِ الغـريبِ الذى أتى إلـيكـمْ بهِ الـكـشفُ الأتمُّ نـداءَ

وكلُّ دليلٍ جـــاءكمْ فى مـعـــاندِ يخـالفُ قـولى فـاجـعلوهُ هبـاءَ

خُصصتُ بهـذا العلم وحدى فلم أجد لهُ ذائقًـــا حـــتَّـى نكونَ ســواءَ

وبالبلدِ الجـدبًـا طعـمْتُ مـذاقَـهُ لذا لم أجـــدْ عنْ ذا المـذاقِ غناءَ

أتانـى بهِ أحـــوى ولمْ يأتنـى بهِ إذا ســـالَ وادٍ بالعـلومِ غـــثـــاءَ

فـزدتُ به لُطفًـــا وعلمًـا ولم أزد بهِ فى وجـــودى غلظةَ وجـــفـاءَ

وأعلمنَى فـــيــهِ بأنَّ مـهــيـمنى مـعـى مـثله فـــابنوا عليـــه بناءَ

عليًـا رفـيــعًــا ذا عـمـاد وقـوّة بلا عـمـدٍ حـتّى يكونَ صـمـاءَ

مـــزينة بالأنجم الـزهرِ واجـــعلوا قلوبـكـمُ فـــرشًـــا لهـــا وغطاءَ

فـيغـشـاكمُ حتى إذا مـا حـملتمُ بدت زينةٌ تـعطى العـــيـونَ رواءَ

معطرةَ الأعـرافِ معلولةً للـحمى ... يمـــدُّ بهـــا كـــونى سنًّـا وسناءَ
ليعجـز عن إدراكه كلُّ ذى حجى ... ويقـــبلُه مـنهُ حـــيًّا وحـــيـــاءَ
سـينصـرُنُا هذا الذى قـدْ سـردتُهُ ... إذا كـشفَ الرحــمــنُ عنك غطاءَ

«وقال أيضًا»

إذا كـان مَـنْ ترجـونَهُ تحــذرونه ... فكيفَ لكمْ بالأمنِ والخـوفُ حاصلُ
وكيف لكم بالخـوفِ والأمن مانعٌ ... فقلْ لى مـا المعمولُ فالعـبدُ قابلُ
وإنَّ اعـتـدال الأمـــر ليس بواقعٍ ... ولا نافعٍ فـاعلم فـما فـيـه طائلُ
فـلا بدَّ مـن ترجـيح أمـــر فـإنه ... هو الغرض المطلوبُ فالأصلُ مائلُ
فلولا وجـودُ الميلِ لـمْ تكُ عـيننا ... ولا ينكرُ الـعـالمينَ إلا الأسـافلُ
لقـدْ قالَ لى شـخصٌ أمـينٌ بمكةَ ... عن السـيِّد المخـتـارِ ما أنا قـائلُ
سألتُ رسولَ اللـهِ فى الأمرِ قالَ لى ... ألا إنَّ قـولى مـــا يقـول الأوائلُ
وقلتُ لـكمْ عنى خـــذوهُ فـــإنهُ ... هو الحقُّ لا عنهم وهنَّ الفـواضلُ
نفـوسٌ كـريمـاتٌ أتـينَ بكلِّ مـا ... أتتكم به الأرسـال والحقُّ فـاصلُ
فمنْ شاءَ فيـرحلْ ومنْ شاءَ فليُقِمْ ... فـإنِّـى إلى اللهِ المهـيـــمنِ راحلُ
فـقلت له: نامت جـفـونُك إنهـا ... لبشرى فقل مـا شئتَ إنك فاضلُ
وبشـــرنى أيضًـــا بأنَّ نصـــيـــبنا ... من البـيت رُكنُ قـبلته الأفـاضلُ
ولازمنـى حــــتى أتَتْـــهُ بمـكةَ ... منيتـــهُ فـاغـتمّ عـــالٍ وسـافلُ

أتانى رســـولٌ بالــوراثة فـــاضلٌ بإشـبيلة الغـرّاء فى العلمِ كـاملُ

فـقـــالَ لنا علمُ الحـروفِ دلـيلنا على أنك الندبُ الإمـامُ الحُلاحلُ

فلستَ ترى فى الرُّقم حرفًـا مسطرًا تعـيــن الا وهو للكــلِّ شــاملُ

وفى كلِّ حرفٍ اخـتصاصٌ مـبينٌ يراهُ على التـعيينِ منْ هـوَ عاملُ

بما فى حروفِ الرقمِ والـلفظِ عالمٌ يذبُّ بهِ عـنْ نفـســـهِ ويـناضلُ

عن أمـــرٍ إلهىّ يكـون مـقــدَّرًا بتـقدير من ترجى لديه الوسـائلُ

يحل بـه فى كلِّ رحب ومـــارق إذا هى حلَّت بـالنفـــوسِ النوازلُ

«وقال أيضًا»

إذا قلت: يا الله قـــال: أنا أنتـــا فـلا تدعُـنى إلا بما منكَ عـيـنتـا

وخـصصْ بأسـمـاء لنا مـا تريدهُ بحـالكَ أو باللفظِ إن أنتَ مُكّنتـا

فإنْ كـان عن حال أجـاب ملبـيًا وإن كـان بالألفـاظ أنت إذا أنتَـا

ولكن بشـرط الامـتـثـال لأمـرنا وإنْ لـمْ يكنْ هذا فما كنتَ إذْ كنتَا

أسـرّ إذا أسـررتَ والقـولُ قـولنا وأعلنـهُ أيضًـــا إذا أنتَ أعلـنتَـــا

ذكـرتُكَ فى جـمـعٍ كـرامٍ أئمـةٍ مـلائكة إذ كنتَ بالذكـر أضننتَـا

وهانَ على الأكوانِ أمـرُ وجودِكُمْ لجهلهمُ بلْ هانوا عندى ومـا هُنْتَا

فـلا تَدْعُنى إلا إذا كـنتَ قـاطعًـا فإنِّى مجيبٌ مـا دعوتَ وإنْ خُنْتَا

تكلـفنى وقـــتًـــا جـــزاء لما أتى إليكَ من التكـليفَ منى وإنْ بِنْتَـا

رأيتك تعصينى وعينى عينكم فيأتى منكم من يعيننى عِنْتَا
أقوم لكم فيما تقومون لى به فدنا بما قدْ كنتَ أنتَ به دنتا
أَلَنْتُ لكم ما اشتدّ من ركنِ قوّتى لأنكّ فى وقتِ التكاليفِ لى لنْتَا
أصونُ لكمْ عِرْضِى وأحفظُ ذاتكُمْ فإنَّك لمّا أنْ سبيت بكم صُنْتَا

«وقال أيضاً»

إذا أنت لم تعرف إلهك فاعتكِفْ عليهِ بما تدرى ولا تتخذ خِدْنَا
فإنِّى لكلِّ الاعتقاداتِ قابلٌ وإنِّى منكمْ مثلُ ما أنتمُ منَّا
مننتُ عليكم بالذى جئتكم به على ألسنِ الأرسالِ حبًّا لكمْ منَّا
بعثتُ إليكم واحدًا واصطفيتَهُ لنا ولكم منكم فبنتم وما بِنَّا
وحلتمْ عنِ العهدِ الذى كانَ بيننا بمشهدٍ قبض الذرّ فيه وما حِلْنَا
أجازيك لى بالصوم إذ كان لى بكم فيا ليت شعرى هل تدين كما دنَّا
وزلتم بلا أمر ولا عين مبصر عنِ العينِ بى دونَ الأنامِ وما زلْنَا
وكنا على أمرٍ بهِ قدْ عرفتمُ ونحن عليه ما نزال وما زلْنَا
ونعلمُ أنا إذْ تجولونَ فى بنا بميدانِ أشهادٍ جحاجحةٍ جُلْنَا
فإن قمتَ لى فيما أمرتُك طائعًا بأمرك يا عبدى إذا قمت لى قُمْنَا
وما أبتغى فى ذاك أجرًا ولا أرى وفى النَّفْى عرفانى فنحنُ كما كنَّا
فما تبتغى نفسى سراحًا لذاتها فقد ألفت من ذاتها القيدَ والسِّجْنَا

وهذا مُحال فكّها وسراحهَا   ولم ندرِ هذا الأمرَ إلا إذا صُمْنَا
ولكن بإذنِ الشرعِ لا بعقولنا   ولوْ قالَ عقلى ما أعرتُ لهُ إذْنَا
خلافُ الذى قالَ الحكيمُ بفكرهِ   منَ الحكمِ بالتسريحِ جهلاً بما فهنَا
فنحنُ على ما قدْ علمتم كذاتهِ   إذا فارقتْ معنى يقيدها معنَى
فإطلاقه إن أنتَ أنصفتَ قيدَه   فلا تنتظرْ فيهِ خطابًا ولا إذنَا
فلم نخلُ عن مجلى يكون له بنا   ولمْ يخلُ سرٌّ يرتقى نحوهُ منَّا
رقىٌّ معانٍ لارقىَّ مسافةٍ   على صورٍ شتى تكونُ بنا عنَّا
إذا كان هذا الأمر بينى وبينه   فقدْ نالَ أيضًا مثلَ ما نحنُ قدْ نلنَا
قدِ انبهمَ الأمرُ الذى كانَ واضحًا   لعقلى بشرعى فالأمور كما قلنَا
فقالَ لى: المطلوبُ لستُ بغيركمْ   إذا فزتمُ فزنا وإنْ عدتمُ عدنَا
كما جاءَ فى الشرعِ المطهر أنهُ   يمل إذا مل العبيد فما فزنَا
بشىءٍ لنا نمتازُ عنهُ بهِ ولمْ   يحز دوننا أمرًا لديه ولا حزنَا
لقد جزتُ فيما قلته حدَّ نشأتى   فيا ليت شعرى هل يجوز كما جزنا
وهذا غريبٌ إنْ يقع فهو مطلبى   عليهِ رجالُ اللهِ إنْ ساءلوا حلنَا
وما أحدٌ منا إذا جاز حدَّه   إلى ضدِّه يلتذ فيه فإن أمِنَّا
فذلك أقصى ما يكون من المدى   وقائلهُ دونَ الأنامِ قد اسْتَغْنَى
ومنهُ يقولُ الحقُّ عنى بالغنى   وفى عبدهِ فى نجمِ قرآنه أغْنَى
وبالكسبِ نال العبدُ هذا الذى أتى   إلى قولهِ أغنى قنىً ما بهِ أقْنَى

تقــربَ مـا نـادى الذبيحُ إلهــهُ طواعـيةً منكــمْ ولا تقربِ البُـدْنَا

وجلْ بمفـــازاتِ المعـارفِ تائـهًـا تـزادُ بلا زادٍ ولا تـدخـلِ المدْنَـا

فـإنَّ عــوامَ الناسِ قـد يـنكرونه إذا جـاءكم فليتـخذ بعـدهم جنَّا

فـإن اتخاذ الـسِّتـر فـرضٌ معـيَّنٌ كـذا جاءنا فـيـما بهِ اللهُ قـدْ دِنَّا

ولوْ لمْ يكنْ هـذا لكانتْ دمـاؤنا تباحُ فـيا أهل الوجـودِ قد أعلمْنَا

نصـحناكمُ عن إذنِ ربِّى ومـا بقى سوى أنْ تعوا ما قلتهُ حينَ أفهمْنَا

أتينا بهـــا بيـضـاء مـثلـى نقـيـة عنِ الغـرضِ النفسـىِّ حقًـا وبيَّنَا

وراثة عـلمٍ من شــــرائعِ رسـله لنـرجعَ فـــيـــه للإله إذا أبَـنَّا

فمنْ كـانَ ذا علمٌ وكشفٍ مـحققٍ إذا كان يدعـو فليتب مـثلَ ما تُبْنَا

عليـه مدارُ الأمـرِ فى كلِّ مُـرسَلٍ فقلت لهم فابنوا على مثل ذا يُبْنَى

لقدْ صدقتْ نفسى لكمْ فى مقالها ووالله، خاضت ونحن فما خُضْنَا

عليكَ بصدقِ القـولِ فى كلِّ حالةٍ ولا تتـأولْ واتخـذهُ لـكمْ حـصْنَا

ولا تعـجـز الحق الذى هو قـادر وكن كـالذى قـال الإلـه لهم عنَّا

فقدْ بانَ فى شخصٍ جـليلٍ مقامهُ وأثر فـــيـه بـالذى كـان أعـلمْنَا

حـيـاءً وتـعظيـمًـا لهُ وتـرفـقًـا وعـاد علينا قـوله فـتـــضـرَّرْنَا

عليـه صــلاة اللهِ مـا ذرَّ شـارقٌ وما ناح للشربِ الحـمام وما غنَّى

﴿وقال أيضًا﴾

سبحان من صار لنا مطلبًا ... أطلبه شرَّقَ أمْ غرَّبًا

فباطنى صيره مُشرِّقًا ... وظاهرى صيَّرَهُ مُغربًا

وقالَ لىَ الكلّ أنا فاطلبوا ... على الذى صيّره مَطْلَبَا

فاهتم قلبى للذى قال لى ... فأنشأ الحقُّ لنا مركِبًا

ركبتُ فيهِ هربًا أبتغى ... نجاتَنا فلم أجد مَهربًا

أطلبهُ بالكشفِ منْ ذاتنا ... وذاتنا أطلبها مطنبًا

فكشفنا قوض بنيانهُ ... والفكر فى أنفسنا طنَّبا

أخبرنى أحمدُ عنْ كشفهِ ... فى أولِ الحالِ زمانَ الصِّبى

بأنهُ أبصرَ فى نومهِ ... أملاكَ عيسى مثلَ رجلِ الدّبى

يومَ خروجى طالبًا مكةً ... ويثربًا ومسجدًا فى قُبَا

قالوا نزلنا رسلا حفظا ... ختم النبى المصطفى المجْتَبَى

محمدٍ فليقصدْ واقصدْهُ ... فسيفه فى صدقهِ ما نَبَا

وسهمُهُ فيما رمى نافذ ... وطرفُه فى شأوهِ ما كَبَا

قدْ عرضَ الحقَّ عليهِ الذى ... فى ملكهِ ولايةً فأبَى

إلا خمول الذكر حتى يرى ... كأنه المختار فى المحْتَبَى

ونحن أنصارٌ له إن بدا ... يحاربُ الأقرب فالأقْرَبَا

كذلك الريحُ لهُ سخرتْ ... ريحَ جنوبٍ بعدَ ريحِ الصَّبَا

وراثة علوية نالها ... منْ أحمدٍ خيرِ الورى مَنْصِبَا
وهذه البشرى أتانا بها ... مجرَّبٌ فى الصدقِ لن يكَّذِبَا

﴿وقال أيضاً﴾

إنَّ الذى هيَّمَنِى حُسْنُهُ ... من الذى هامَ ولا تَدْرِى
فى سورةِ الأعلى وأمثَالِها ... كالفجرِ والليلِ إذا يَسْرِى
سبحانَ من جل فما مثله ... من أحد إلا الذى أدْرِى
فى سورةِ الشورى أتى ذكرُهُ ... وإنَّه الآنَ على ذكْرِى
قدْ جاءَ حقًا بالصفاتِ التى ... تزيد فى العدّ عن العشْرِ
تحملُ عرشَ الذاتِ من ذاتها ... وما لها عينٌ سوى سِرِّى
بها وجودى وبها كنتهُ ... لذاك تجرى بى عن أمْرِى
لا تنظرونى غيرَهُ إنَّنِى ... هويةُ الحقِّ بلا سِتْرِ
فليس فى العالم من مفصَّل ... إلا وفيه علمُ الذكْرِ
فتصب يعرفه من له ... فى ذاتِهِ منزلةُ الشكْرِ
لهُ مزيدُ العلمِ من شكرِهِ ... يستره ما فيه من كُفْرِ
وليسَ بالكفرِ الذى ذقتهُ ... منْ قررَ الإنسانَ فى خُسْرِ
بأصله ثم أتى شارحا ... مفرعا بالحقِّ والصَّبرِ
بذا أتى النصُّ الذى قاله ... لخلْقِهِ فى مُحكمِ الذكْرِ

فــمنْ يــردْ يمـــتـــازُ فــى أهلهِ فلـيـــمشِ بـالحـــالِ علـى إثْرِى
فـــــإنه الحقُّ الـذى قــــال لى انصح عـبـادى وامــتـثل أمْـرِى
بمكـةَ فى حـــالةٍ تقـــتـــضى فى وقـتـها القـبض من العـسْـرِ
وفى دمــــشق قـــال لى مـــثله فى مـــرة أخـــرى على ســـرِّى
فــــــقلـتُ يا رب أعـنى عـلى مـــا قلتَ لى فـــقـــالَ بالنصْـــرِ
فلمْ يـزلْ فى نُصْــرتِى قــائمًــا فى كلِّ حـــالٍ دائم البِـــشْـــرِ
وقـــــالَ تمْ مـــــا بدأتُـمْ بهِ من الفــتــوحــات على قــدْرِ
على لســـانِ المصطـفى أحــمــدٍ ولمْ يـنبْ عـنى فـى العــــذْرِ
فـإنَّ فـــيـهـا ســـبـبًـا مـقـلقًـا يضــــيقُ منْ إيـرادهِ صـــدْرِى
فــقـــالَ لـى لا تلتــفـتْ إننى مـزيلُ مـــا تخـشى مـن الضُّـرِّ
أيـــدكَ الـلـــهُ فــكـــنْ آمـنًـــا ولا يكـن قلـبك فـى ذُعْـــــرِ
فـقـمتُ بالعلمِ لهمْ مـفـصـحًـا مـــبـينًا فى الســرِّ والجـــهْـرِ
أورده من غــــيـــر كـــيـلٍ له كـــأنَّمـــا آخــــذٌ منْ بحْـــرِ
لـو أنه يـنـظر فـى قـــــولـه إنَّ إليــــه مـــرجـع الأمْـــرِ
رأى وجـــودَ الحق عـــين الذى يطـلبـــهُ فى وحــــدةِ الكثْـــرِ
لو أنـه يعــــــرفُ أحــــــواله مـــا مـيــزَ الخـيــرَ منَ الشــرِّ
ليـس له الشــــرُّ فــــإنّ الذى ســــمى شـــرًا عــدم فـــادْرِ
بيـــدهِ الخـــيـــرُ فـــقل كــالذى يقـولُ فــيـهِ صـاحبُ السـبْـرِ

فــإِنَّهُ الخـيــرُ كــمــا قــالَ لى		منْ قــالَ بـالبــاعِ والشِّـــبْـــرِ
فـاعـبـد إلهَ السـرِّ مـسـتـسلمًـا		ولا تكـفــرْ صـــاحبَ الفِـكْرِ

﴿وقال أيضاً﴾

أقــول بأنِّــى واحــدٌ بوجــودِى		وإنِّى كـثيـرٌ فى الوجودِ بجُـودِى
لنا ألـسن بالجـود والـكرم الذى		ورثنـاهُ منْ آبـائنـا وجـــدُودِى
تميَّــزَ ربى عنْ وجـودى بحـدِّنا		وجـد إلهى إنْ نـظرتَ جـدُودِى
ولا حـــدَّ للهِ الـعظيم فـــإنه		نزيـهٌ وتنـزيه الإلـه حـــدُودِى
وإنى فى خلق جـديد بصـورتى		ولستُ بخـلقٍ للحـديثِ جَـدِيدِ
تفكرت فى قـولٍ جديدٍ فلم أجـد		ســواه وإنَّ الله غـيـرُ جَـدِيدِ
وأعلم أنِّـى فى مـزيدٍ بـجـودِه		لأنى شـكورٌ لا بشـكرٍ مـزِيدِ
ولولا امتثـالُ الأمرِ ما قلتُ هكذا		فـعـينُ دعـائى للوفـا بعـهُـودِى
عــقــدتُ معَ الـلهِ الكريـمِ بأنَّهُ		هوَ الربُّ لى فى غيبـتى وشهُودِى
ومـا زال هذا حـالتى وعقـيـدتى		فـميَّـزَنى فـيمـن وفى بعهُـودِى
لسـانى كـلامُ الحقِّ فالقـولُ قـولُهُ		أنوب به عن أمــره وشـهِـيـدِى
عليــه كـلام جـاء من عـنده بنا		أنا قـائم فى قـومتـى وسجُـودِى
تنزَّهتُ منْ ربـى وجـودًا مكمـلاً		فقال: وجود الكون عين وجُودِى
أقْـسَمَ مـا بين المرادِ حـقـيـقَـتَـهُ		لمنْ ليـسَ يدريهـا وبيـنَ مُـرِيدِ

وما وقعَ التقسيمُ فيها وإنَّه لمعنىً يراه الناظرونَ سَديدِ
كما قسّم الله الصلاةَ بحكمة لنا بينَ ساداتٍ وبينَ عَبيدِ

﴿وقال أيضاً﴾

إليك أبيتُ اللَّعْنَ قطعُ المَناهِلِ على الناقةِ الكوماءِ منْ أرضِ بابلِ
فمنْ كرهَ الأشجارَ يكرهُ أرضَها وليس بغير الحقِّ كَوْنى بقَابلِ
وما جبتُ إلا عن أوامرِ صادقٍ يقولُ لىَ ارحل عنْ مكانِ الأباطلِ
فأنتَ لنا ركنٌ شديدٌ مشيدٌ إليك استنادُ الخلق عند النوازلِ
لقدْ قالَ فيكَ الحاسدونَ مقالةً ولمْ يخلُ منها قائلوها بطائلِ
لكمْ سجدتْ تيجانُ كلِّ مملكٍ ومنْ دونهمْ منْ سادةٍ وأقاولِ
لقدْ جئتَ للإسلامِ بشرىً ورحمةً وللعالم الأدنى وراثة كاملِ
بكمْ نالَ أهلُ الفضلِ كلَّ فضيلةٍ وإنْ جهلوا فالحقُّ ليسَ بجاهلِ
تحلَّى بها منْ كان بالحقِّ مؤمنا وما الناسُ إلا بينَ حالٍ وعاطِلِ

﴿وقال أيضاً﴾

منازلُ القرآنِ لا تعلمُ إلا منَ اللهِ الذى يعلمُ
منازلٌ ترجمها قولهُ لسمْعِ فهمى ولذا أفْهَمُ
فإنْ وعاها سمعُ أُذُنى فلا أفهمُ ما قال ولا أعْلَمُ

كـــأنما أذنى وســـمــــعى إذا — شبـهت شمس الصـحو والأزُمُم

وإنْ تعـــاليـتَ لهُ فـليــــقلْ — شـمسُ الضـحى تشـرقُ والأنجمُ

لو أنّ غـــيــر الحقِّ يأتى بـهــا — مـا علم القـومُ ولا استـفـهمُـوا

وإنما جــــاء بهــا مـــرسَل — كـــــأنـهُ هـوَ والورى نُـوَّمُ

ســبـحـــانَ من يعلمُ مــا عنده — وعـنـــدكـم وكـلـــه مـنـــكـمُ

إلا الذى يـخـــــتصُّ مـن ذاته — لذاتـه فـــمــــا لنـا نحْـلُمُ

علـيـــه فـــيـــه إنه واحـــد — لا نسبَ فـيــه فـــلا يُقَـسَّمُ

وإنمـا كـــــلامنـا فى الـذى — مـنـــه إلـيــنـا ولـــه مـنــهـمُ

مـنْ نسـبٍ تظـهـــــرُ آثارهـا — يقـــبلـهـــا الـطائعُ والمجـــرمُ

وليس يـأتى الأمـر مـن فـصـــه — إلا الشـخـيصُ الحـادثُ الأقـدمُ

الكـاملُ الـقـــرآن وهـو الذى — مــقـــامــهُ فى الناسِ لا يـعلمُ

وإنمـا الأعلـم مِـنْ ســـــرِّهِ — يبــــــدو إلى النـاسِ ولا يَكْـتُمُ

يدور فى أعـــلامــه عــرشـــه — على ثـمـــانٍ ســرها مُــبْــهَمُ

حــمـــالةٌ للـعــرشِ تدرونهــا — وبعـــدها عـــشــرونَ لا تُـعْلَمُ

إلا إذا تضــــربهــــا أربـعـــا — فى ســبــعـــة هناك يـســتلزمُ

خـــارجـهـــا وإن تشـــأ أربعًـــا — فى خـــمـســـة وهوَ الذى أرسمُ

أقـــول تعـظيــمـــا لإجـــلاله — ســـبــحـــان منْ يعلمُ إذ نـعلمُ

الحـــمـــدُ لله الذى قـــالـهـــا — مــعلمًـــا عــبـــادهُ يَمِّــمُـوا

إذا بدأتمُ فـــبـــهـــا فـــابدأوا ثم بهـا من بعـد ذا فـاختـمُـوا

فـــإنهـــا تملأ مـــيـــزانـكم بـذا أتـى نـصٌّ الـذى يـعـلـمُ

وهكذا يـعطى مـقـــامًـــا وفى صـحـيـحـه جـاء بـهـا مـسلمُ

تعـــبـــدُ النـاسُ لما عنـدهمْ من فـــقـــر الـدينار والـدرهمُ

همـــا الـتـــواقـــيع الـتى أبرزت من حـضـرةِ الحقِّ فـــلا تندمـوُا

من أجل ذا خـــرَّ لهـا ســاجـدًا من يـتـــقى الـله ومـن يظـلمُ

يعـــذب الله بهـــا عـــبـــدَه إذا يشـــــاء وبهـــــا يـرحمُ

درى بهـــذا الســامــرىُّ الذى صـــيـــرهُ عـــجـــلاً لهم منهمُ

حـتى إذا مـا جاء مـوسى انتـفى فى نـفـــســـهِ ممـا أتى عنـهمُ

وجـــاءَ عـــيـــسى لـلذى قـــالهُ مـــصـــدِّقـا تعـــضـــده مـــريمُ

جلَّ إلـه الخلـقِ عن خـلقـــــه وهو بهم كـان وقـد جـمجـمـوُا

قلتُ لهـمْ باللهِ لا تفـضـحــوا ولتـعـربوا الأمـرَ ولا تعجـمُـوا

هىَ الإضـــافـاتُ فـلا تكـفـروا بهـا وقولا الحـقَّ واسـتـعـصمُـوا

فــــإنهـــــا الحقُّ ولـكنـه مـا كلُّ شـــخصٍ سـرها يـفـهمُ

تصـــامَ النـاسُ لشــــخصٍ أتى مـــقـــرّرًا أســـرارها يفـــهمُ

لوْ بـادرَ النـاسُ إلـيـــهِ لـقـــدْ أحـــــيـــــاهمُ فـــإنه أعـلمُ

﴿وقال أيضاً﴾

الحمـــدُ للهِ جلَّ اللهُ مِنْ خــالقٍ ... وهوَ العـليمُ بنـا الفـاتـقُ الراتقْ

قدْ ضمَّ شـملى بهِ إذْ كنتُ فى عدمٍ ... لا علمَ عندى بمخلوقٍ ولا خـالقْ

حـتـى إذا برزتْ بالكونِ أعـيننا ... علمت بالكـونِ قطعًـا أنه الخـالق

وأنهُ واحـــدٌ لا شـــريـكَ لهُ ... إلا القـبولُ فـأنى فـيهِ بالصـادقْ

والله لو علمـوا ما قلتـه سجـدوا ... لكلِّ ذى نـظرٍ فى علمــهِ فـائقْ

سرابٌ مـجلاه فى إنسـان ناظرهم ... مـاء يمـوِّجـه أنواره غـارقْ

سـرابُ أحبـابه على اخـتلافـهمُ ... فى الحب فيه شـرابٌ صفوهُ رائقْ

شِـربٌ إذا نادموه فى مـجالسـهم ... بما تـلاهُ عليـــهمْ كـلهم نـاطقْ

لا ينظرون إلى غـير فـيحـجبـهم ... ويحـذرون لديه فـجـأة الغـاسقْ

وكلهم فى جـمـالِ اللهِ حـينَ بدا ... للناظريـن إليـه الهـائمُ الـعـاشقْ

لو حققـوا ما رأوه لم يروه سوى ... لهمْ ولكـنهمْ أعـمــاهمُ الطارقْ

وكـادهم فـنفـوا عنه نفــوسـهمُ ... وهكذا جاءَهم فـى سورةِ الطارقْ

إنَّ الذى فلق الإصبـاح قـال لنا ... بأنـه للنـوى والحبِّ بالـفــالقْ

أين الصباحُ وأين الحب فـاعتبروا ... فشـمسُ إعلامه فى شرقـه شارقْ

إنَّ الصـباحُ من أجلِ العـينِ أبرزهُ ... والحبُّ للروحِ فانظر حـالةَ الفارقْ

فالحبُّ أشرفُ منْ عينِ الصباحِ فكنْ ... بما أتيـتَ به لفـــهـمـك الواثقْ

لذاكَ قـدمـهُ على الصـبـاحِ فـإنْ ... تعـدلْ بهِ فلقًـا فـلستَ بالصـادقِ

إنَّ الصـبـاحَ قـديمٌ للنوى وكـذا ... للحبِّ وهو لـهـذا الهـائم الرامقْ

روحٌ تـولدَ عـن حبٍّ تـولدَ عـنْ ... نـورٍ تولـدَ عـنْ عـنايـةِ الـرازقْ

اللهُ يخـلفـه واللهُ يُـخلـفـه ... لذا هوَ الدهرُ من أسـمائه الفـائقْ

إنْ لم أكنْ سابقًـا فى كلِّ ما نطقتْ ... به التـراجمُ كنتُ المقتَـفَى اللاحقْ

إنى لأقـذفُ بالحقِّ المبـينِ على ... ما كـانَ منْ باطلٍ ليُمْـسِى الزاهقْ

﴿وقال أيضًا﴾

ليسَ لـعـينِ الحـقِّ فى خلقـهِ ... إذا بدا بـى مـثـلٌ يضـربُ

فـإنَّ بالغـيـرِ يكـونُ الذى ... يضـربه الأقـرب فـالأقـربُ

والغـيـرُ مـا ثمَّ فـلا تضـربنْ ... فـإنهُ الضـاربُ والمضـربُ

وقـدْ أتـى عنهُ الذى قـالهُ الـ ... أمـثـال لله فـلا تضـربُوا

فـإنـه يعـلـم والخلـق لا ... تعـلمُ مـا ثمَّ وذا أعـجبُ

لو أنـه يدركـه خـلقُـه ... لـم يك بـالـربِّ الـذى يطـلـبُ

إذا عـلمـتـم أنه هـكـذا ... فـقـصِّـروا فى ذاك أو طنِّبـواُ

مـا عنـدنا منه سـوى ذاتـنا ... وذاتنا تـكفى فـلا ترغـبـواُ

عنهـا وجـولوا فى ميـاديـنهـا ... فـإنهـا الميـدانُ والملـعبُ

مـأدبـةُ الحقِّ لنـا كـونـنا ... فـكونـنا المـأكلُ والمشـربُ

كـمـا هو الـطالبُ والمطـلَبُ ... كـذا هوّ الـذاهبُ والمـذهبُ

﴿وقال أيضاً﴾

إذا أنتَ أبصرتَ الوجودَ مثالا تصرفتَ فيهِ يمنةً وشِمَالاَ

فأنزلْتَه بالعلمِ أرضًا أرِيضَةً وأطلعْتَه بدرًا وكان هِلاَلاَ

وأعليتهُ فى الرأسِ تاجًا مكللاً وقد كان فى رِجل الزمان نِعالاَ

وحزتَ بهِ الأكوانَ شرقًا ومَغربًا وما بينهُنَّ قبلةً وشَمَالاَ

وكم قد رأينا فيه نقصًا مُحققًا فلما أتيناهُ رأيتُ كَمَالاَ

وكم قد سألتُ الله فيه إجَابة وكمْ قدْ أجبتُ اللهَ فيهِ سؤالاَ

لقد طلعتْ شمسى عليه وعندها مددتُ لهُ فى العالمينَ ظِلالاَ

﴿وقال أيضاً﴾

إذا وصفَ الشرعُ المبينُ إلَهَا فذاك الإله الحقُّ ليس يُضَاهَى

ودعْ عنكَ أفكارًا تنازعُ حكمه فآلهةُ الأفكارِ لا تَتَناهَى

وقدْ بلغتْ نفسى إذا هى أنصفتْ وقالتْ بقولِ الشرعِ فيهِ مناهَا

فيا قارئَ القرآن شرْعَكَ فالتزم فما آيةٌ إلا يزيد رِضَاهَا

وما طعمةُ الأفكارِ إلا تغصصٌ إذا هى لم تبلغ لديه أناهَا

﴿وقال أيضاً﴾

يا قرّةَ العين يا مدى أملى لا أوحشَ اللهُ من مُحياكَا

أقــولُ مِــن بعــدِ ذا لمجــدكمُ ... حــيَّــاكَ ربٌّ الورَى وبَيَّــاكَــا

فـمــا يســرٌّ الجـمـيـع من كلم ... إلا إذا يُسَـــرُّوا بمحــيــاكــا

أقـولُ فى النجمِ والـظهـيـرِ لكمْ ... أبقــاك ربِّى لـنا وأحْـيَـاكــا

﴿وقال أيضاً﴾

يَدُلُّ الجـزؤ مِنْ مَـضْمُـون كَـوْنى ... على مــا دلَّ كُـلّى مِنْ وجــودِه

فَـيُـشْـهِـدنى وأُشْـهِـده بِنَفْـسى ... فَـأفْنَى عَنْ وجـودِى مِن شُهُـودِه

ولولا أن يُقــالَ صَـبَــا لأمْــرٍ ... لقلتُ صـدورُنا منْ عـينِ جُـودِه

يَراهُ العـــارفُ الخِــرِّيتُ لـيــلاً ... بأجــواز المفــازة عَــينَ بُيــدِه

يَراهُ النـائمُ اليــقظانُ كَـشْـفًـا ... كـرؤيةِ ذى التَّـهجُّـد فى هُجُـودِه

يَـراُه الحــــــائِرونَ بِـلا دليـلٍ ... كـرؤيةِ ذى المقاصِـد فى قُصُـودِه

يراهُ نـاظمُ المرجَــانِ فـــيـــهِ ... من أسـمــاءٍ لهُ سِلْكًا بجِــيـدِه

يراهُ نـاظمُ الألفـــاظِ بَيْـــتًـــا ... هوَ الروحُ المؤيـدُ فى قَـصِــيـدِه

يراه ناظـم الأحْـجَــارِ عِــقْــدا ... وذاك العِـقْـدُ من أَسنى عُـقـودِه

قــرأت بعــقــده أجــيــادَ دَهرٍ ... بِه أخـذَ الشَّـهــادةَ فى عُـقُـودِه

له التـسـبـيـحُ والفُـرقـان فِـيـه ... يمَـيِّـزُه رُكــوعُك مَعْ سُـجُـودِه

وحــــــاذرْ أنْ تمـازجَ بيـن ربٍّ ... وبين من اصْطَفـاهُم من عَـبِيـدِه

يراهُ مطـلقًــا مَنْ كــانَ أعــمى ... كـرؤيةِ ذِى البصـيـرَةِ فى قُيـودِه

فـذاكَ الفَـيْلَـسـوفُ بغـيـرِ حَـدٍّ وهذا الأشْـعـرِىُّ على حُـدُودِهْ
وكلهـمُ رهينُ الحـبْسِ فـيـهِ بجـعلِ العـقلِ ذَلك من صُـيـودِهْ
على الإنْصـافِ آمـنهُمْ شُـخَـيْصٌ طَليقٌ لـيسَ يرسُفُ فى قـيـودِهْ
وهمْ أجـنادُه وظـهـورُ مـلكٍ مطـاعٍ إنَّمـا هـوَ منْ جنودِهْ
بذا سَـعِـدوا وحـازوُا الأمنَ منهُ وإنْ تَعِـبُـوا المَآلُ إلى سُـعُـودِهْ
لذا سَبَـقتْ إلى الغاياتِ رحـمتىّ وحـازتْهـا بمنزلتى سُـعـودِهْ
فَـحلَّتِ فى الجـنانِ وفى جَـحـيمٍ وإن كـانا لـنا دارَىْ خُـلودِهْ
فـأخْـبِـئُه لِـيَسْـتُـر فى جَـحِـيمٍ من الآلامِ أُنْسِـى من جُـحُـودِهْ
فلوْ لزمـوا الحـقـائقَ لـمْ يكونوا كـمنكـرٍ مـا رآه لِذى وُرُودِهْ
تجلّى لـلبـصـائر من بَعِـيـدٍ تجلِّـيـه كَـمَنْ هُو فـى وَرِيدهْ
وأطلعَـه على مَـا كَـان منه من الشكرِ العـمـيمِ عَلى مَـزِيدهْ
تراه عـند وصـل العـين مـنه بذاكَ مـثلَ فَـصْلِكَ فى شـرودِهْ
فـلا تطلبْ منَ الرحـمنِ عَـهْـدًا فـيسـألكَ المهـيـمنُ عن عُهـودِهْ
وسـالمهُ تكنْ عـبـدًا سَـؤومًـا وتظفـرْ بالزِّيادةِ فـى شُـهـودِهْ

﴿وقال أيضاً﴾

ورثتُ مـحـمـدًا فـورثتُ كُـلاًّ ولو غـيـرًا ورثتُ ورثتُ جـزءًا
حـصلتُ على معـارفَ مفـرداتٍ ولم أر لـى بعلمِ اللهِ كُـفْـؤًا

لِذلك مــا اتَّخَـذْت كَــلامَ رَبِّى ولا آيــاتِه إذْ جــــئنَ هُـزؤاَ

فـأقْـبلتِ النفـوسُ إلىَّ عـددًا وقــد أنْشَـأتُـهـا لِلْعَـينِ نَشْـأَ

لقـد أخـرجت مِنْ فلكٍ وأرضٍ من العـلم الإلهى لهـنَّ خَـبْـأَ

ولولانا لـكانَ الخلقُ عُـمْـيًـا وبُكمًـا دائمًـا عَـوْدًا وبدْءاَ

بنا فـتـح الإلَهُ عُـيـونَ قـومٍ قَـرُبْـن ومَن نَأى مِـنْهُنَّ يَـنْأى

وورّثْنـاهمُ بالـعلم فَـضـلاً فكـانوا زينةَ خـلقًـا ومَـرأى

وكنّا فِى المصـيـفِ لهمْ نَسِـيمًـا كـمـا كنَّا لهـمْ فى البَـرْدِ دِفْـأ

وضـعنْا عن ظُهـورِ القـومِ إصْـرًا ومـا حـملتْ ظهـورُ القوم عِـبْـأ

لأنّى رَحْـمَـةٌ نزلتْ عـليـهمْ كـآنيـةٍ بماء الـغَـيثِ مَـلأى

فـأرْوَيْـنا نُفـوسًـا عَـاطِـشَـاتٍ فلم تر بعـد هذا الشَّـربِ ظَمْـأى

﴿وقال أيضاً﴾

ألا أنعِم صَباحـا أيها الوارِد الذى أتانا فَـحَيَّـانا من الحضـرةِ الزُّلْفَى

فـقلت له أهلاً وسَهْـلاً ومَـرْحبـا بوارِدِ بُشرى جاءَ من موردٍ أصْفَى

فــقــالَ: سَــلامٌ عِنْدنا وتحـيــةٌ عليكم وتسليمُ من الغـادة الهَيْـفَا

من اللاءِ لمْ يَـحْـجُبنَ إلا بقــيــةً فقلت له القنوى فـقال هى الزُّلْفَا

لقد طَلعت فِى العـين بدراً مُكملا وفى جيدنا عقداً وفى ساعِدى وَقْفَا

فقلت لها: من أنت؟ قـالت: جَهِلْتنى أنا نفـسكَ الغرا تجلتْ لكمْ لُطْفَـا

فأعــرضتُ عنها كىْ أفوزَ بِقُــرْبها — وطأطأتُ رأسى ما رفعــتُ لها طَرْفَا

وقد شَغْفتُ حــبًا بذاتى وما درتْ — وقد مُلئت تيهًا وقد حُشيَتْ ظَرْفَا

وثارتْ جيــادُ الريحِ جودًا وهــمةً — وما سبــقتْ ريحًا تهبُّ ولا طَرفَا

وجاء الإله الحــقُّ للفصل والقــضا — على الكشفِ والأملاكُ صفًا لهُ سَفَا

عنِ الحكمِ عنْ أعْيــاننا وهوَ علمهُ — وما غــادروا مِمَّا علمتُ به حَــرْفا

لذلك كــانت حُــجَّــة الله تَعْــتَلى — على الخصمِ شرعًا أو مشاهدةً كَشْفَا

وهبَّ نسيمُ القربِ منْ جانبِ الحِمَى — فــأهدى لنا من نَشْرِ عَنْبــرهِ عُرفَــا

حُــبستُ على مــن كان منى كَــأنه — فؤادى وأعضائِى لِشُــغلى به وَقْفَا

ومــا برحتْ أرســالهُ فى وُجــودنا — على حَــضْرتى بمــا أرسلتْ عُرْفَــا

وأرواحــهُ تزجى سحــائبَ عِلْمــهِ — إلى خلدى قَصْدا فيَعْصِفها عَصفَا

يشف لهــا برق بإنســانِ ناظرِى — ومــيضُ سناه كاد يخــطفه خَطْفَــا

ويعقــبهُ صــوتُ الرعودِ مــسبــحًا — ليزجرها رحــمى فيقصفُهــا قصفَا

يخــرجُ ودقُ الغيثِ من خَللٍ بهــا — فتصبحُ أرضُ اللهِ كالروضةِ الأُنفَا

شــممــتُ لها ريحًــا بأعــلامِ رايةٍ — كــريًّا حمــياها إذا شــربت صِرْفَــا

ولما تدانتْ لــلقطافِ غــصـــونُهــا — تناولتُ منهــا كــالنبىّ لهم قطفَــا

ولما تذكـــرتُ الرســـولَ وفِــعْله — على مثلِ هذا لــمْ أزلْ أطلبُ الحِلْفَا

وراثة من أحـــيى به الله قلـبَــه — ولو كنت كنتُ الوارثَ الخلف الخلفَــا

ألا إننى أرجـــو زوال غـــوايتى — وأرجــو من اللهِ الهدايةَ والعَطْفَــا

إذا ما بدا لى الوجهُ فى عينِ حَيْرتى قررتُ بها عينًا وكنتُ بها الأحْفَى

تبينُ علامـاتٌ لها عندَ ذى حجىً وأعلامُـها بين المقامَـاتِ لا تَخْفَى

﴿وقال أيضاً﴾

لكلِّ شَـخْصٍ منزلٌ يمـتـازُ بهِ فـلا تُبَـالِ فـالأمـورُ تَشْـتَـبِـهْ

أنتَ بمـا ترمِـى به نُـفـوسُنا مِنَ الذى تـدرى به يُصـابُ بهْ

فـإنَّه لا فـعلَ للعـبـدِ الذى أثبـتـهْ عـينُ الـوُجـودِ المشـتـبـهْ

وليسَ يدرى عـلمَ مـا جـئتَ بهِ إلا خـبـيـرٌ ذُو مَـذَاقٍ منتـبِـهْ

﴿فقيل له فى ذلك ما قيل فأجاب فقال:﴾

فـإذا كنتَ مَـعِـى أنتَ مـعِى وإذا مَـا لَمْ تكُنْ لَـسْتَ مَـعِى

فَلْـتَعِ الأمـرَ الـذى جـئـتَ بهِ يا حـبـيبَ القلبِ حـقًـا فَلْتَعِ

أنا إلاَّ واحـدُ العـصـر به مـا أنا فـيـه شُـخـيصٌ مُـدَّعِى

فَـخُـذِ الأمـرَ الذى تـعـرفـه منْ وجـودى ثمَّ إنْ شـئتَ دَعِ

مـا أنَا غـيـرٌ ولا أعـرفـهُ للـذى قلـت له أنـت مَـعِى

قلتُ لـلنفسِ وقـدْ قـيلَ لهـا مـثـلُ مـا قـيلَ مـنِ العبْ وارتَعِ

مـا سَمِـعْتم مـا جـرى مِنْ خَبَـرٍ منهـمُ بالله يا نـفسُ اسْـمَـعِى

واحْـذَر المنكـرَ الَّذى تَعْـرِفـه إذْ تحـلَّيـتَ بـهِ لا تَخْـدَعِ

لَستُ أبكى لفـراقٍ أبـدًا ... لشهـودى حَالة مِنْ مَوْضِعِى

فَحَبيـبى نصبَ عـينى أبدًا ... فسـواءٌ غـابَ أوْ كـانَ مَعِى

جل أمـرى إنَّ عـينى معـه ... أينمـا كـانَ فطبْ واسْتَمعِ

﴿ومن هذا السِّرِّ أيضًا نبَوتِى﴾

فكمْ دعـوتُكَ يا عَـينى ولمْ تُجِبْ ... خَابتْ سهـامُ دعائى فيك لم تُصبِ

شُغلتَ عنى بـأمـرٍ أنتَ تعـرفُـهُ ... ولا تظنَّ بنـا شـيـئًـا من الرِّيبِ

رمـيت حُبَّ قبـولٍ فى حبَـالَتكم ... فصـدتَ واللهِ يا عَيْنى ولم تَخِبِ

فـاهنأ فـديتُكَ صيـادًا ظفـرتَ بما ... تريده من فتـى من سـادةٍ نُجبِ

﴿ومن ذلك لزومية نبوية﴾

ليسَ التعجبُ من شَخْصٍ وَعَى فدعا ... إنَّ التعجبَ من شخصٍ وَعى فَسَمع

إذا أجـابَ عـلمـنا أنـهُ رجلٌ ... لَّما دعـا ضـامنًا لمنْ دعـاه طَمعْ

فقلْ لهُ ما الذى سـمعتَ منهُ يقلْ ... مـا قلتـهُ إنهُ برقٌ لديـهِ لمعْ

﴿ومن ذلك نبوية﴾

لبـيكَ لبـيكَ من واعٍ ومنْ دَاعِ ... لبـرءٍ ما بى منْ أمْـراضٍ وأوْجَاعِ

دعـوتَنِى بلسـانِ الحقّ تطلـبنى ... إنى لما قد دعـوتُ السامعَ الوَاعِى

دَعَـوتَنى وضَـمِنْـتُمُ مـا أُسِـرُّ به ... إذا أجبـتُ فما خـيبتَ أطْمَـاعِى

لا تفـرحَنَّ بشـىءٍ لستَ تَعْـرفـه ... إنَّ الهـويةَ فى المدعُــوِّ والدَّاعى

بهِ سـمـعتَ كـمـا بهِ نطقتَ لذا ... قد قـام فينا مقـامَ الحافظِ الرَّاعِى

أنا لـهُ تابـعٌ مــــا دامَ يَطْـلبـنى ... كـما أكـونُ إذا أدعو منْ أتْبـاعِى

وليس من شِـيَعِـى حتى أفـوز به ... وإنهُ حـينَ أدعـوهُ منْ أشْـيَـاعِى

لذا ينـزلُ فى ألطْاف حِكْمَــتِـــهِ ... من الذِّراعِ على التَّـقريبِ والبـاعِ

فــقـدْ تُقَــدِّرُ والمقــدارُ ليسَ لهُ ... وهوَ الصَّدوقُ فقدْ حـيرتَ أسْماعِى

أين العمـاءُ ومن حبل الوريد أتَى ... فى قُـرْبه وإذا مـا كنتُ بالسَّـاعِى

يأتى إلىَّ كـمـــا قـدْ قـالَ هَرْولةً ... والفـــرقُ يعلم بين المدِّ والـصَّـاعِ

إنّ التنزه والتـشــبـيـه مَلْحَـمَـة ... وتلكَ خَيرى الذى أدرى وأقْطاعى

مـا قلتُ إلا الذى قـــالَ الإلهُ لنا ... فى نعـتـهِ منْ مقـالاتٍ وأوضـاعِ

لما أتـيتُ به ســــوقَ الكـلامِ أبَى ... وقـالَ ليسَ بضَـاعاتى وأمْـتَـاعِى

إلا المحدثُ والصـوفىُّ فاجـتمـعا ... والمؤمنون وهـذا علْمٌ إجْـمَـــاعِى

إن العـقـولَ لهـا حدٌّ يـصرِّفـهـا ... وليـس يعـــرفُ منه علـمُ إبدَاعِ

إنى أذعتُ لكَ العلمَ الغـريبَ وما ... أنا بِصَـــاحِـبِ إفــشـــاءٍ وإيذاعِ

إنى وجـدت الذى بالسَّـير أطلبُـه ... سيرَ الحقـائقِ فى سبتى وإبضَاعِى

﴿وقال أيضاً﴾

• تجـــملْ لمنْ قـــالَ الرســـولُ بأنهُ
يُحبُّ الجـمالَ الكلَّ فـهوَ جَمـيلُ

فـــذلكـمُ اللهُ النزيـهُ جَـمَـــالُهُ
عنِ الغَـرضِ النَّفسـىِّ فهـوَ جَليلُ

تعـالى جـمـالُ اللهِ عن كلِّ ناظرٍ
إليـــه فـطرفُ المحْـــدَثات كَـليلُ

فَلَيْس له مـن كلِّ وجـهٍ مُـمَـاثِلٍ
وليسَ لهُ فـى المحـدثات عَـــديلُ

سوى مَنْ بدا بالكـافِ فى قوله لنا
بتـرجَـمَـةِ الشُّـورَى فَلَيْسَ يزولُ

لقـد جَهِـدَتْ نفـسى بأنك عـينه
فتـسرحُ فى أرضِ الهَـوى وتَجوُلُ

يطالبـنى الأنتَ الذى عـــينُ الأنا
ومـا لى سِـوَى هَذا عَـلَيـهِ دَليلُ

تجـولُ براهينُ النُّهَى فى مَـجَالِهـا
وأولُ شَـخْصٍ جـالَ فـيـهِ جَلِيلُ

علمـت بأنَّ الأمـــرَ بَـيْنى وبَيْـنه
وأنَّ الَّـذى يَـدْرى بـهِ لَـقَـلـيـلُ

وإنْ كـانَ لى وجـهٌ يـكونُ هَوِيَّتى
به عـــينه جـــاء المُحـالُ يَقُـــولُ

تثبــتَ فليسَ الأمرُ فـيه كمـا ترى
فـعـمَّـا قليلٌ يـنقـضى ويَحُـولُ

فـقـلت له مـهـــلاً علىَّ فـــإننى
علمـتُ به والعـــارفـــون نُزُولُ

عليهِ من الأكوانِ فـى كلِّ جَحْفَلٍ
له فى مَـجـرَّاتِ الـشُّـهـودِ ذُيولُ

﴿وقال أيضاً﴾

إليك أتيـتُ يا مَـولاَى قَـــصْـدًا
على شَـــدْنِيَّـةٍ سَبْـتًـا وَوَجْـدَا

وفـيكَ تَركْت مَـــا لا كنتُ فـيـه
أصــرِّفـــه وأحــبـــابًا وَوُلدا

تَمــيَّــزتِ الأمــورُ إذا أُبِينَتْ ... لذى عَــينَين بُرهـانًا وَحَــدّا
إذا مـا البـعــدُ آلَ إلى اقْـتـرابٍ ... فبُـعــدُ الحـدِّ مـا ينفـك بُعـدًا
نظـمتُ قـــوافِىَ الألْـفـــاظِ لما ... أردتُ مَـديحكم عَـقْـدًا فَعَـقْـدا
فـقــامتْ نشــأةٌ حـسنًا لعــينٍ ... وزهرًا فى الـرياضِ شــذًا ومَلْدا

﴿وقال أيضًا﴾

النقصُ فـى العَـبْــدِ ذاتى وإنَّ لهُ ... وقتًـا كَمـالاً ولكن فيـه بالغَرَضِ
العـبْــد لابدَّ منه فـهـو يَـطْلبـه ... وإنَّهُ صــاحِبُ الآفــاتِ والمرضِ
اعـراضه بوجـودِ النقصِ شـاهدة ... ومـا نَرى أحدًا ينفكُّ عنْ عَـرَضِ
وقـدْ ينالُ الذى يهـوى ويُحْـرَمُـهُ ... وقتًا فـيبصره يَصـبَرُ على مَضَضِ
فقل لعـقلِك قد أفهـمت صورته ... فقمْ على قَـدمِ التحقـيقِ وانْتَهِضِ
إلى المقـامِ الذى مـا عندَهُ عـرضٌ ... أيضا ويعـصِمُـه من عِلَّة الحَرَضِ
فـإنْ تَيَــسَّــرَ مطـلوبى ظفـرتُ بهِ ... وإن تعـــذَّر تعلم أنَّ ذاك قُـــضى
فـالعبـدُ عبـدٌ مَتى أعْطَاه سُـرَّ به ... مـا كـان يسـأله وإنْ أبى فـرضِى
ولا يَغُـرَّنكَ أحـوالٌ فـحـالُتـهـا ... كالبرقِ يظلمُ جـوًا كانَ منهُ يُضِى
قدْ يعلمُ العبدُ منْ حالِ القبولِ إذا ... رآه وجـــودَ الـفـــعلِ مـنهُ رَضِى
السـقـم للعـبـدِ حكـمٌ لا يزايلهُ ... فـلا يزالُ معَ الأنفـاسِ ذا مَـرضِ

﴿وقال أيضاً﴾

لولا لُبانة موسى النُّورَ مَا انقلبا نارًا وما أحرقتَ نَبْتًا وما الْتَهبَا

فاحذر فديتك إنّ الأمرَ ذُو خِدَعٍ يريكَ مُضْطجَعًا من كانَ مُنْتصَبَا

لقدْ تحرَّكَ للرائينَ فى صُوَرٍ شتى وما صَدقَ الرائى وما كَذَبَا

كقولهِ ما رمى منْ قدْ رمى ومَضَى فى أفقه طالعًا لقطًا وما غَربَا

وظلَّ يطلبُه فى كلِّ شارقةٍ بيضاءَ من حرقٍ عليهِ مُلْتهبَا

ليسَ التعجبُ من خيرٍ نَعِمتَ به لكنه من عذابٍ فيه قد عَذُبَا

إنَّ المعارفَ أنوارٌ مُخَبَّرَةٌ من عنده تُخرقُ الأستارُ والحُجُبَا

إنَّ اللبيبَ كذى القرنين شيمتُهُ ما يَنْقَضِى سببٌ إلا ابْتغى سَبَبَا

إذا انتهى حكمُهُ فى نفسِ صَاحِبِهِ يريكَ فى كونِهِ من أمرهِ عجبَا

فتبصرُ الفضةَ البيضاءَ خالصةً عادتْ بصنعتهِ المثلى لنا ذهبَا

كما يصيرُ عينَ الشمسِ فى نظرى من أيمن الطورِ فى وادٍ به لهبَا

لقدْ تحوَّلَ لى منْ عينِ صورتهِ بغيرِ صورتِهِ فيما بهِ ذهبَا

فكنتُ أطلبُهُ والعينُ تشهدُهُ ولستُ أعرفه لما به احتجْبَا

فقلتُ هذا أنا فقالَ ها أنا ذا فقلتُ منْ قالَ لى لا تتركِ الطَّلَبَا

والله لو نظرتْ عيناك مَنْ نظرتْ لما رأتْ غيرنا فلتَلْزمِ الأدبَا

ولستَ تنظره إلا بنا فعسى تقولُ حالَ عليهِ النومُ قدْ غلبَا

حدبثُ نفسى بِنَفْسى والحديث أنا كالفردِ يضربهُ فيهِ الذى ضربَا

فــلا تضــاعـفــهُ ولا تعـــدِّدهُ　　　لأنه عــينُـه أكْـــرِمْ به نَســبَــا

﴿وقال أيضاً﴾

لبيــك لبـيك مِنْ داعٍ بإجـــماعٍ　　　والكلُّ أنتَ فأنتَ الـسامعُ الداعِى

فلمْ يلبـيــكَ منى غَـيْــرُ كـونِكمْ　　　أنت اللســانُ بلا خلفٍ باجـمـاعِ

قد صَحَّ عنك من الأخبارِ ما نطقتْ　　　به التــراجمُ عنــد الحـافظِ الواعِى

ما إنْ ذكرتُكَ فى نَـفْسِى وفى ملإٍ　　　إلا وكان شــفاءً لى مِنْ أوْجَـاعِى

لم يقصِ عنكَ الَّذى قدْ صحَّ منْ خبرٍ　　　رويتـهُ منْ حديثِ البـشرِ والبـاعِ

لقــدْ تحـقـقـتهُ ذوقًـا ومـعـرفـةً　　　من غـيـر شـكٍّ ولا قـول بإقناعِ

درَّت لُبــونُ مواشـيـه على جَلَدى　　　كلِّ مَـــرْعى وإنَّ الرعىَ لِـلَّراعِى

ولوْ طمــعتُ بكونــى فىَّ دونكمْ　　　خابتْ لدىّ على التحقيقِ أطْماعِى

أنت اللسانُ وأنت الرِّجل أسعى بها　　　ولا أقــولُ بأنَّ الناطقَ السَّــاعِى

وأنتَ لى بصـــرٌ إذْ أبصـــرتُ بهِ　　　وأنتَ سمعى فخذْ فـضلاً بأسماعِى

نطقًـــا يحـــقـقنــى بمنا يوفـــقنى　　　وليس يلحـقنى فى الفهم أتْبَـاعِى

بشــرى أســرُّ بهــا إنى من أهلِكمْ　　　ولا يطـمِّنُـهُ زَجْـــــرِى وإرْدَاعِى

إنى لأشــهدكمْ وأنــتَ تشهــدُ لى　　　بذاكَ فى الجبلِ الراسى وفى القاعِ

أنتَ العليمُ الذى قــسـمتَ أقفـزةٍ　　　حبّ العقولِ فـمن مُدٍّ ومن صاعِ

أمرى ظفرت بها فى وقتِ قسمتها　　　وما جـعلتُ لها حظًا مِن إقْطاعِى

أقطاعُنا هىَ أسماءُ الإلهِ بها عينُ النَّجاةِ لأبصَارى وأسْمَاعى

ولا خطوت إلى ما ليس لى قَدَمًا فى حالِ وترٍ ولا فى حالِ إشفاعِ

لذاكَ ما وردتْ فى حقنًا كتبٌ منه تؤدِّى إلى ردعٍ واقْمَاعِ

أنصفته فى الذى قد جاء يطلبُنا بما تقرَّرَ منْ سبقٍ بإسراعِ

﴿وقال أيضاً﴾

إذا تحققتَ شيئًا أنتَ تعلمهُ ساويتَ فيه جَميعَ العالمين بهِ

أقولُ هذا لأمرٍ قدْ سمعتُ به عن واحدٍ فطنٍ للعلمِ مُنْتَبِهِ

فقالَ ليسَ كما قالوهُ واعتقدوا فما لعالمنا العلامِ منْ شبهِ

وذا لجهلٌ بما قلناهُ قامَ به فليس فى قولنا المذكور من شَبَه

هل نِسْبَةُ الذَّهبِ الإبريزِ فى شبه ما صاغَه الصائغُ العلاّم مِنْ شَبَه

﴿وقال أيضاً يخاطب سرَّه الوُجُودِى﴾

عَقْلِى به فوقَ عقلِ الناسِ كلهمُ فلستُ أفكرُ فى شىءٍ أُقَضِّيهِ

تصرفى ليسَ عنْ فكرٍ ولا نظرٍ لكن عن الله يُوحيه فأُمْضِيهِ

الأمرُ بينى وبينَ السِّرِّ منقسمٌ بحالهِ فهوَ يرضنى وأرضيهِ

فما يكون له من حادثٍ قبلى يبغى تكوّنه إلا وأقضيهِ

فليسَ يمكنهُ إلا سيَاسَتُنا وليس يمكنُنا إلا تَرَضِّيهِ

فكلّ مَـا هوَ فـيـهِ مِنْ مكـانتنا وكلُّ مـا نحن فيـه من مَـرَاضِيـهْ

﴿وقال أيضاً﴾

إله تعـالى أن يُرى بِبَـصْـيـرَةَ ولا بصـرٌ والنصُّ جـاءَ بإبصـارِ

وليـسَ يُرى شىءٌ سـواهُ وإنَّه على كلِّ حالٍ عينُ ذاتى ومقدارى

لذاكَ يُسْـمى ظاهـراً باطنًا لـنا لأُثبت أو أنفى فالأسـماءُ أبصارى

فلا تجـزَعَن فالأمرُ والشـانُ واحد ولا تلتفت إلى يَسَـارِى وإعْسارى

فإنى عـينُ الأمرِ إنْ كنتَ مُـوسراً ولستُ لهُ عينًـا بعسرى وإقْـتارى

ألا إن عـينى شـاهـدٌ وشَـهَـادتى كذلكَ فيما صـحَّ فيهِ من أخْبارى

لقـد أثبتُ الأرحـامَ بينـى وبينه وإنَّ أُولى الأرحامِ أوْلـى بأقْدارى

أنا سـجنُه مـنه إذا كنت رحـمـة وإنْ لم تكن رحمتى فقد بعدت دَارى

ألا إننى جـارَ لمنْ هو صـورتى وقد جاء حقُّ الجارِ فرضٌ على الجارِ

فقـدْ أثبتَ المثلُ الذى قدْ نـفاهُ لى بليسَ وقدْ حـارتْ لذلكَ أفكارى

إذا قلت: مثل قـال: لا فأقول لا وإنْ قلتُ لا: أبقى رهينًا بأوزارى

فـمـا هوَ لى بعـضٌ ولا أنا كلهُ ومـا ثم كلّ غـير مـا برأ البـارى

ولما بدا خـلقى بعـينى رأيـتنى بأسمـائه الحسنى وسـبعـة أسوارِ

ومـا أنا إلا جـودُه ووجـودُه وإنَّ الذى يبـدو لعـينكَ آثارى

تعـالى بأنْ يحظى بغـيـر وجـودِه وأين مع التَّحـقيقِ عينٌ لأغـيارى

إذا قُمتُ أثْنِي والثناءُ كلامُهُ فما أنا فيما قدْ حُمِدتُ بمكثارِ
إذا أبصرتْ عينى جمالَ وجودِه أكونُ بهِ فى الحالِ صاحبَ أنوارِ
وإنْ لم أكن أُبْصِر سِواى فإنَّنى لعالمِ وقتى بى وصاحبِ أسْرارِ
ولكنْ متى أنْ دامَ بى ما ذكرتُهُ وذلكَ فى التحقيقِ يثبتُ أضْرارى

﴿وقال أيضاً﴾

الشكرُ للهِ لا أبغى بهِ عِوَضَا بلْ شكرُنا امتثالٌ للذى فُرِضَا
خلا لىَ الأمرُ فى الأكوانِ أجْمَعَها وغادرَ القلبَ مشغوفًا بهِ ومَضَى
فما رأيتُ بريقًا فى جوانبها إلا وكان هو البرقُ الذى ومضا
وآضَ عنى الذى قدْ كانَ يحجبنى لما رأى النورَ فى آفاقِهنّ أضَا
لمَّا سلكتُ سبيلَ الواصلينَ إلى بحرِ العماءِ رأيتُ الزاخراتِ أضَا
فقلتُ هلْ ثمَّ بحرٌ لا يكونُ لهُ سيفٌ فقالوا نعمْ هذا الذى اعترضَا
ما بيننا وهو من وجه يخيط بنا وما له غايَةٌ ولا علَيْه فَضَا
ونحنُ فيهِ كغَرْقَى يسبحونَ بهِ ولا يقاسون همًا لا ولا مَضَضَا
بحرُ الثبوتِ الذى أبدى جَزائرهُ فيه ومنه بما قد شاءه وَقَضَى
والناسُ سفرٌ ولكنْ منْ جزائرِهِ إلى جزائره فى شِقْوةٍ ورضَى
الاسمُ يوجِدُنا والذاتُ تعدمنا فما ترى صحةَ إلا ترى مَرَضَا
إساءَتنا لم تكن إلا إساءتُنا وهىَ الغذاءُ لمنْ قدْ صحَّ أوْ مَرِضَا

بهـا بدا عَـفْـوه عـنا ورَحْـمـتـه ومن يقـومُ به إحـسـانهُ نَهَـضَـا

إلى الوجـودِ الذى ما عنده عـدمٌ وهوَ الذى حصلَ المأمولَ والغرضَا

شخصًا سويا وقـد سماه لى بَشرا منَ المباشـرةِ الزلفى التى انتهـضَا

بهـا فـأبصـره فى عـينِ صُـورته مـثلاً فـأنشأه حـتى يرى عِوضَـا

فلم يـكن غـيـرُه إلا بجـنتـه فزال عن نفسه المـثلُ الذى افترضَا

﴿وقال أيضًا﴾

إذا مـا نعتَّ الحقَّ يـومًـا فـقـيـدِ ولا تطلقنَّ النعتَ إن كنتَ تهتدِى

إذا أنتَ أرسلتَ النعوتَ ولمْ تكنْ تقـيدها فـيهِ فـما أنتَ مُـهتـدِى

إذا كنتَ عــلامًـا بمـا أنتَ ظاهرٌ علمتَ بأنّ السـرَّ بالعَـبْد مُـرْتَدِى

وإنْ كنتَ لا تدرى ولستَ بطالبٍ ولا باحثٍ فـاعلمْ بأنكَ مُـعْتَـدِى

إذا لمْ يقـعْ نفعٌ لنـفـسكَ هـهنا فأنـتَ إذا بعثـرتَ أخسرُ فـى غدِ

لو أنك مطـلوبٌ بكل جَـرِيـمـةٍ ومُتُّ على التوحيدِ علمًـا كانَ كانَ قدِ

ولـستَ بـأهلٍ لـلـخلـود بنـاره ولستَ بمحـرومٍ ولـستَ بمفـسِـدِ

كذا أنتَ عندَ اللهِ فى عـينِ علمهِ بقـبضـةِ اليـمنى تروحُ وتَعْتَـدِى

دليلى عليه ذو السِّجـلاتِ فاعلموا وذلك عينُ الحكم فى غيـرِ مَشْهدِ

وإنْ كنتَ سـبَّـاقًـا لكل فـضـيلةٍ تفـوزُ إذا جاؤوا بأصـدقِ مَـقْعَـدِ

﴿وقال أيضاً﴾

مـا كـلُّ مَن أفْـهَـمْـتـه يَفْـهَمُ ... ويفـهمُ الشَّـخْصُ ولا يَفْـهَمُ
مـا قلـتُ للقـومِ الذى قُـلْتـهُ ... إلا كَـمَـا أخـذته عَنْـهُمُ
إذا رأيـتَ المرءَ فـى حَـالـةٍ ... مـوفَّـقًـا فَـذَلِك المُلْـهَمُ
تنـفـذُ فى الأنفسِ أحـكامُـهُ ... علـى الَّذى قـال لـى الملـهَمُ
فـيبـهم الأمـرُ الذى أوضـحُـوا ... ويوضحُ الأمـرُ الذى أبْهَـمُـوا
وكـلُّ نصٍّ بـيـنٍ جـاءهـمْ ... عنـدَ الذى ذكـرتـهُ مُـبْـهمُ
إنى رأيـتُ الناسَ فـى غَـفْـلةٍ ... وإنـهـا مـنـى لا مِنْـهُـمُ

﴿وقال أيضاً﴾

يا لائـمى إنْ لم تـكن عـينُـنا ... ذَواتُـهُـم يـا لائـمـى كُـنْ هـمُ
مـا كلُّ مـن حَـرَّر أنفـاسَـه ... لكـلِّ مـا جـئـتَ به يُلْـهَم
إنَّ الفـتـى الناصحَ هـذا الذى ... يوضِّح مـا قـال ولا يُبْـهِم
إنَّ الذى جـاءهمْ ناصـحًـا ... مُـبلغًـا ومـشـفـقًـا إنْ هم
كـانـوا لما قـدْ سـمـعـوا أهلهُ ... وعنـدنا السـامعُ مـن يفـهمُ
ألزمـتـهُ الهـاءَ إلى مـيـمـهـا ... وحكم ذا فـى الشِّـعْـر لا يَلْزمُ

﴿وقال أيضاً﴾

إذا رأيتُ وجـــودًا مـــا لهُ حـــدٌّ أقبلـتُ أعدو إليه وهُوَ بـى يَعْدو

فقـالَ لى وهوَ من ذاتى يُخَاطبنى إنَّ الوجـــودَ الذى رأيتـهُ فَـــقْـدُ

فقلتُ: أنتَ معى فـقال: أنتَ معى كالفـردِ يضربُ فـيه عِنْدنا الـفَرْدُ

لما رأيـتُ وجـــودى لا يُزايلـنى علمتُ أنَّ وجـودَ السيِّد الـعَبْـدُ

بذا أتتْ فِى كـتـابِ الله صُـورتُه الأمـــرُ للهِ منْ قَـــبلُ ومنْ بَعْـــدُ

الحقُّ عندى معى بى وهوَ مُعْتَمَدى فى كلِّ حـالٍ إذا أروحُ أو أغْـدُو

الجودُ يبغى وُجـودِى فَهُوَ لى سندٌ ومـــا لنا منـه فى أعـــيـانِـنا بُدّ

كمـثلِ أسمائه الحـسنَى الَّتى ثَبَتَتْ بالنصِّ يطلبُـهـا التقـيـيدُ والعَـدُّ

إن العـقولَ لتـحصـيهـا مُفَـصَّلَة فيهـا الخلافُ وفيهـا المثلُ والضدُّ

كذلكَ الحـكمُ فى كونى فـأما أنا أثبـتـهـا فلهـا الإثبـاتُ والوجـدُ

والحلم فـينا الذى يعطى حقـائقنا الحلُّ والعـقـدُ والتـليـين والشَّـدُّ

هوَ الذى لمْ يزلْ يُخْفِى حَـقِيقـتهُ بما هىّ اليـومَ فـى أبصـارِنا تبـدُو

منهُ الأمورُ الـتى تشقى وتسـعدُنا أخـرى ويشهـدُ ذا الغىُّ والرشـدُ

﴿وقال أيضاً﴾

أرسلتُ مـا أرسلـتُ من أدمُـعى تـذكـــــرةً مِنِّـى لـهُ إنْ يعِـى

فلـم يعـــرِّجْ والتـــوى هـاربا وقـــال لا تسـأل فــهـذا مـــعِى

وإنما أطْلُبُ لِى مُـعْـرِضًـا — قـد اخْـتـفَى عَنِّى فِـى المخْـدَعِ

إنا دعـونـاهمْ عَـسى يَرْجِـعـوا — والخـائبُ المحـرومُ لَمْ يَسْـمَعِ

ومـا بـه من طَرَشٍ حَـاكِمٍ — لكنـه اسْتَـحَـيـا فلـم يَرْجَعِ

أتبـعـهُ أذكـرهُ نِعْـمَـتى — ومـا برحتُ اليـومَ مِنْ مَوْضِـعِى

فـقـالَ لى تَهْـزأ بى سَيِّـدى — وأنـتَ تَدْرِى أنَّـنِى مُـدَّعِـى

بالحـالِ لا بالقـولِ فى حُـبِّكُم — لأنَّـنِى أخْـشَى إذا ادَّعَـى

يقـولُ لى قلْ مَـا الدليـلُ عَلى — صـحَّـةِ مـا أنتَ به تَـدَّعِى

لا تطـلبِ البـرهان من نـاطقٍ — إلا إذا سـمـعـتَـه يَـدَّعِى

وكـانَ منْ كـانَ وأنـتَ الذى — تفـهمُ قـولى فـيـهِ لا تَـجْـزَعِ

﴿وقال أيضاً﴾

الحـمـدُ للـهِ الذى أفْـضَـلا — بمـا بهِ أنـعـمَ فى خَـلْـقِـهِ

فـالجـودُ والأفْـضَـالُ مـنهُ عَلَى — عـبـادهِ العـاصِين منْ خَـلْقِـهِ

يعلـمـهُ العـالمُ من أوجـهٍ — مـعـرفـة العـارفِ من أفْـقَـه

وكلُّ مـن يهـبط فى عـلمـه — بهِ يـرى ذلكَ مـنْ حَـقِّـهِ

وجـامعُ الكـلِّ حَـضِـيضٌ به — أدرجـه الرحـمن فى حـقِّـهِ

فكلُّ مـا يجـرى منْ أحكامِـهِ — فـإنهـا تجـرى على وفـقـهِ

قـدْ جـمعَ العـالمَ فى حشـرهِ — ليـسألَ الصادقُ عنْ صـدقـهِ

فـــإنْ أعــــادوهُ عليـــهِ فـــــهمْ ممنْ يرى الإشـــراقَ منْ شـرقـــهِ
أو ادَّعـــوا فـــيـــه لأعـــيـــانهم والمدعـى يصـــدقُ فـى نطقـــهِ
وكلـهم يصــــدقُ فـى حـــاله وكـلهـم يأكـل مـن رزقِـــــهِ
مـــــا حـــاز منـهم أحـــدٌ كـله بلْ كـلهم منه على شـــقِّـــهِ
الجنسُ فى البـــدرِ وفى شـمسـهِ ونجـــمـــهُ والفـــصلُ فى برقـــهِ
مـا يعـرفُ الحـقَّ سـوى شـارب يراهُ فى الـصـــفـــوِ وفى رتقـــهِ
يعـرفـــه العـالم فى حـــشـرهم يومَ وقـــوفِ الناسِ من رفـــقـــهِ
يتـــبـــدرُ الناسُ إلى حــوضـــهِ وبعــــضـــهم يرويه مـن ودْقِـــهِ
هذى عـلومٌ إن تنـاولتــــهـــا كنتَ بهـــا الواحـــدَ فى خلقـــهِ
فــــقلْ لمنْ يـخلقُ أنفـــاســـهُ الخلقُ قـــبلَ الخلقِ فى خـلقـــهِ

﴿وقال أيضاً﴾

إذا كـان ما للعـقلِ تأتى به النملُ ومـا لعـبـاد اللـه تأخـذه النحلُ
فأين الذى قد قيل فى الناس إنهم لهمْ شرقٌ يعنو لهُ المجـدُ والفضلُ
ومــــا هوَ إلا بالـعلومِ وعنـدهُمْ من العلمِ ما قد قلتـه فاستوى الكلُ
فـمـا لعـبادِ اللهِ جـورٌ مـحـقـقٌ ولكنه الإنسـان شـيـمتـه العـدلُ
فـمـا ثمَّ إلا الميـلُ مـا ثمَّ غـيـرهُ ولوْ لمْ يكنْ مـيلٌ لما كونَ الأصلُ
فروعـا له فى كلِّ شرقٍ ومـغربٍ وزالَ الذى قدْ قيلَ فـيهِ هوَ الظلُّ

فـإن خصـه الرحمن منه بصـورةٍ ... إلهـيـة فى الكـون قـيل هى المثلُ
وإنْ كـان مثـلاً لا يكون مُمـاثلا ... لهُ فلـهُ المنعُ المحـقـقُ والبـذلُ
وتخـدمه الأرواح للـعلمِ سُجَّـدا ... وتأتى إليـه من مـهـيـمنه الرسلُ
وينجـده التـأييد مـعنى وصـورةً ... إذا كـان منعـوتًا وتتـضحُ السـبلُ

﴿وقال أيضًا عزيزية﴾

خلقُ السـمـوات والأرضَ التى ... منهـا أنا أكـبـر من خـلقِى
لمـن درى أنى مـنـهـا أنـا ... كـمـا أنا أيـضًـا من الخـلقِ
بوجـهى الخـاص الذى لاح لى ... وحـزتهُ فى قـدمِ الصـدقِ
حـزتُ به بـلْ كلُّ مـنْ نالـهُ ... وجـودَ ذوقٍ قَـصَبَ الـسـبقِ
أشـبـه من أوجـدنى جـوده ... فى النـعت والأسـمـاء والخلقِ
سـبـحـان من يعلـم أنى به ... فى بيـضـة التكويـن فى حقِّ
أشـاهد الإنـشـاء فىّ كـمـا ... شـاهده المذكـور فى النـطق
لم يتـغـيـر صـفـو مـشـروبه ... للأمـد الأبعـد بالـرَّتْقِ
شـاهد لحـمًـا قـبله أعظُمـا ... تربطُ بـالأعـصـابِ والعـرقِ
وهوَ الـذى مـرَّ على قـريةٍ ... مـعـتـرفـا بالملـك والمرقِ
خـاوية لـيس بهـا عـامـر ... قـدْ غـابَ بالـرتقِ عنْ الفـتقِ
شكـرًا لمنْ أنشـأهُ بعـدَمـا ... أمـاتهُ بالقـصـدِ لا الـوفقِ

﴿وقال أيضاً﴾

قـدْ يـخلقُ المخلوقُ فى الخـــالقِ ... مـــا يخلق الخـــالـقُ فى خلقـــهِ

وينسـب الأمـــر إليـــه كـــمـــا ... ينســبـه الـعـبـــد إلى حـقِّـــهِ

﴿وقال أيضاً﴾

الناسُ أولادُ حـــــوّاءَ ســـواى أنَا ... فـــــإنَّـنى ولد لـلوالدِ الـذَّكَـــرِ

إن الأنوثة من نعـتِ الرجـال لذا ... تراهمُ يحملون الـعلم فى الصُّوَرِ

فـيصـبحـونَ حـبالى حـاملين بهِ ... حملَ السـحابِ لما فيـها من المطرِ

يحى بهِ كـلُّ مـيتٍ لا حـــراكَ بهِ ... فـيشكر الحـىّ شكرَ الزَّهر للزهرِ

فالزهرُ أسـماؤهُ الحسنى بجملتـها ... والزهرُ ما أعطتِ الأسماءُ منْ أثرِ

يا رحمةَ اللهِ قدْ حـزتِ الوجودَ فما ... فى الكونِ مقلةُ عـينٍ تخلو منْ نظرِ

بهِ يرونَ وجـودَ الكون فـيـه كمـا ... يرون فيـه وجودَ الحقِّ فى البـشرِ

مـا بين ضمٍّ وفتحٍ قـد بدتْ عبـر ... لكلِّ قلبٍ سلـيمٍ فـيه مـعـتـبـرِ

تربى عـلى قـــوةِ الأرواحِ قـــوتُهُ ... فليسَ يحـرقـهُ الإدراكُ بالبـصـرِ

لأنه سـبحـات الوجـه فاعـتبـروا ... فى النورِ والظلمةِ العمـياءِ والغيرِ

هما الحـجابُ لها ولم يقم بهـما ... إحراقـها لا ولا ما فيـه من ضررِ

والحجب ليس سـوانا وهو خالقنا ... ونحنُ مجـلىً لهُ بالسمعِ والبـصرِ

كـذا رأينـاهُ ذوقًـا فى مـشـــاربنا ... كمـا رويناه فيـما صح من خـبرِ

هوَ القويُّ حينَ ما تعطى جوارِحنا من النتائج فانظر فيه وادّكرِ
لولاهُ ما نظرتْ عينٌ ولا سمعتْ أذن لما قد تلاه الحقُّ فى السُّوَرِ
الله يخلقنا والله يخلفنا على الدوام كما قد جاء فى الزبرِ
وما له خبرٌ فينا يخبرنا سوى الذى نحن فيه اليوم من سيرِ
وما تكونَ عنهُ منْ تقابلنا فى جنةِ الخلد والمأوى على سرُرُ
ومنْ يكونُ على ضدِّ النعيمِ بما يلقاهُ منْ ألمِ الضراء فى سقرِ
ليسَ التعجبُ منْ هذا وما عجبى إلا بأنى مع الأنفاس فى سفرِ
دنيا وآخرةٌ فانظرْ ترى عجبًا فى حالِنا واعتبرهُ صنعَ مقتدرِ
والجوهر الأصل باقٍ لا زوال له هوَ المحلّ لما بيديهِ منْ صورِ
الله جلى لنا ما قد جلاه لنا على صفاءٍ بلا شَوْبٍ ولا كَدَرِ
لذا أرى زمرًا تأتى على زُمَرٍ كما أتتْ فى كتاب اللهِ فى الزُّمُرِ
إنَّ المياه على مقدار أعينها فمنه منهمرٌ وغير منهمِرِ
إنَّ السحابَ بخارُ الأرضِ أنشأهُ ماء يحلله للنجمِ والشجرِ
شيئًا فشيئًا ويبقى بعضها لندىً أو تستحيل هواء فى ذرى الأكرِ
لذا رأيت خروج الودْق من خللِ فيهِ ليبرزَ ما فى الروضِ من ثمرِ

﴿وقال أيضاً﴾

ما أحسن العلمَ لمن يعمل وأقبحَ الجهلَ بمن يجهلُ

إنَّ الإلـهَ الحقَّ فـى فــــعلـهِ	قـد يمـهلُ العـبدَ ولا يـهـملُ
ويحـرصُ العـبدُ على فـعل مـا	ينفَـعُـهُ وقـتًـا وقـدْ يـكسلُ
لأنهُ يـنصـــرُ فى فــــعـلهِ	ثم يـرى فى تركـه يـخـذلُ
يا ليتَ شـعرى هلْ أرى منْ فـتىً	يبـحـثُ عـمَّـا فـيـهِ أو يسـألُ
حـــتـى يرى من نفـسـه ربه	سبـحـانه يفـعلُ مـا يفـعلُ
ويبـصـر الأكـوان هل هى هو	لمثلِ هـذا إخـوتى فـاعـملُوا
لأنـه المطـلوب منكـم فــلا	تَفَـرطوا فِـيـهِ ولا تُـهْـمِلُوا
سـألتُ قـومًـا أهملوا أمـرنا	فـقـالَ لى خـاذلهمْ أمـهلُوا
لا يُنسَبُ الـفـعل لـغيـرِ الذى	قـيلَ لـكمْ فـإنـهُ أجـملُ
كـمـا أتى فـيـمن نـسى آية	بـأنه نـسـى ولا يعــقـلُ
إذا دنـتْ للـوقتِ ريحـانـةٌ	يشـمـهـا الأمـثلُ فـالمثلُ
ولا يحصلُ الشـخصُ على حكمهِ	فـيـه به علمـا وقـد يحـصلُ
مـثلـى فـإنى عـالـمٌ أمـرَهُ	فىّ وفى غـيـرى فـلا أجـهلُ
منْ صـانه يجـهـلُ أسـرارهُ	فـلا تصـونـوهُ فـمـا يجـهلُ
الأمـرُ مكشـوفٌ لعـينِ الذى	يعـرفـهُ لكـنهُ يسـدلُ
عليـهِ سـترَ الصـورِ منْ غـيـرةٍ	فـلا تقـلْ بأنَّهُ يـبـخلُ
حـاشـاهمُ مـنْ بخلٍ ينـسبُ	إليـهمُ فـإنـهم كُـمَّلُ
آثارُهمْ فى الـكونِ مـحـجـوبةٌ	عنهـم وهذا حـدُّه الفـيْـصَلَ

مــا بينهمْ وبـينَ مـعــبــودِهمْ   يدرى بـه الأعلـم والأفـــضلُ
فـــهمْ كـمـنْ تظهــرُ أفـعــالهُ   بخـــاصـــةٍ منـهُ ولا يعـــقلُ

﴿وقال أيضاً﴾

إذا تلوتَ كــتــابَ اللـهِ أنتَ بهِ   تالٍ ولسـتَ لقــولِ اللهِ بالتــالِى
القــولُ أَنْزَهُ أنْ يُتلى فـيـقـدم من   يتلوهُ فـانظرْ إلى أعـلامِ إقـبـالِى
يخلى ويملى الذى يتلى وليس له   بذا المقـــامِ فــلا تخطرهُ بالبـــالِ
إنْ كـانَ أينَ أنا فـقــدْ يشـبـهــهُ   بما بذاتى مـنْ أعـراضٍ وأحــوالِ
وهوَ الصحيحُ الذى مـا فيهِ مغلطةٌ   بالماضِ والـزمنِ الآتى وبالحـــالِ
لذا يسـمى بـدهرٍ لا انقـضـاءَ لهُ   يفنى ولـيس بفـانٍ إذ هو الوالِى
إنى رســولٌ كــريمٌ لا يُنَهْنِـهُنى   حبُّ الرسالةِ فـالوالى من ارسالِى
ولستُ أعنى بها ما الشـرعُ محبره   فـبابهـا مطلقٌ شرعًـا عن أمثـالِى
القــولُ طوع يمـيـنى إذ تصـرِّفـه   فى كلِّ نثـر وأشـــعـارٍ وأمـثـالِ

﴿وقال أيضاً﴾

إنمـا الـلـهُ إلـهٌ واحـــــــــدٌ   مـالهُ حكَمَـانِ فــانهضْ لا تقفْ
وله حُكْمَـــانِ فـاعـــمل بهـــمـا   عن شـهـودٍ لهـمـا لا تنصـرفْ
ليـسَ للأقـــوامِ رأىٌ فـى الذى   شـربـوا منهُ قليـــلاً فـاغـــتـرفْ

إنما الأمـــــر مــــــــذاقٌ كلـه ... فـــإذا مـا ذقــتـــه لا تنحـــرفْ

﴿وقال أيضًا﴾

أقـول وقـد بانت شــــواهد علَّتِى ... بأنِّى مــــحـبـوبٌ لموجــدِ علَّتِى

فمن هـو نَفْسِى أو مـغايرُ عيـنها ... ومن هو أجزائى ومن هو جملتِى

إذا عـاينتْ عينى سـبيلَ وجـودها ... بفكرى وذاتا لم تكن غيـر نشأتِى

أقـول لها من أنت قـالت مكلمى ... فقلت أرى ثنتـين من خلف كلتِى

فـقـالتْ وكـثرْ مـا تشـاءُ فـإننى ... وإنْ كنتُ فـدًا أنتمُ أصلُ كثـرتِى

فيا منْ هوَ المقـصودُ فى كلِّ وجهةٍ ... بوجهى إذا ما كنت لى عين قبلتِى

فمـا عاينتْ عـيناى فردًا مـقسـما ... إلى عـــــددٍ إلا الـذى هوَ علَّـتِى

هوَ الكلّ والأجـزاءُ عينُ وجـودهِ ... فيـا مثـبتى بى لست غيـر مثـبتِى

لقدْ حـرتُ فى أمرٍ تقـسَّمَ واحدًا ... فأين وجودى قل لى أم أينَ وحدتِى

فيا مَنْ يرى عقدى وحيرةَ خاطرى ... ويسرع بالتقـريب فى حَلِّ عقدتِى

علمتُ بأنى عـبـده وهو سـيـدى ... وسلم لى علمى وأنـشأ حـيـرتِى

وأعلم أنـى حــائر وهــو فـــارغ ... كما هو فى شغل فيا حسرتى الَّتِى

تباعـدنى فى عين قربى شـهودها ... فما حسن أفعالى وما سوء فعلتِى

لقد علمتْ نفـسى وجودًا محقـقًا ... وغابتْ بهِ عنى فلـمْ تدرِ حكمتِى

﴿وقال أيضًا﴾

إنى نظرتُ إلى نفسى بعينِ رضىً | فقهقهتُ عجبًا منِّى لجهلِى بهَا
وأقبلتْ نحوَ عقلى كىْ تعاتِبَهُ | أعاقلا نفسه يرضى بمذهبها
كيفَ الرضى وهو ذو مكرٍ وذو خدعٍ | دليلنا ما بدَا لِى من تَعَجُّبِهَا

﴿وقال أيضًا﴾

أصرِّفه فى كلِّ وقتٍ تصرُّفًا | لأنى سمعتُ الله قال سنفرغُ
وما ثَمَّ إلا قائمٌ متحيرٌ | بإعراضهِ فانظرْ لعلكَ تبلغُ
إلى حدهِ الأقصى فيأتى دليلكمْ | إلى شبهةٍ جاءته بالقذف تدمغُ
فقلْ لإمامِ الوقتِ أنتَ مقلدٌ | وقلْ للرعايا إننى سأبلغُ
إليه الذى أنتم عليه وإنه | عليم بكم لكنه قال بلِّغُوا
فيا منْ هو الملآنُ بالكونِ كله | ويا من هوَ الخالى الذى يتفرَّغُ
لقدْ حارَ قولى فيهِ إذْ حارَ قولهُ | إلى خلقه إنى إليكم سنفرغُ
فمنْ منْ إلى منْ أو إلى أى حالةٍ | يكونُ تجليه إذا قالَ فرغُوا
ألا إننى منهُ لأرزاقِ خلقهِ | وآجالهم والخلقُ والخلقُ أفرغُ

﴿وقال أيضًا﴾

إنى رأيتُ وجودًا لا يقيدُهُ | نعتٌ ولا هو محدود فينحصرُ

فى الحدِّ وهو الذى فى الحدِّ يعرفُهُ ... وما له فى الذى يدرى به خبرُ

تنزهتْ ذاتُ منْ قدْ حارَ طالبُها ... سبحانه جل أنْ تحظى به الفِكَرُ

أقامنى مثلاً مثلاً ونزهنى ... عنْ كلِّ شىءٍ فلمْ يظفرْ بىَ النظرُ

هو الوجودُ الذى فى كونه سندٌ ... لخلقه ولهُ سمعٌ هوَ البَصَرُ

إنِّى لعبد لمن كانت هويتُهُ ... عينى وما أنا عينُ الحقِّ فاعتَبِرُوا

لو كنْتُه لم أكن بالعجز متَّصفًا ... عنْ كونِ ما تظهرُ الأسبابُ والقدَرُ

ولم يكن حاكمًا على تصرِّفِنَا ... سرٌّ يقال له فى علمنا القدَرُ

إنى عُبيدٌ فقيرٌ فى تقلبه ... هذى نعوتى وأما اسمى هو البشَرُ

ووالدى آدمُ والكحلُّ متصفٌ ... بعجزِهِ للذى إليهِ يفتَقِرُ

فغايتى الفقرُ والتَّنْزِيهُ غايتهُ ... عنْ غايتى والغنى عنِّى هوَ الوزَرُ

أعطيتُه الوصفَ منْ ذاتى فلى شرفٌ ... بهِ تنزلتِ الآياتُ والسُّوَرُ

لولاىَ ما ظهرتْ فى الصورِ نفختهُ ... فالروحُ منْ نفسِ الرحمنِ فادَّكِرُوا

هذا الذى قلتهُ الوحْىُ يعضِّدُنِ ... فيه فقد جاءكم ما فيه مُعْتَبَرُ

لوْ كنتُ ذا بصرٍ لكنتُ مُعتبرًا ... كذا يقولُ الإلهُ الحقُّ فافْتَكِرُوا

﴿وقال أيضاً﴾

الأمرُ أسماءٌ لهُ ونعوتُ ... وصفاتُ معنى ما لهنَّ ثُبُوتُ

ظهرتْ بآثارٍ لها فى خلقهِ ... وعلى التَّحقيقِ أنَّهُنَّ نُعوتُ

وردتْ بهـــا الآيـاتُ فى تنزيـلهِ فنعـــيشُ فـى وقت بهـــا ونموتُ

حــتى يقــولَ بأنَّـهُ عـــينُ الأنا ويقـولُ وقـتـا ليسنـى فيـفـوتُ

إنى لأطلـبُ رزقـــهُ فى أرضِـــه لَمَّا علـمتُ بأنه ســـيـفُـــوتُ

ولذلك اسـم الحقِّ بينِ عــبـــاده مـــعطٍ ووهّابُ اتـى ومـــقـــيتُ

واللهُ مــــــا نطـقتْ بـه آياتُـه إلا بجـــمعٍ مـــا لـهُ تشـتـــيتُ

مـا أثبتَ التـشريكَ فى أسـمـائه إلا جـهـــولٌ بالأمـورِ مـــقـيتُ

جـلَّ الإلـهُ الحقُّ عـنْ إدراكِ مـنْ قـــامَ الدليـلُ بأنهُ مـــبـــهــوتُ

فـتـراه مشـغـولاً به عن نفـسـه وهو الذى هـو عندهم ممـقـــوتُ

ومنِ ادعـى أنَّ الإلهَ جـليــــــهُ بالذكـر فـهـو لديهم المبـخـوتُ

مـا عايـنتْ عينـى عقـائد خلقِـه إلا رأيـتُ بأنـه منحـــــــوتُ

واللهُ قـــدْ ذمَّ الذى نحـتَ الذى هو عـــابدٌ إياهُ وهو صـــمـــوتُ

عـبـدوا عـقـولهمُ فلم يظفـر به إلا عـــبيـــدٌ مـا لـهُ تثبـيـتُ

فـــأنا به المنعــوتُ بين عـبـــاده وهو الذى بـعـــبــاده منعـــوتُ

لمْ أنـسَ يومًـــا إذْ تكلمَ نـاطقٌ فى مـجلسٍ حـاوٍ ونحنُ سكوتُ

فـأفـادَنـا مـا لمْ يكنْ نعـتًـا لنا فلذاكَ أصبـحنا ونحنُ خـفـوتُ

نُضـحى ونُمسى عندنا مـا عندنا ويقـــيلُ فــينـا ســرُّه ويبـــيتُ

فـــإذا نقـولُ نقـولُ منهُ بقـــوله وإذا اسـكتـنا يـعـلمُ المسكـوتُ

عنهُ بأنَّا قـدْ عــجـزنا وانقـضتْ آيـاتُهُ وأنـابـهُ الكـبـــــريـتُ

ولنا به الـذكـرُ الجـمـيلُ ونورُه ولنا بـه العليـاءُ ثم الصـيتُ

وسكْنَتِى فى القلبِ عندَ ذوى الحجى لمْ يحـوهـا صـورٌ ولا تابوتُ

قـد أخليتُ لـقـدومِ من يدرى به لَمَّـا اتانـى أربـعٌ وبيـوتُ

لما تحـقَّـقَ وصلُـه قلـنا لمـن لمْ يعـرفِ الأمـرَ هوَ اللاهوتُ

وبهِ إذا اتحـدتْ حـقـيـقـةُ ذاتهِ وبدت علـيـه تدرَّع النـاسـوتُ

لَمَّا تغـيـرَ بالعطاسِ جـمـالُهُ شـرعًا له التـحمـيدُ والتـشميتُ

منْ أرضِ بابلَ قـد أتـاكَ مـعلمًـا سـحـرًا بسحـرِ كـلامـهَ هاروتُ

إنَّ الدليلَ علـى مـقـامِ عـبـيـدهِ لنجـيـهِ طولُ المدى والحـوتُ

وطلبت منه الحـدَّ فـيه فـقـال لى مـا فـيـهِ تحـديدٌ ولا توقـيتُ

﴿وقال أيضًا﴾

للهِ قـومٌ بقـعـر البـحـرِ منزلُهم فمنْ يراهمْ يقولُ الشخصُ مكبوتُ

وإنَّـهُ فى نـعـيمٍ لا يـزايلـهْ لأنه عـابـدٌ بالأصل مـسـبُـوتُ

رأهُ شـيخٌ صـدوقٌ منْ مـشـايخِنَا فـقـال مـسكنكُمْ فـقـالَ تَكْرِيتُ

﴿وقال أيضًا﴾

إنّ للهِ عـبـادًا كـلَّمـا ذكـرُوا اللهَ فَـنُوا فـى ذكْـرِهِ

وإلى هـذا فَـهُـمْ مـا أمـنوا حـالَ ذكـراهمْ بهِ من مـكْرِهِ

يبتــــغـونَ الفـضلَ منـهُ عندمـا ... شـكـروا المـنـعِـمَ حـقَّ شـكـرِهِ
زهدَ الـعـــارفُ منهمْ فـى الذى ... أثبـتَ العــــــقلُ لـه من فـكرِهِ
مـنْ إلهٍ قـــــــرَ الكـشفَ لـهُ ... إنه المـعـــبـودُ حـــالُ نـكرِهِ
يظهــر الحـقُّ له فى صـــحــوه ... عــين مـــا أثبــتــه فــى سكرِهِ

﴿وقال أيضاً﴾

إنَّ ســـــرِّى هوَ روحُ كـلِّ شئْ ... وهوَ الـظاهرُ فى مـــيِّـتٍ وَحَىْ
فـــإذا قـــامَ بـحىٍّ فـــأبٌ ... وإذا قــــام بميـتٍ فـــــبنـىْ
إنـــه جَـلَّ عـــن إدراك الـــذى ... قـــال فـــيـــه إنه فـى كلِّ شَىْ
إنما هوَ عــينهُ فــاعــتــبـروا ... تجـدوا مـا قلـت فى نشـر وطَىْ
مـــا تغـــالى كـــونهُ عنْ حـــالةٍ ... ظهـــرتْ فى مـــدٍّ ظـلٍّ ثمَّ فِىْ
إنما الأمـــر الذى يســـعـــدُكم ... أو نقيـض السعد فـى رشد وغىْ
إنمـا خصّ بـقـــــومٍ للـذى ... كـانَ فـيـهم منْ ذكـاءٍ ثمَّ عىْ
قــد أكلناه طـبـيـخًـا ولقــد ... جـــاءنى لحـــمًـا طريًـا وهوَ نىْ
فــــأبينـا أكلـهُ حـــينَ بدتْ ... صـورةُ الإيمـان فـيـه من قـصىْ
يا أخـى فــاعـلم الأمـــرَ الذى ... قُلـتُـــه فـــيـــه بحقٍّ يـا أُخَىْ
فــخـــذوهُ أســدًا أو حــمــلاً ... واتركـــوا السنبلَ يرعـــاه الجـدىْ
إنما الأمــــــر عظيـمٌ قـــدرُه ... جلّ عنـدى حـــينَ جـــلاهُ إلىْ

قلتُ ضمَّنى ذاتى وأنا ... أوصلُ المقدارَ منى وعلى
قالَ لا يمكنُ إلا هكذا ... هو فعلُ الشيخِ لا فعلُ صبىْ
لوْ أرادَ الأمرَ أنْ يخرجهُ ... لمْ يكنْ هذا منْ يدَىْ
لىَ منهُ الشربُ ما دامَ وما ... دمتُ ما عندى لشربى منه رىْ
لستُ أدرى إننى عبد هوى ... إذْ تجلى لى فى شكلٍ رشىْ
فتغزلت وما أضمره ... وبدا يَغْشَى سناهُ ناظرىْ

﴿وقال أيضًا﴾

إذا ما ذكرتُ اللهَ بالذكرِ نفسهِ ... فما هوَ مذكورٌ ولا أنا ذاكرُ
وذاكَ أتمُّ الذِّكْرِ فى كلِّ ذاكرٍ ... إذا أنت لم تعلَمْهُ ما أنت خابرُ
فكن عينَ ذكرِ الذكرِ لا تك ذاكرًا ... بوجهٍ سوى هذا فإنك ظاهرُ
وكنْ واحدًا منْ كلِّ وجهٍ تفزْ به ... وتجلهكَ الأعدادُ واللثرُ حاضرُ
فمنْ شاءَ فليثبتْ ومنْ شاءَ فليزلْ ... فهذا الذى ساقتْ إليهِ المقادرُ
إذا أنت لم تدر الذى أنا قائلٌ ... بهِ فى جنابِ الحقِّ ما أنتَ تاجرُ
لو أنك بالنعتِ الذى قلته تكن ... عليهِ لَمَّا دارتْ عليكَ الدوائرُ
فبرُّك لم ينفق ومالُكَ راسخٌ ... وريحُكَ لمْ يحصلْ وحدكَ غامرِ
خليلى ما للريح يأتى جَنُوبُها ... قبولا ويقصينى الحدودُ العواثِرِ
وإنِّى من أهلِ البيتِ ما أنا بائنٌ ... ولا أنا حدَّادٌ ولا أنا زافِرِ

فلستُ أبالـى من ريـاحٍ تقلبت على مـجـاريها فـإنى آمـرُ
عن الأمـر بالأمر الذى لا بضـدِّه سهـام الأعادى يومَ تُبلى السرائرُ
تباركَ منْ شـخصٍ عنِ الحقِّ ثابتٍ ومـا لكَ من أيدٍ ومـا لكَ ناصـرُ
وما علمتْ منكَ الأقاربُ والعدى إذا كنتَ صـبـاراً بمن أنتَ صـابرُ
يقـولون إن الصـدعَ للرجعِ لازمٌ وقـد صدعـوا لكنهم لم يشابرُوا
على ما لنورِ الشـمس فى ذاكَ من جدى ولولاهُ ما جاءَتْكَ سـحبٌ مواطرُ

﴿وقال أيضاً﴾

تبـارك اللهُ ما فى اليـأس من باسٍ والناسُ ليس لهم فـضلٌ على الناسِ
منْ حـيثُ مـا هـوَ ناسٍ إنَّهُ ولدٌ لآدمَ وهو المـنْعُـوتُ بالنَّاسِى
معرِّفٌ بالذى فى الـطبع من صفة وأين نور الهُـدَى من نورِ نبـراسِ
لقـدْ أتانى كـلامٌ كلُّهُ حـكمٌ منى بصـورةِ إلهـامٍ ووسـواسِ
فقـالَ لى وهوَ صدقٌ فـى مقالـتهِ اشربْ بكاسى وإنى الماءُ فى الكاسِ
كمـا جُعلتْ لموسى النارُ حاجـبةٌ حـتى أكلمـهُ من ذاتِ مـقـبـاسِ
ليـعلمِ العبـدُ أنى كلُّ منْ وقـعتْ عـيـنٌ عليـهِ مـنْ أنواعٍ وأجناسِ
فليس فى الكون غيرى والخلائقُ لى فلى الغنـى ولهم فـقـرٌ بإفـلاسِ
إنى ظهـرتُ بـأديانٍ مـفـصَّلةٍ على لسـانِ فـقـيه بى وشـمـاسِ
وقمت فـى كلِّ حال توصـفون به وصرتُ أظهر فى العارى وفى الكاسِى

ومـــا تجـلَّيتَ إلا لى فـــأدركنى عينى وأسمعتْ سمعِى كلَّ وسواسِ

ومـــا تحليتُ إلا بى لاظهـــر لى فقـمتُ لى أدبًا حبًـا على الراسِ

لَمَّا ابتـغانى الذى يـدرى معـاملتى حجـبتـهُ معلمًا بالشـامخِ الراسِى

ولم يكن غير عـينى الشامخِ الراسِى فلمْ تـقعُ وحـــشـــةٌ إلا بـإيناسِ

تنازعتْ فىّ أضـــدادٌ فـقلتُ لهـا إنَّ الحـياةَ لفى طاعـون عمـواسِ

أحـياهم الله فى مـوت مشـاهدة ما فى الحياة التى فى الموت من باسِ

﴿وقال أيضاً﴾

يعـرج العـبد لاكـتـسـابِ علومٍ ولتـبلـيـغـهـا يرى فـى انتكاسِ

ثمَّ عـــينُ النزولِ أيضًـــا عـروجٌ لشـهـودٍ مـا فـيـه من التـبـاس

ثم نَبْـــغِى بزُهْـدنا مـــا زهـدْنا عينُ زهدى فى ذاكَ عينُ التمَاسِى

هوَ لى بالـنهـارِ عـينُ مـــعـاشى وهوَ فى الـليلِ بالظـلامِ لبـــاسِى

جـــعلَ النومَ لى ســبـاتًا لأمـــرٍ يجـعـل الحقَّ بالشـهـــودِ نواسِى

فـــأراهُ فى النومِ حـــقًـــا يقـــينًا رؤيةً فـى دارِكَ الإحـــســـــاسِ

مـثلُ مـا يشـربُ الـنديمُ شَـرْبنَا باركَ اللهُ ســيِّـدى فى نعـــاسى

مـذ بنانى الإله قـصـرًا مـشـيّـدًا ذا ســـقــوفٍ عليَّـــةٍ وأســـاسِ

علمـتْ نفـــسى أنَّ سكـنَاهُ ذاتى ولريمِ الـفـــلاةِ عـــينُ الـكناسِ

﴿وقال أيضًا﴾

عفـا رسمُ من أهوى وليس سوانَا	وكـنَّا لـهُ عـندَ الـنـزولِ مـكَانَـا

لقـدْ ضـاقَ عنهُ أرضهُ وسـمـاؤهُ	وبالسَّـعـة المثلـى لديه حـبَـانَا

ومـا وسعَ الرحـمنَ إلا وجـودُنا	كـأنا عـلى العـرشِ العظيـمِ بنَانَا

ولما وسـعنا الحـقُّ جل جـلالُه	نعـمنا به علـمـا به وعِـيَـانَا

ولم نتـخذ غـير المهـيمن سـاكنا	ولمْ يتـخـذْ بيـتًـا يكونُ سـوَانَا

لقـد جـاد لى ربى بكل فـضـيلةٍ	وآتـانِ منـه بسـطةً وبـيَـانَـا

إذا نحنُ جـئناهُ على كلِّ حـالةٍ	بضـعـف الذى جئنا إليـه أتَانَا

إذا نحـنُ أثنيـنا عليـه بذاتِـنَا	وكـان لنا منـك الشـهـود أمَـانَا

على كلِّ مـا قلناهُ فيكَ وعـصمـةٌ	فـمـا ثمَّ عـينٌ فى الوجـودِ ترَانَا

من طهَّـرَهُ اللهُ لمْ يـلحقْ بهِ دنسٌ	وهو المقـدَّسُ لا بل عينه القـدسُ

كـأهل بيت رسـولِ الله سـيِّدنا	وهو الإمام الكريم السيِّدُ النَّدَسُ(١)

---

(١) النَّدَسُ: أى الذى يخـالط الناس دون أن يثقل عليـهم وجمعـها ندسـون، وقيل الندس: الفطنة والكيْس (راجع المعجم الوسيط).

ويقصد ابن عربى رحمه الله أن النبى ﷺ كان بدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمره الله سبحـانه وتعالى فى قوله عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل - آية ١٢٥].

جاء البشير بما الآذانُ قد سَمِعَتْ ألقى قليلا وجُلَّ القومِ قد نعسوا

ناموا عن الحقِّ لا بل عن نفوسهمُ عندَ المواهبِ والأقوامُ ما بخسُوا

لما تحقق أنَّ النومَ حاكمُهُمْ من أجل ذا جُعِلَ الحفاظُ والحرس

من أجل ذا كانتِ البشرى وكان لهم من أجل نومِهِمُ حِفْظًا لهم مسُّ

فعندما عُصِمُوا منْ كلِّ حادثةٍ تصيبُ أمثالهمْ قاموا وما جلسُوا

بحقِّ سيِّدهم فى كلِّ آونةٍ على الصفاءِ وما خانُوا وما لبسُوا

على نفوسهمُ علمًا بحالِهمُ لذاكَ عنْ مشهدِ التحقيقِ ما اختلسُوا

إنَّ الوجودَ الذى قدْ عزَّ مطلبهُ فيه وفى مثله الأرواحُ تفترسُ

أغارتِ الخيلُ ليلاً فى عساكرهمْ فقيلَ قدْ قتلوا إذ قيلَ كبسُوا

لو أنهم علموا الأمر الذى جَهِلُوا على رؤوسهمُ واللهِ ما نكسُوا

أقولُ قولاً وما فى القولِ منْ حرجٍ ينفى عنِ النفسِ ما إغمَّها النفسُ

ما نال موسى بما يبغيه من قبس إلا الذى ناله من أجله القبسُ

لو أنَّ أهلَ وجودِ الجودِ نالهمُ ما نال موسى من الرحمن ما بئسُوا

لكنهم بئسوا من ذاك واعتمدوا على ظنونهمُ بالجود إذ يئسوُا

إنى رأيتُ فتىً أعطى الفتوحَ لهُ بأرضِ أندلس الماءَ والبَلَسُ

ولم يكن عنده نطق يقوم به وقد تحكم فيه الصمتُ والخرسُ

كمثلِ مريمَ قدْ كانتْ سجيَّتُهُ فى رزقهِ فهوَ فى الراحاتِ يلتمسُ

وذاكَ من أعجبِ الأحوالِ إنَّ لهُ حالَ الغِنَى وهوَ بينَ الناسِ مبتئسُ

أحـوالُ شخصٍ لأمـرِ اللهِ ممتـثلٌ ... للحكمِ مـقـتنصٌ للنورِ مـقتـبسُ
إنَّ الإمـامَ الذى تجرى الأمـورُ بهِ ... فى كلِّ نهرٍ من الأحـوالِ ينغمسُ
والسـرُّ يـحكمـه لا بل يحـكمـه ... فى نفسـه وبه الساداتُ قـد أنسوا
فـما لهم قـدم فى غيـرِ حضـرته ... ومــا لجـانبــه منهم فــمندرسُ
هم الحيارى السُّكَـارى فى محارتهم ... وما لهمْ فى جنـابِ الحقِّ ملتمسُ
الحـالُ أفناهمُ عنهمْ ومـا عـرفـوا ... من هم لذلك قيل اليوم قد نفسوا
لو أنهم مـزقـوا مـنهم ومـا لهمُ ... لديهِ منْ كلِّ خيرٍ فـيهِ ما انتكسُوا
الذاتُ تُبْهِمُ مـا الأسماءُ توضِّـحُهُ ... والقومُ ما قرأوا عـلمًا وما درسوا
كانت عليـهم من أثوابِ العُلَى حُلَلٌ ... فبـئسَ ما خلعـوا ونِعْمَ ما لبـسوا
دخلتُ جـنةَ عــدنٍ كى أرى أثرا ... فقيلَ ليسَ جناهمْ غيـرَ ما غرسُوا

﴿وقال أيضًا﴾

إنى رأيتُ وجــودًا لا أسـمــيــهِ ... فكلُّ شىء تـراه فـهــو يحــويهِ
له الإحـاطةُ بالأشـياء أجـمَـعُهَـا ... فكلُّ عــينٍ تراهـا أنهـا فـيــهِ
حصلتُ منْ فكرتى فيهِ على تعبٍ ... ولمْ أجـدْ حـجـةً تبـدو فـأبديهِ
حصلتُ منهُ على عـمياءَ مـجهلةٍ ... بهـماء خـاليـةٍ فى مهـمـه التِّيـهِ
أرنو إليـه ولا أدريه فــانبـهـمت ... علىَّ حــالتــهُ وكـلهــا هوَ هِى
به خلوتُ ومـــا بالدارِ من أحــد ... إذ الوجـودُ الذى ما زلـتُ أبغيـهِ

إنى أنا وصفُـهُ النفسىُّ فـاعتـبروا — إن زلْت زال بهــذا النـعت أدريهِ

كظلِّ جسمى متى أنْ كنتُ ذا نظرٍ — فى نشأتى وهو مجلى من مجاليهِ

﴿وقال أيضاً﴾

إنى أفـيق وفى أرضـى لهـا فـيق — تبكى السـماءُ لهـا لينفقَ السـوقُ

وإننى ضـابطٌ فـيــمـا يصـرِّفنى — وليس فـيـمـا أتانـى منه تعـويقُ

الحقُّ يعجبُ منْ حالِى ومنْ قَلَقِى — معَ الأحـبــةِ والأحـوالُ تلفــيقُ

لم ينتـشـر خــبـر لى أننى رجلٌ — أهوى الأمورَ ولى بحثٌ وتحـقيقُ

إنَّ الموافـقــةَ الكبـرى بدايتــهـا — عندَ الـرجـالِ عنَـايَاتٌ وتوفــيقُ

مـا ينفقُ الذهبُ المـصنوعُ عندهمُ — إلا إذا جــاءه ســـبكٌ وتعـليقُ

فـإنْ تسـامحَ فـيـهِ بالحـمى صنعٌ — فــــــإنَّ ذلـكَ تمويـهٌ وتزويـقُ

وليس يعلم مـا قلناه فـيـه سـوى — مـجـرِّبٌ فـيـه إيمـانٌ وتصـديقُ

الله يعـلم أنى فـيـــه ذو عَـمَـــهٍ — وإننـى مـــؤمنٌ به وصـــــدِّيقُ

لا يعتـرينى هوى فيـما علمت به — وليـسَ عندى تزيـينٌ وتنـمـــيقُ

الصـــدقُ حلـيــتنا والحقُّ حُلـتنا — فـمنْ يخالفُ حـالى فهـوَ زنديقُ

والله لو عرفتْ نفـسى بمن كلفتْ — لمْ يلهـهـا زجلٌ عـنهُ وتصـفـيقُ

لما علمـت بأنّ الأمـر ذو صــورٍ — فلو يخــاطبنى حَـبــرٌ وبِطْريقُ

لمْ أنكرِ إنَّ الأمــرَ فـيـه كـمـا — ذكـرته فـهـو خـلاَّق ومـخلوقُ

إنَّ النيـاقَ تجـارى نحـوَ كـعبتـهِ   وإنهـــا همٌ يدعـــونَهـــا النُّوقُ

«وقال أيضًا»

الحـمــدُ لله لا أشـركُ بـه أحـدًا   إذ لم يجـد أحـدٌ سواه مُلْـتَحـدَا

لمْ يتـخـذْ كفـؤًا منْ خلقـهِ سندًا   ولمْ يلـدهُ أبٌ حــقًّـــا ولا وَلَدَا

جلَّ الإلَهُ فـمـا تُحْصَـى عوارفُـهُ   الواهبُ الأكرمُ المِحسـانُ والصَّمَدَا

الحقُّ مـــفـــتـــقـــرٌ إليــهِ أنَّ لهُ   نعتُ الـغِنَى وبهـــذَا كلّه انفَـــرَدَا

والعـبـدُ مـفـتـقـر إليـه مـتكل   علـيـــهِ مـــســـــتندٌ لذاتـهِ أبدًا

إن افـتـقـارى ذاتٌ لى إلى عـدمٍ   وليس يـعـــرفـــه إلا الذى وردًا

من عنـده بالذى أعطاه مـن حكم   بأنَّ مـعـــبـوده منْ ذاتهِ عـــبـدًا

وإنَّ أعـمـالنا عـن أمـره ظهـرت   وإنَّ عابده جبرٍ ولا كـرهٍ وما عبدًا

بلْ كان مـتصفـا بالعجـز معتـرفًا   بأنه ربـه حـقًّـا ومـا عَـبَـدَا

بلْ كـان مفـتخـرًا إليـه مفـتقـرًا   لذاته وبهـذا الأمــر قـد سـعـدًا

«وقال أيضًا»

قــد صح أنَّ الغنى لله والكرمَـا   فـمـا أبالى إذا مـا حلَّ بى عـدَمُ

ليسَ التـعـجبُ منْ تأثيـرِ قـدرتهِ   عجبتُ إذْ أثرتْ فـى جودهِ الهِممُ

ليس الكريمُ الذى من نعـته كـرمٌ   إنَّ الكريـمَ الذى منْ ذاتهِ الـكرمُ

ليس الكريمُ الذى يعطيك عـن قَدْرٍ إنَّ الكريـمَ الذى يعطى ويُـتَّـهَمُ

ليس الكريمَ الذى يعطى بحكمـته إنَّ الكريم الذى تُعْـطَى بهِ الحِكَمُ

إنَّ الكريمَ الـذى يعطى ويغـتنمُ عين القـبولِ ولا يُعطى ويَحْـتكِمُ

من يطلبِ الشكرَ بالإنعامِ ليس له ذاك التَّكرُم فـابحث أيهـا العلمُ

غـيـر الإله الذى أولى بنعـمـتـهِ وكلّ مِنْ نَعْـتِـهِ الإيجـادُ والعـدمُ

إنى ضـربت حجـابًا ليس يرفعـه سواهُ أوْ منْ بـهِ الألبابُ تعـتصمُ

هذا الذى قلتـهُ الألبـابُ تجـهلهُ وليسَ تثبـتهُ الأعـرابُ والعـجمُ

به خُصِّصْتُ على كـشفٍ ومعرفةٍ ولـم يكن فيه لـى من قبل ذا قَدَمُ

قـد يلحقُ الناسَ فى أقـوالهم ندمٌ وليسَ عنـدى فـيـمـا قلـتـهُ نَدَمُ

لأنـه المنـطق الأعـلى فـكان لـه عنى التلفـظُ والتـعـريفُ والكَلِمُ

والعبد فى عزلةٍ عـن كلِّ ما كتبتْ كفٌّ لهُ أوهمـتْ منْ كـفـهِ دِيَمُ

ما فى الوجـودِ سواهُ فـالوجودُ لهُ لذاتـه وأنا الظلُّ الـذى عَلِمُـوا

لولاهُ ما نظرتْ عيـنى ولا سمعتْ أذن لنا وبنـا عليـه قـد حَـكَمُـوا

﴿وقال أيضاً﴾

إنى أرى إبلاً يـقـتـادُها رجلٌ من أمـر خـالقـهِ يعـتادُهُ ذاتى

أسماؤه ظهرتْ منْ سـيدٍ عُصمتْ أقـوالُهُ قـد أتت نحـوى بإثبـاتِ

لقـد رآنى وجـودُ الحقِّ من قـبلى وقـالَ لى إن ذا منَ الكرامـاتِ

كـــأنَّه هوَ فى المـعنى وصـــورتِهِ ولمْ أجـدْ فـارقًا بينَ الـعامـلاتِ
فـعيـنَ الله لى من جـودِه كرمـا روحًـا تنزَّه عـن علمِ الإشـاراتِ
أفـــادنى منه أسـرارًا مـــخـبـــأة معصومة الحـال من علم الخفياتِ
فعندَما حـصلتْ فى القلبِ عشتُ بها وصـرتُ حيًـا ولكن بين أمـواتِ
فلم أجـدْ كرسـولِ الله من بشـر أو وارثيـهِ وهمْ أهل الحـمـيـاتِ
لهمْ خـبالاتُ صـيـدٍ من ذواتهمُ وهم ظهـور فمن أهلِ الخـيالاتِ
والطيـرُ صـيدٌ ولكن أين قـانصـه صـيد يصـيد قـوىٌّ فى الدلالاتِ
منْ فـــازَ بالنظرِ العلوىِّ فـــازَ بما فى الغـيب من فـرحٍ فيـه ولذاتِ

وقال أيضًا فى رؤيا رأى فيها الحقَّ تعالى وقد أعطاهُ كتابهُ بيمينه ورآه من الوجـه الذى يعـرف الحق ومن الوجـه الذى لا يعلم فـرآه من الاسم الظاهر والباطن معا فى صورتين مخـتلفتين وأراد أن يسأله فى مسألة وهى هذا المعنى الذى تضمنته هذه الأبيات.

حـقِــيـقَـتِى أن أكـون عــبـدًا وحـــــــقُّـــــــه أن يـكونَ ربًّـا
إنْ كـانَ لى فى الشـهـودِ مَـثَـلاً كنـتُ لهُ فى المـثــــالِ قَلْبَـــــا
مـــا زال إذ زدتُ مـنه بـعـــــدًا بالـوجـــدِ يولينى منـه قُـــربًا
أو كنـتُ ذا لوعـــــةٍ مــــعـنًى يكون لـى الصـــادقُ المُحِـــبَّـــا

﴿وقال أيضًا﴾

للحقِّ فـــينا تصـاريفٌ وأشـــيـاءُ ... ولا دواءَ إذا مـا اسـتـحكم الداءُ

الداءُ داءٌ عـــضـــالٌ يذهبـــه ... إلا عـبـيـدٌ له فى الطـبِّ أنبـاءُ

عن الإله كـعـيـسى فى نـبـوته ... ومن أتتـه من الرحـمن إنبـاءُ

لا يدفعُ القـدرَ المحـتـومَ دافـعـهُ ... إلا به ودليلـى فـيـه الاسـمـاءُ

إنا لنـعلمُ أنواءَ مـحـقـقـةً ... وقـد يكـفـرُ من تسـقـيـه أنواءُ

العلمُ يطلـبُ مـعلومًا يحـيط به ... إنْ لم يحط فـإشـاراتٌ وإيمـاءُ

ليس المرادُ من الكشفِ الصحيح سوى ... علـمٍ يحـصـلهُ وهـمٌ وأراءُ

إن الذين لهـم علمٌ ومـعـرفـةٌ ... قتلى وهم عند أهلِ الكشفِ أحياءُ

﴿وقال أيضًا﴾

إنى رأيتُ ومـا رأيتُ وجـودِى ... ورأيتُـهُ ذُخـرى ليـومِ شـهـودِى

عطفتْ علىَّ صـفـاتُ منْ أنا ذاتُهُ ... فـرأيتُـهُ منِّـى كـحـبلِ وريدِى

﴿وقال أيضًا﴾

إن المجـاهـد فى نارٍ وفـى نور ... كـأنه ذهـبٌ فى حُـقٍّ بلّـورِ

مـا إنْ رأيتُ لـهُ مـثـلاً يعـادلهُ ... فـيمـا يحاول مـن كدٍّ وتشـميـرِ

﴿وقال أيضًا﴾

عجـبتُ لمن قد كان عـينَ هويَّتى ... ويشهـدُ لى بالنقصِ عيـنُ مزيدِى
فمـا أدرى ما هذا ولستُ بـجاهلٍ ... وقـدْ عـرفتنى بالأمـورِ حـدودِى

﴿وقال أيضًا﴾

ولولا حدودُ الشىءِ ما امـتازَ عينهُ ... ولولا حدودى ما عرفتُ حدودِى
لقـدْ عـشتُ أيامًـا بغـيـرِ منازعٍ ... ولم أك مـحسـودًا لغيـر حسـودِ

وقال أيضًا يخاطب بعض إخوانه فى كـتاب كتب إليه وهو بديار مصر، وقد مشى إلى دمشق عن ضيق صدر.

إنْ دارًا لستَ فـيـهـا تعـزَّى ... وديارًا أنـت فـيـهـا تُهـنَّى
فـاحْـمِـدْ الله علـى كلِّ حـالٍ ... واتخـذْ ربكَ ركنًـا وَحِـصْـنَا

﴿وقال أيضًا﴾

قالتْ لنا سفرى إنْ كنتَ فى سفرى ... ما كان فى سكرٍ أحلى من السكرِ
فقلْ إلى سـمرٍ شوقى إلى السـمرِ ... فإنَّ فى عـمرى خيرًا إلى عـمرِى

﴿وقال أيضاً﴾

إنما الإنســـانُ أنـفــاسُـــهُ وهو لـلحـقِّ جـــلاسُــهُ

فـــإذا مـــا يـنقــضى نـفسٌ أخليت فـى الحـين أكـيـاسُـهُ

فــــإذا لـم يبـقَ مـن نفسٍ ينقــضى مـــا فـيــه إفـلاسـهُ

والـذى يـدرى إشــــارتـنـا أنهـم للدهـرِ أكــيـــاسـهُ

﴿وقال أيضاً من نظم التوشيح﴾

﴿مطلع﴾

تَـدرَّعَ لاَهُوتِـى بِنَـاسُـــوتِـى وَحَـصَّلَ مُـــوسَى اليَمَّ تَـابُوتِى

﴿دور﴾

فَــمْن قَـالَ عَنِّى إنَّـنى العَـبْــدُ
وَقَـــدْ صَحَّ أنِّى المَـلِكُ الفَــرْدُ
فَــرُبَّ عَلِـيمٍ غَــرَّهُ الجَــحْــدُ

فَـانْظُرْ عِـزَّتِى فِـيـكَ وَتَثْبِـيتى عَلَى عَـرْشِ تَنْزِيـهِى عَنِ القُـوتِ

﴿دور﴾

وَلَوْ كُنْتَ خَلْقًا كُنْتَ مـحصْـورًا

وَلَوْ كُنْتَ عَـبْـدًا كُنْتَ مَـقـهُـورًا

وَكُنْـتَ عَلَى الإِيمَـانِ مَـــفْـطُورًا

فَجِـسْمِى فِـيكُمُ جِـسْمُ كمْبُوتِ وَرُوحِى فِـيـهِ رُوحُ مَـبْـخُـوتِ

﴿دور﴾

ألاَ فَـاكْـتُـمِى يَـا نَفْسُ أَوْ بُوحِى

فَــقَـدْ ثَـبَت الجِـسْـمُ مَعَ الرُّوحِ

عَـيَــانًا ثُبُـوتَ الرَّقْـمِ فِى اللُّوحِ

فَــإِنَّ حُكْمَ اللهِ بِتَــشْـتِـيــتِى هنَالِكَ يَـبْـدُو عَــجْــزَ لاَهُوتِى

﴿دور﴾

فـإِنْ قَــالَ غَـيْـرِى إِنَّنى مِــثْلُكْ

وإِنْ كُنتَ عَــرْشَــا فَـأنَـا ظِلُّكْ

أَوْ دِيمَـة قُطْـرٍ فَــــأنَـا وَبْلُـكْ

أَقُــولُ لِنَفْــسِى هَاتِ أ، هِيــتِى فَـعِــيشى عَلَى ذَلِـكَ أوْ مُـوتِى

﴿دور﴾

أَلَمْ تَـعْلَـمِى إذْ بُـنَى البَـــيْتُ
مَـا أسْـرَعَ مَـا يَهْـدِمُـهُ المَوْتُ
وَيُبْـقِى عَلَيْـهِ حُـزْنُهُ الفَـوْتُ

فكَم مَـا بَيْنَ مَلْحُوظٍ ومَـمْقُـوتِ   وَكَمْ بَيْنَ ذَى التَّـابُوتِ وَالحُـوتِ

﴿دور﴾

فَلَـوْ زَالَ تَزْنِيـــدٌ وتَـبْـــرِيحُ
فِى القَـــوْلِ وفِى القَلْبِ تَجْـرِيحُ
لَفَـــتَـحَ فِى سِـــرِّكَ تَفْـــتِيحُ

ولاَحَظْـتُ مَـا لاحَظَ مَـنْ أُوتِى   مَـعَـايِنَةَ القُـرْبِ ومَـآ أُوتِى

﴿وقال أيضاً من نظم التوشيح﴾

﴿مطلع﴾

بِالمُتَـعَـالِى عَـبْـدُهُ يَصُـولُ   وَكُلُّ عَـارِفٍ يَدْرِى مَـا أقُـولُ

﴿دور﴾

عَـــيْنُ الوُجُـودِ حـكمُـه سَـــرَى
بِكُـلِّ جُـــــودٍ لَيْلَـةَ السَّـــرَى
وفِى الشُّـهُـودِ صُبْـحُـهُ انْبَـرَى

يَا ذَا الجَـــلاَلِ هل لَـنَا سَـبِـــيلُ إلى مَـــواقِفِ خَطْبُـــهَـا جَـلِيلُ

﴿دور﴾

للهِ عَـــبْــــدٌ لَـمْ يُرْدِ سُـــوَى
أتَاهُ عَـــهْــدٌ يَـحْـمِلُ الـلِّوَى
وصَحَّ وُدٌّ يـثـــــمِـــــرُ الـنَّوَى

يَا لَلْـوِصَـــالِ فَـــارِسٌ يَـصُـــولُ عَلَى المُـخَـــالِفِ بالَّـذِى يَقُـــولُ

﴿دور﴾

قَلْـبٌ سَـــقِـــيمٌ دَائِـمُ الغَلِـيلِ
دَمَعُ سُـــجـومٍ صَـيْبٍ همُـــولِ
ومَــــــا تَدُومُ عِـلَّـةُ العَـلِيـلِ

بَيْتُ المَوَالِـى رَسْـمُـــهُ مـحـيلُ وَمَنْ يُـخَـــالِفُ مَـــــالَهُ دَلِـيلُ

﴿دور﴾

حَلَّ البُعَادُ فَانْتَفَى البَشَرْ
والكُلُّ بَادُوا مَا لَهُم خَبَرْ
لَيْسَ المُرَادُ غَيرَنَا ظَهَرْ

قلْ لِلمْمَوَالِى عَنْدَمَا تَمِيلُ   مَا كُلُّ خَائِفٍ قَلْبُهُ ذَلِيلُ

﴿دور﴾

يَا مَنْ يُعَانِقُ كُلَّ مَا حَوَاهُ
لَيْسَ المُفَارِقُ عَاشِقًا سِوَاهُ
وكُلَّ عَاشِقٍ مُنْشِدًا أخَاهُ

مَلَّتْ وِصَالِى والمَلِيحُ مَلُولُ   ومَنْ يُصَادِفُ عَائِقًا يَصُولُ

﴿وقال أيضًا من نظم التوشيح﴾

﴿مطلع﴾

عِنْدَمَا لاَحَ لِعَيْنِى المُتَّكَا   ذُبْتُ شَوْقًا لِلَّذِى كَانَ مَعِى

﴿دور﴾

أيُّهَـا البَـيْتُ العَـتْـيـقُ المُشـرَّفُ

جَـاءَكَ العَبْـدُ الضَّـعيفُ المُسْـرِفُ

عَـيْنُـهُ بِالدَّمْعِ شَــوْقًـا تَذْرِفُ

غُـــرْبَـةً مِنْهُ وَمَكْـرًا فَـــالبُـكَا لَيْسَ مَـحْـمُـودًا إذَا لَمْ يَـنْفَعُ

﴿دور﴾

كلَّمَـا عَـدَّدْتُ فِـيـهِ قَـالَ لِى

لَـيْسَ هَـذَا فِيَّ بَـلْ فِـى إيَـلِـى

سَـأرَى حُكْـمَ قُلَبْ قَـدْ بَلِى

بِهَـوَاهَا مُـسـتَـغِـيـثًـا قَـدْ شَكَا وَأَنَـا أعْلَـمُ شَكْـوَى الجَـــزَعِ

﴿دور﴾

أشْـرَقَتْ شَـمْـسٌ لَهُ شَـرَّقَتْ

فَـــرَأَيْنَاهَـا بِهَـا إذْ شَـــرَّقَتْ

أرْعَـدَتْ سُـحُبٌ لَهَـا مَـا أبْرَقَتْ

فَـــعَـلِمْنَـا أنَّهُ حِـينَ بَكَـى مَـا بَـكَى إلاَّ لأمْـرٍ مُـوجِعِ

﴿دور﴾

مَــــرَّ بى فى لَـيْلَةٍ لَـيْسَ لَهَــــا
آخِــرٌ والصُّــبْحُ قَــدْ جَـلَّلَهَــا
والَّذِى حَــــرَّمَــهَــــا حَلَّلَهَــــا

وانْتَــدَى يَـطْلُبُ وَصْلِـى واتَّكَى وَمَــضَى إذْ وَمَــضَـا لَـمْ يَرْجِعِ

﴿دور﴾

أيُّهَـا السَّـاقِى اسـقِـينى لا تَأْتَلِ
فَلقَــد أتْعَــبَــه فكْرِى عُــذَّلِى
وَلَقَــدْ أنْشِــدُهُ ومَــا قِــيلَ لِى

أيُّهَــا السَّـاقِـى إلَيْكَ المُشْـتَكَى ضَــاعَتْ الـشَّكْوَى إذَا لَمْ تَـنْفَعِ

﴿وقال أيضاً﴾

إذا مـا دعـا داعٍ تُلبِّى من الحِـشَى هويتـه فـهــو المجـيبُ لمن دعَـا
فـمـا أنا إلا عـينـهُ ليسَ غـيـرهُ ولستُ بذى مـزجٍ ولا أنا بالوعَـا
فـمن قال إن القـول بالحدِّ واحـد فذلكَ قـولٌ ليسَ يدريهِ منْ وعَى
من العلمِ إلا رسـمـه لا وجـوده وإنْ مصيبَ الحقِّ منْ قـالَ أجمعَا

إذا عـاينتْ عـينٌ لعـينٍ كـلامـه ... على ألسنِ الأرسال بالحسِّ مـصرعَا

فـلا بدَّ من صـوتٍ يعيـن حرفـه ... ولا بدَّ من حرفٍ فـقد ثبـتا مـعَا

فيـا منكرَ التركـيب فى كلِّ ناطق ... وفى نطقـهِ لوْ كنتَ بالحقِّ مولعَـا

رأيت وجـودَ الحقِّ عـين كـوائن ... أمنتُ لهـا منْ غيـرِ أنْ تتصـادَّعَا

إذا كان نظمى عين نثرى فمن هما ... فقلْ لهما يا صـاحِ للحقِّ وارجعَا

رعى اللهُ عبـدًا منصفًا ذا حقـيقةٍ ... كـمـا أنه بالحقِّ لـلحقِّ قـد رعَى

﴿وقال أيضًا لزومية﴾

ألا إنَّ كَشْـفِى مثبـتٌ كلَّ معتَـقَدْ ... إذا كـان إثبـاتا ولستُ بمُنْتَـقَـدْ

فمنْ كانَ ينوى الخيـرَ فالخيرُ حاصلٌ ... ومن كان ينوى الشرَّ فالشـرُّ قد فُقِدْ

ولو كان عـقد الأمر عـقدًا مـعينا ... لضاقَ نطاقُ الأمرِ فـاقدَحْ عسَى تقدْ

فقـد وسم الحق اعتـقاداتِ خلـقه ... وحسبك ما قد قلت فى حقه وقدْ

ويأبى جنـابُ الحقِّ إلا اتسـاعـه ... لتشـهده الأبصارُ فـى كلِّ معتـقدْ

وما تدرك الأبصار منه سوى الذى ... تراه وما يخـفى عن العينِ يعتـقدْ

وإنَّ اللبيبَ الحـبر يصـمتُ عندما ... يرى شاهدَ التحويلِ فى الحقِّ قد وجدْ

﴿وقال أيضًا﴾

جـمـعتُ همى علـيَّـا ... فـمـا برحـتُ لديَّـا

إلىّ يا منْ تعالى ... عنِ الكيانِ إليّا
فلم أجد غير ذاتى ... لمّا بسطتُ يديّا
فأسفلُ الكونِ يعلو ... وقتًا بربى عليّا
انظرْ حديثَ هبوطٍ ... تجدْه فيه جليّا
ما جئتُ شيئًا بقولى ... عن الإله فريّا
هذا حديثُ رسولٍ ... قد اصطفاه نبيّا
ولم أكن عند قولى ... إنى بربى نسيّا
لما سريتُ إليه ... خِرتُ المكانَ العليّا
ناديتُ مولى الموالى ... ربى نداءً خفيّا
إنّى ضَعُفْتُ إلهى ... وصِرتُ شيخا عِتيّا
فلم أكن بدعائى ... إياكَ ربِّ شقيّا
أنت الولىّ الذى قد ... صيرت قلبى وليّا
فاجعلنْ ربى إمامًا ... واجعلن ربى رضيّا
فقدْ ضعفتُ لما بى ... وذبتُ شيئًا فشيئَا
سألتُ ربى أنْ لا ... يجعل لذاتى سميّا
قدْ كنتُ عبدًا مطيعًا ... إذ كنتُ ملكًا سريّا
أجرى لىَ اللهُ جودًا ... من تحتِ عرشى سريًّا
وأسقط الجذعُ قوتا ... علىّ رطبًّا جَنيّا

فكانَ منهُ غذائى ... وعشتُ عيشًا هَنيًّا
وكانَ بى لطفُ ربى ... لذاكَ برًّا حفيًّا
فهل رأيتم إلهًا ... يقومُ شخصًا سويًّا
هذا محالٌ ولكنْ ... شاهدتُ أمرًا نديًّا
رأيتهُ عينَ نفسى ... منْ حيثُ كنتُ صبيًّا
ولم أقل بحلولٍ ... بل كنتُ منه بريًّا
بلْ لمْ أجدْ منه بدًا ... لمّا هجرتُ مليًّا
وخرّ جمعى إليه ... عندَ الشهودِ بُكِيًّا
فكنتُ أولى بنارٍ ... للشوقِ فيها صليًّا
إنى خلصتُ إليهِ ... لما اقتربتُ نجيًّا

﴿وقال أيضًا﴾

إذا كنتَ بالأمرِ الذى أنتَ عالمٌ ... بهِ جاهلاً فاعلمْ بأنكَ عارفُ
إذا أنتَ أعطيتَ العبارةَ عنهمُ ... بما هم عليه فاعلم أنك واصفُ
فإنَّ الذى قدْ ذقتهُ ليسَ ينحكى ... ولا يصرفُ الإنسان عن ذاك صارفُ
وقلْ ربِّ زدنى من علومٍ تقيدَتْ ... علومُ مذاقٍ أنهنَّ عوارفُ
إذا نلتها كنتُ العليمُ بحقها ... وإن كانت الأخرى فتلك المعارفُ
فمعرفتى بالعينِ ما ثم غيرها ... وعلمى بحال واحد وهو عاطفُ

عليهـا وذاك الأمر ما فيـه مدخل ... ألا كـلُّ ذى ذوقٍ هنـالك واقـفُ

ومـا جـهلَ الأقوامُ إلا عـبـارتى ... ومـا أنـا باللفظِ المركبِ كـاشفُ

ومـا ثم تصـريحٌ لـذاك عـيـوننا ... إذا مـا عـجـزنا بالدمـوعِ ذوارفُ

فـإنْ نحنُ عـبـرنا فـإنَّ كـبـيـرنا ... لحنظلة التـشـبـيـه بـاللفظ ناقفُ

تمعـرَ منهُ الوجـهُ والعـجـزُ قـائمٌ ... بهِ ويـراهُ اليـثـربى المكـاشفُ

ولو كـان غـير اليـثـربىّ لما درى ... وهلْ يجـهلُ العلامَ إلا المخـالفُ

نفى عنهم القـرآن فـيه مـقامـهم ... وإنى بـالله الـعظـيمِ لحـالفُ

لقـد سـمـعت أذناى مـا لا أبثُّـه ... وقد جافى الأمـر الذى لا يخالفُ

فـقلتُ له سـمـعًـا إلهى وطاعـة ... وقد كان لى فيـما ذكرتُ مواقفُ

ومـا كنتُ ذا فكرٍ ولا قـائلاً به ... وقدْ بينتْ لى فى الطريقِ المصارفُ

ومـا صـرفـتنا عن تحـقـقِ ذاتنا ... بما فى طريقِ السـالكينَ الصوارفُ

ومـا ثم إلا سـالك ومـسلك ... بذا قالتِ الأسـلافُ منا السوالفُ

مـشـينا على آثارهم عن بصـيـرة ... وتقليـدِ إيمـانٍ فنحنُ الخـوالفُ

ومـا حيـرتنا فى الطريق مجـاهل ... ومـا حكمت بالتيـه فـينا التنائفُ

فإنْ كنتَ ذا حسٍّ فنـحنُ الكثائفُ ... وإن كنت ذا علم فنـحن اللطائفُ

لقـد جـهلتْ مـا قلتـه وأبنتـه ... من أهل الوجودِ الحقِّ منا طوائفُ

لقدْ قالتِ الأعـرابُ: الحربُ خدعةٌ ... وإنى خـبـيرٌ بـالحروبِ مـشـاقفُ

ألا فاعـذروا من كان لى ذا جناية ... ويقـديه منـى تالدٌ ثـم طارفُ

ويشتد خوفى مـن شهودى لموجدى ولما رمت بى نحـو ذاك المخـاوفُ
علـمتُ بأنى ذو انـكســارٍ وذلة وأنى مما يأمنُ القـلبُ خـائفُ
وأصـبحت لا أرجـو أمـانا وإننى على بابِ كـونى للشهـادةِ واقفُ
شـهيـدٌ لنفـسى لا عليـهـا لأننى عليم تهـادى للعـمى مـتجـانفُ
وإنى أناديـنى إذا مـا دعــوتنى وقد هتفتْ بى فى الخطوبِ الهواتفُ

«وقال أيضًا»

للهِ قــومٌ لـهم فى كلِّ حــادثةٍ شـانٌ وصـورتُهُمْ من لا له شـانُ
فـإنْ نظرتِ إليـهم فى تصـرفـهمْ تقولُ مـا هم كما قالوا ومـا كانوا
يعم علـمـهمُ أحــوالَ كــونهمُ الماضُ وآلاتُ بالتـصـريفِ والآنُ
سُبـحانَ من خصَّـهم منه بصورته همُ المقيمونَ فى الوقتِ الذى بانُوا
مـسـافـرونَ ولمْ تـفـقـدْ ذواتهمُ من المجـالس والأعـيـان أعـيـانُ
أجـسـامـهم هى أجـسـادٌ ممثلةٌ للناظرين وهـم فى العـين إنسـانُ
بهم نراهم كـما قـلنا ويشهـد لى منْ رويةِ الـلهِ عــرفـانٌ ونكرانُ
أنت اعتـرفتَ بمن أنكرتَ صورته الأمـرُ سـوقٌ فـأرباحٌ وخـسـرانُ
وهم ذوو بـصـر لما يـرون وهم عند الأكـابر منا فـيـه عـمـيـانُ
لا يهـتـدونَ لما تعطـى نواظرهمْ ومـا لهمْ فى الذى يـرونَ برهانُ
وكلُّ مـا انكروا منه أو اعـتـرفـوا به فـذلـك عند القـومِ عــرفـانُ

هم فى الكتابِ الذى اخفته غيرته منهمْ ومنْ غيرهم فى الصدرِ عنوانُ

ما فى الوجودِ سوى جودِ خزائنهِ لهـا إذا نزلتْ بالخلقِ ميـزانُ

لـكنـهُ عـندَهُ لا عـندهُمْ ولـذا يخيب فى نظر الإنصاف أوزانُ

وما يخيبُ ولكن هكذا اعتبرت بما يُفصِّلهُ حقٌ وبهتانُ

لذاك أوجدهم طبعـا وكلفهم شرعًا فوزنهمُ نقصٌ ورُجحانُ

ووزنُ ربكَ عدلٌ جلَّ عنْ غرضٍ يقيم ميزانَه برٌّ ومحسانُ

مع العليمِ بما تحويه جنته دونَ اشتراكٍ ومنْ تحويهِ نيرانُ

بالاشتراكِ ومنْ يخلصْ لمقعدهِ فى النارِ ليسَ لهُ فى الحشرِ ميزانُ

بذا أتى خبَرُ الأرْسَالِ قاطبةً وقدْ أتى بالذى ذَكَرْتُ قُرْآنُ

﴿وقال أيضًا﴾

إن المحامد أنواع منوّعة تبيينها لكَ حمدُ الحامدينَ بهَا

ومـا لها صور فى غير حالهمُ فكن بذا عالمًا إنْ كنتَ منتبهَا

عم الحلالُ إذا أكلت عن ضررٍ فإنْ جهلتَ فكُلْ ما كان مُشتبهَا

وما يعمُّ حرامٌ وهوَ حجتنا إنَّ المآلَ إلى الرحمن انتبهَا

إنَّ النجومَ لتجرى فى مطالعها بما يشاءُ منْ أمرٍ نحو مغربهَا

وذلك الأمر أخفاه وأودعه ربُّ السموات فى تسيير كوكبهَا

فقائل إنَّ هذا الحكمَ ليس لها وقائلٌ حكمُ هذا منْ كوكبهَا

يسرى فيـحدثُ فى أعياننا عـجبًا　　　وما لها مذهبٌ فـى أصل مذهبهَا

ومـا لـهـا خـبـر مما يقـوم بنا　　　بل ذلك الأمـر فـينا من مرتـبهَـا

تقلبَ الليلُ عـنها والـنهارُ مـعًـا　　　ومـا التـقلبُ إلا مـن مـقلبـهَـا

سـبـحـانه وتعـالى أنْ يحـاط بما　　　يحـويه علمًـا لديـنا فى تقلبـهَـا

﴿وقال أيضًا﴾

عليكَ بحـفظِ النفسِ فالأمـرُ بينٌ　　　فـإنَّ وجودَ الـقشـرِ للبِّ صـائنُ

يصونُ بحكم الحـالِ لا علمَ عنده　　　فما يدرى ما تحـوى عليه المصاونُ

وإنَّ وجـودى صائنٌ من عـلمتـه　　　وبينى وبـينَ الحقِّ فـيـه تبـاينُ

فـيحـفظنى وقـتًا ووقـتًا أصـونه　　　ويدرى الذى قدْ قلتـهُ منء يعاينُ

فـما ثمَّ إلا الكشفُ مـا ثمَّ غيـرهُ　　　ومـا بعـدَ علمِ العـينِ علمٌ يوازنُ

إذا كان مخدومى الـذى قد تركته　　　بسطامَ خـلفى قلْ لمنْ أنا سـادنُ

إذا كـان مطلوبى ومن هو غـايتى　　　وبدئى فـمـا فى العـالمينَ تغـابنُ

أرى فتيـة عمياءَ جـاءت لنصرتى　　　تقـول لـنا بالحـال أنت المـفـاتن

فـحصَّلـتُ منها كلَّ خـيـرٍ وإننى　　　أسـايفُ أوقـاتًا ووقـتًـا أطاعنُ

ومـا أنت فـيـهـا ذو نواءٍ نويتـه　　　ولا أنا عنهـا بـالجـمـاعـة ظاعنُ

فمنْ شاءَ فليرحلْ ومنْ شاءَ فليقمْ　　　فـمـا الأمـرُ إلا كـائنٌ وهوَ بائنُ

﴿وقال أيضاً﴾

تراءيتَ لى فى كلِّ شيءٍ فكنتهُ ... ولو لم تكن عينى لما كنت مدركَا

فأينَ أنا والكلُّ منى أنتمُ ... ولو كنته ما حرتُ العلمُ أنَّكَا

إلهى فإن العبدَ عينُ حقيقَتى ... فنحنُ بنا عقلاً وفى كشْفِنَا بُكَا

فإنْ قلتَ إنى لستكمْ كنتَ صادقًا ... وإنْ قلتَ إنى أنتمُ فأنا لكَا

لكَ الحكمُ فينا كيفَ شئتَ تأدبًا ... لسرٍّ بدا لى كانَ للأمرِ أملكَا

أنا كلٌّ شى إنْ تأملتَ صورتى ... فإنى إنسانٌ وإنْ كنتُ مالكَا

تمثلَ جبريلُ لمريمَ صورةً ... من الإنسِ لمْ يأتِ بمثلٍ ولا بكَا

لنعلم أنّ الأمر عين الذى ترى ... وقد صار ما عاينته فيه مهلكَا

فإن شئت سلطانًا وإنْ شئتَ سوقة ... وإنْ شئت ذا نُسُكٍ وإن شئتَ مَنْسَكَا

﴿وقال أيضاً﴾

من سألَ اللهَ فى أمورٍ ... عن أمره لم يخب سؤالهْ

وجاءه فى الجوابِ منه ... ما فيهِ إنْ حققوا كمالهْ

إنَّ الذى تنتهى المعالى ... فى كلِّ شىء له مآله

وليس بعد الكمال نقصٌ ... إنْ أنتَ أنصفتنى مثالهْ

عبد وربٌّ هل ثم غير ... قد انتهى عينه وحالُهْ

لله قومٌ لما ذكرنا ... تحققوا فيهِ همْ رجالُهْ

فى كـلٍّ حـــال لهـم وجـــودٌ ... فـــهمْ لما قـلتـــهُ عـــيـــالُهْ

عـــارَ عليـــهمْ فـمـــا جـــواهُمْ ... فى ذكـــرِهِ غـــيـــرهُ مـــقـــالُهْ

وكلُّ شـــــخصٍ على انـفـــرادٍ ... من مـــثله قـــد حـمـــاه مـــالهْ

بالمـالِ مـــــالَ الورى إلـيــــه ... لـذاكَ يرجـــــــــوهـمُ نوالـهْ

ومـــالهمْ فى الـرجـاءِ عـــينٌ ... ومـــنْ لـهُ لـــمْ يـــزلْ وبـالُـــهْ

وليس ذاك الـشـــخـيصُ منهم ... وهوَ الـذى لمْ يخـبْ ســـؤالهْ

لمْ يفـــتـقـــرْ فى الورى إليـــهمْ ... لأنه لـم يقـم جـــمـــــالهْ

بهمْ فـلمْ يعـــرفـــوا كـــرامًـــا ... فـــحــــاله بيـنهم خـــلالُهْ

فـــمـــا لهم فى الوجـــود قـــدر ... لوْ ذكـــروا قـــيلَ همْ ســـفـــالُهْ

دارتْ رحى كـــونهمْ عليـــهمْ ... فـــهمْ إلـى طحـنهِ ثـفـــالهْ

يجـــــهـلهـم كلُّ مـن يراهـم ... وهـم علـى خلـقــــه ظلالـهْ

رحـــمـــتـــهمْ قطُّ مـــا يراها ... من ضـاقَ فـى علمـه مـجـالهْ

لو أنَّ شـــخـــصًـا يريدُ ســـوءًا ... بـه لما ردَّه مــــحــــالـهْ

﴿وقال أيضًا﴾

إذا كنتَ إنســانًا فكنْ خيـر إنسانِ ... فـإنَّ بخيـلَ القومِ ليسَ بمـحسـانِ

ولا تظهـرن إنْ كنتَ تملك سترةً ... إل كلِّ ذى عـينٍ بصـورةِ عـربانِ

وحققْ إذا مـا قلتَ قولاً ولا تكنْ ... تخلطُ صدقَ القـولِ منك ببهـتانِ

ولا تسرعــن إنْ جاءَ يسألُ ســائلٌ ولا تبذرِ السمراءَ فى أرضِ عيمانِ
وكنْ ذا لســانٍ واحـــدٍ وهو عـينهُ ولا تك من قـومٍ بفيـهم لسـانان
لســانٌ بخلقٍ وهوَ عـضوٌ مـعـينٌ وليسَ يرى ذا العـضوَ إلا لتبـيانِ
ونطقٌ بحقٍّ فـهـوَ بالصـدقِ ناطقٌ تقـسم قـرآنًا بتـقـسيم فُـرقـان
فيبدو لذاك القـسم من كلِّ وجهةٍ منَ العـالمِ الأدنى إليكَ طريقـانِ
طريقُ شكورٍ أو كـفـورٍ وما همـا فريقـانِ بلْ همْ بالتـقاسمِ فـرقانِ
فإنْ كنتَ عندَ القـسمِ بالأمرِ عالمًا فـمـا ثمَّ فـرقـانٌ بوجـهٍ ولا ثانِ
فـما أنتَ بـالتوحـيـدِ متـحـدٌ بهِ فربحك خسرانٌ ونقصُك رُجْحَانِى
ولا تدخلنْ إنْ كنتَ طالبَ حكمةٍ حـقيـقةٌ مـا تبـغيـه كفـهُ ميـزانِ
فـمـا وضعَ المـيـزانُ إلا بأرضـهِ هنا وبأرض الحشر والشانُ كالشان
ومـا هو مطلـوبى فـذلك خـارجٌ عنِ الحـدِّ والتقـسيمِ فـيهِ ببـرهانِ
فليس وجـــودُ الخلقِ إلا بجـــودهِ وجـــودُ الإله الحقّ ليس بميـــزانِ
يفـــيض الإله الحقّ عـيـن عطائه وتقبلـهُ الأعيانُ منْ غـيرِ نُقْـصَانِ
فـمـــا ثمَّ إلا كـاملٌ فى طـريقـهِ من أصحابِ أفلاكٍ وأصحابِ أركانِ
بهذا قد أعطى كـلُّ من كان خلقُه كمـا قاله الرحــمن فى نصِّ قرآنِ

﴿وقال أيضاً﴾

إذا كنتَ بالحـقِّ المهـيـمنِ نـاطقًـا فكنْ ناطقًـا فى كلِّ شيءٍ بحـقـهِ

ولا تأخذِ الأشياء من غـير وجهها فإنَّ وجـودَ العدل فى غيـرِ خلقهِ

فكنْ بـالإلهِ الحقِّ فى كـلِّ حـالةٍ ولا تجـر فى الأشـياء إلا بوفـقـهِ

وخذْ سرَّ هذا الأمرَ من عينِ غربهِ وخذْ نورهُ للكشفِ منْ عينِ شرقهِ

فيـا نائبًا عن ربهِ فـى صـلاتهِ إذا قـام بين الآيتـين من أفـقـهِ

ومَنْ حـاز شيئًا من وجودِ إلـهه فـمـا حـازَه إلا بأفـضلِ خلقـهِ

أنا حقُّ أسـمـاءِ الإله بأسـرها وهلْ تخـزنُ الأعـلافُ إلا بحقـهِ

ألا إننى العبـدُ الذى ليسَ يرتجى خـروجًا بعـتقٍ من حـقيـقة رِقِّـهِ

وإنْ كـانَ عـبـدُ اللهُ حـقًا بذاتهِ فـأنى ممنْ لا أقـولُ بعـتـقـهِ

﴿وقال أيضاً﴾

مـا رأينـا من عـنايَـتِـهِ يأخـذُ الأمـوالَ والـولَدَا

غـيـر ربٍّ لم يـزل أبدا بكـمـالِ الوصـفِ منـفـردَا

أبصـرَ المغـرورُ جنتـه ثمَّ لـمْ يدرِ الذى شـهِـدَا

قـالَ مـا أظـنُّ فى خـلدى أنْ تـبـيـد هذه أبـدَا

لمْ تـكنْ كـمـا تخـيـلهُ أنهـا تـبـقـى لهُ أمـدَا

وهىَ عـندَ الـلهِ بـاقـيـةٌ للذى قـد كـان مـعـتـقـدَا

فـأراهُ الظنُّ خـيـبـتـهُ وأرى العـلمَ الذى انـتـقـدَا

فـأراهُ مـا توعـدهُ وأراه مـا به وعَـدَا

لمْ يـزلْ فى قـــدسٍ جنتـــهِ ... طالـع العـلى منتـــقـــدا
حـــامــــدًا لله خـــالـقِــه ... حـــيـثُ لم يتـــركُ له سـندًا
كـلُّ من طـابت ســــريرتُـه ... بالـذى فى ســــرِّه اتحــــدا
لم يجـــد من دون خـــالـقــه ... أحـــدًا يكونُ مـلتـــحـــدًا
إنَّ لى مـــــولـىً أســــرُّ بهِ ... مـا يرى شــيـئًا يـكون سـدَى
عـــينُ كـــونِ الشيء حكمـتُـه ... مـــا لهـــا حكمٌ عـليـــهِ بدَا
الـذى ترجـى عـــــوارِفــــهُ ... كـــان لى رُكنـا ومـــســتندًا
عـــز لم يعـرف ومـــا عـرفـوا ... غــــيـــرَ منْ أضـلهمْ بهـــدَى
فـــــهــــو المـعلـوم عنـدهمُ ... والـــذى لا يـعـــلــمـن أبـــدًا

﴿وقال أيضًا﴾

إذا الأمـر لـم يمكن فكُنْهُ فـإِنَّهُ ... قـصـارَى حديثِى أنْ أكـونَ كـأنَّهُ
بذا جاءَ نصُّ الشرعِ فى غـيرِ موضعٍ ... فـمن لم يـصـدقنى فـيـعلم أنَّهُ
عنِ الحقِّ مصروفٌ إلى غيرِ وجههِ ... وعن مشـهدِ التَّـحقـيق ربى أكنَّهُ
وأعلمُ ما المعنى الذى قامَ واستوى ... على عـرشـه العلوىِّ حـين أجنَّهُ
ومـا هوَ إلا قـــربهُ ليسَ غـــيـرهُ ... ولو كـــان ذا بعـد لأســـمعَ أُذْنَهُ
خطابًا بليـغًا يخرقُ السـمعَ صوتهُ ... ويودعُ فـــيـــه من تكلـم إذْنُهُ
وديعـــةَ حقٍّ لا وديـعـــةَ حـــيلةٍ ... فـيضـحى لما قـد فات يقـرعُ ينَّهُ

كما صنع الرامى الذى جاز سهمه فـريستـهُ فاسـتلزمَ القلبُ حُـزْنَهُ

فوسـع مكانَ الضيقِ منك تخلقـا فمن وسـعَ الرحمن سهـل حزْنَهُ

ولا شطرَ الأشـيـاءِ إلا بـعنيـهـا فـقـد يقلبُ الفـرار وقتًـا مـجنَّهُ

إذا كنتَ ذا خـبـرٍ لما أنتَ صـانعٌ له فـعلمنـا أنْ سـتـدرك حـسْنَهُ

تأملْ إذا ما قربَ الشـخصُ بيضةٌ هىَ الكلُّ منْ شخـصٍ يقرِّبُ بُدْنَهُ

ويفـضـلُ عنهـا مـثلَـهَـا وزيادةً وهذا دليلٌ إن تحـقَّـقت عـينَهُ

فخذ بالوجـودِ الحقِّ ما دمتَ هَهُنَا ولا تبقَ شـيئًـا إنْ خَلْقكم لتـجنَّهُ

فمنْ سنَّ خيرًا حـازَ منْ كلِّ معتدٍ به خَـيْـرَهُ بالفـعلِ إذ كـان سَنَّهُ

«وقال أيضاً»

أنا آدمُ الأسـمـاءِ لا آدمُ النشء فلى فى السما والأرض ما كان من خبءِ

ولكنه من حـيث أسـمـاءُ كـونه وما لى فـيه إن تحـققت من كفءِ

أنا خـاتمُ الأمـر الأعمِّ وجـودُه لذاك تحملتُ الذى فـيه من عبءِ

فإن كنت ذا علم بقولى ومقصدى وأحكامِ ما فى الكلِّ من حكمـة الجزءِ

فـلا تأخذِ الأقـوالَ من كلِّ قـائلٍ وإنْ كان لا يدرى الذى قال من هزءِ

فـإنَّ الكلامَ الحقَّ ذلك فـاعـتمـد عليـهِ ولا تهمله وافزع إلـى البدءِ

لقـد مـدَّنـى ظلا وإنْ كنتُ نورَه فإن لم أكن فى الظل إنى لفى الفىءِ

لقد عظم الرحـمن نَشْئِى لمن درى وأعظمُ قدر الشخصِ ماكان فى النشءِ

وما أنا من هلكَ فما أنا هالك ... وما أنا ممنْ يدرأُ الدرءَ بالدرءِ
ولكننى رِدءٌ لمن جاء يبتغى ... معونته منى فآمن بالردءِ
وإنى إذا ما ضمنى بردُ عفوهِ ... إليهِ بجرمى أننى منه فى دفءِ
وأعجبُ من كونى دليلاً بنشأتى ... ولا أرتجى برءًا وأجنحُ للبُرْءِ
وما ذاك إلا حكم غفلتى التى ... خُصصتُ بها وهى التى لم تزل تُشْئِى

﴿وقال أيضاً﴾

ولولا وجودُ الربِّ لمْ تكنْ عيننا ... ولولا وجودُ العبدِ ما عرفَ الربُ
فوقتا يكون الجسم والقلبُ أنتم ... ووقتًا يكونُ الجسمُ والسيدُ القلبُ
فمجموعنا شخصٌ لذاكَ أتى بهِ ... وسمَّاه شخصًا مرسَلا من له القُرْبُ
أنا صورةٌ من صورةٍ لم تقم بنا ... ولو أنها قامتْ لأدركنى العُجْبُ
أنا سرُّه الفانى وسرٌّ بقائه ... كما هو لى تاجٌ وفى ساعدى قلبُ
كلفتُ بمن يدريه إذ كان عاشقى ... وأظهر عشقى شهرةَ الحبِّ لا الحبُّ
كذا قالَ شيخى لى شفاهًا وزادنى ... بأنى بها المقتولُ والواله الصَّبُّ

﴿وقال أيضاً﴾

ما لقومى عنْ حديثى فى عمى ... ما أظنُّ القومَ الأقدَما
أخذوا العلمَ عن الفكر وعن ... كلِّ روحٍ ما له علم بِمَا

عندنا من جهة العلم به　　جلَّ أنْ يفهم أو أنْ يفهمَا

هكذا قالوا وما عندهمُ　　خبرُ الذوقِ بعلمِ العلمَا

فأنا أطلبهُ منهُ وهمْ　　يطلبونَ العلمَ منهم أينمَا

فعلومُ القومِ من أنفسهم　　وعلومى من إله حكمَا

إنه يعطى الذى يعلمه　　لعبيد لم يزالوا رُحَمَا

بينهم تبصرهم قد وقفوا　　فى المحاريبِ وصفوا القدمَا

بقلوبٍ علمتْ أنَّ لها　　عندَ ربِّ الصدقِ حقًا قدمَا

وعيونٌ واكفاتٌ أرسلتْ　　من بكاء بدلَ الدمعِ دمَا

ينظرون الأمر من سيدهم　　لخيالٍ عندهم قد نجمَا

فلهذا جاءَهم ما ردهمْ　　يحملون الكلَّ عنا حكمَا

لعلومٍ لمْ ينلها دنسٌ　　من عباراتٍ فما حلَّت فمَا

﴿وقال أيضاً﴾

ليس على الجزم مبنى فليس له　　فى العقل كونٌ ولا طبعٌ فيسرقهُ

فذاتُه القلبُ فالتقليبُ شيمتُهُ　　لكنهُ رحوىٌّ فيهِ مشرقهُ

فما له من سكون فهو فى فرحٍ　　وما له حركاتٌ عنه تُقْلِقُهُ

له الشؤونُ وفوقَ العرشِ مسكنه　　عند الإله الذى به تحقُّقُهُ

وبالذى عنده منه تعلقه　　كما بأسمائهِ الحسْنَى تَخلُّقُهُ

هو الوجـودُ فـمـا تنفك صـورته مَعَ الجـمـالِ الذى بـهِ تعـشـقـهُ

فـالوجـدُ يسكنه والشـوقُ يقلقـه وللذى يدعـيـه الأمـر يسـبـقـه

خـلافُ طهَ فـإنَّ الفـتحَ يـلزمُـهُ لذاكَ جـاءَ ليـشـقى وهوَ يخلقُـهُ

بالجـودِ أوجـدهُ بالكـونِ حـددهُ وبالتـجلى يغـذيـهِ ويرزقُـهُ

أعطاهُ سـورتُهُ فـحـازَ سـورتهُ بهِ يـقـيـدهُ عنهُ ويطـلقـهُ

بهِ يحـقـقـهُ منهُ يخلـقـهُ فـيـهِ يعـشـقـهُ لهُ يشـوقـهُ

إنَّ الوجـودَ لـهُ حـدٌّ ومسـتندٌ فى الكائناتِ وأحـوالى تصـدِّقـهُ

و نٌ وق مـعَص وسـائطٌ ظهـرتْ تعطى الغنى وهىَ بالأسـماءِ تغـرقهُ

وإذ بدتْ سبحاتُ الوجهِ واتصلت بالكونِ أضواؤها فى الحـالِ تحرقُهُ

من أعجب الأمر أنَّ الستر منسدلٌ والنورُ من خلفـه وليس يخـرقُـهُ

وكلُّ سـتـر فمجـموعٌ ويشـهد لى أجـزاؤه ثـم لا تأتى تمـزقـهُ

﴿وقال أيضاً﴾

إذا نَطَـقَ الكتـابُ بمـا حـواه من العـلمِ المفـصل نُطقَ حـالِ

علـمتُ بأنه عـلمٌ صـحـيحٌ أتـاكَ بهِ المـثلُ فـى المـثـالِ

إذا جـهلَ السـؤالَ فـإن فـيـمـا تراهُ إجـابةُ عـلمِ السـؤالِ

أذودُ عنِ الـقـرابـةِ كلَّ سـوءٍ بأرمـاحٍ مـثـقـفـةٍ طوالِ

من ألـسنةِ حِـداد لا تُبـارى أتتـك بهنَّ أفـواهُ الـرجـالِ

رأيتهمُ وهم قدما صفوفا | عبيدُ مهيمنٍ ولنا الموالي
فإنَّ الله أرسلهم رجالاً | لإلحاق الأسافلِ بالأعالي
وإلحامِ الأباعدِ بالأداني | وقالوا: النقصُ من شرطِ الكمالِ
ولكن في الوجودِ وكلّ شيء | يكونُ كمالهُ نقصُ الكمالِ
ولولا الانحرافِ لما وجدنا | فلا تطلبْ وجودَ الاعتدالِ
بأنَّ اللهَ لا يعطيهِ خلقًا | فإنَّ وجودَه عينُ المحالِ
ولا تسألْ قرار الحالِ فينا | فإنَّ الحكمَ فينا للزوالِ
معَ الأنفاسِ والأمثالِ تبدو | هي الخلق الجديد فلا تبالِ
وليسَ شؤونُ ربي غيرَ هذا | وهذا الحقُّ ليسَ منْ الخيالِ
رأيت عمى تكوّن عن عماء | وأين هُدى البيانِ من الضلالِ
فلا يحوي المعارفَ غيرُ قلبٍ | فإنَّ الحكمَ منْ حكمِ العقالِ
إذا عاينت ذا سيرٍ حثيثٍ | فذاك السيرُ في طَلَبِ النوالِ
إذا وفي حقيقتهُ عبيدٌ | له حكمُ التفيؤ كالظلالِ
ألا إنَّ الكمالَ لمنْ تردى | بأرديةِ الجلالِ معَ الجمالِ
فيفهمُ ما يكونُ بغيرِ قولٍ | ويعجزُ فهمَهُ نطقُ المقالِ
لو أنَّ الأمر تضبطه عقولٌ | لأصبح في إسارٍ غيرِ والِ
وقيدَه اللبيبُ وقيدَتْهُ | صروفُ الحادثاتِ معَ الليالي
وإنَّ الأمرَ تقييدٌ بوجهٍ | وإطلاقٌ بوجهٍ باعتلالِ

إذا كان القوىُّ على وجوهٍ محققةٍ تؤولُ إلى انفصالِ
فأقواها الذى قد قلتُ فيه يكون لعينه عين المحالِ

﴿وقال أيضاً﴾

الحمدُ للأولِ والآخرِ الأحدِ الباطنِ والظاهرِ
بوحدةِ الكبر عرفت الذى قرره الرحمنُ فى خاطرِى
إنَّ الغنى وصفٌ لهُ ثابتٌ عند اللبيب العاقلِ الناظرِ
والنقلُ قد أثبت أسماءَه لحكمةِ الخابرِ والحائرِ
والكشفُ قد قالَ بهذا وذا لأنه فى الموقفِ الباهر
يبهر أربابَ الحجى بالغنى ويبهر الناقلُ بالخابرِ
وهوَ على ما هوَ فى نفسهِ يحكم للأوَّل والآخرِ

﴿وقال أيضاً﴾

ألقى الهوى فى القلبِ ما ألقى فلا تسلْ عن كنهِ ما ألقَى
لقيتُ منه الجهد فى لذة لأننى عبدٌ له حقَّا
أضلنا اللهُ على علمنا به فما أعذبَ ما نلقَى
تعبدَ القلبُ هواهُ فما ينفكُ قلبى للهوى رقَّا
رقيتُ للحبِّ إلى راحةٍ ملذوذة غيرى بها يَشْقَى

لما درى بـأننـى عـــــبـــــدهُ ... قـضى بضـربى الغربَ والـشرقَـا

قـدْ دبت فـيـمـا حـازَ منْ رقـةٍ ... ومنْ جـمـالٍ والهـوى عـشـقَـا

والله لـــو أنَّ الـــذى عـنـــدنـــا ... منهُ بـأقـــوى جـــبلٍ شـــقَّـــا

قـــد رقَّ لى الشـــامـت مما يرى ... وحـــسبكم مـن شـامِتٍ رقَّـا

مـا إنْ رأيـنا فى الهـــوى عـاذلاً ... إلا ولا بُـــدَّ لـــه يـــلـــقَـــى

مـــثـلَ الذى يلقـــاهُ ذو لـوعـــةٍ ... وهوَ الذى ســــمىَ بالأشــــقَى

كـمـــا الذى قـــدِ اتقى نفـــسهُ ... وربُّهُ ســـــمــــــاهُ بـالأتقَـى

فـــاشـربـهُ مـراً ولذيـذاً فـمـــا ... بكاسٍ غــيـر الحبِّ مـا تـسـقَى

ألا ترى مـــوسـى ومـــا مـــوله ... أعطاهُ مـــا أمـلَ والصـعـــقَـــا

فكانَ مـوسى صـــادقًـا فى الذى ... قـد جـاء يـبـغـيـه به صِـدقَـا

فـــعندمـــا ردَّ إلى حـســـهِ ... تابَووفى الـعـهـدَ واسـتـبـقَى

وكلـمـــا كـــانَ له بـعـــد ذا ... مما رأى مـنْ ربهِ وفـــــقَـــــا

أثمـــــر فـــيــــه ذاك مـن ربه ... فى ليـلة الإسـرا بـنا رفـقَـــا

وعـــايـن الروحَ وقـــد جـــاءه ... إذ ســـدَّ بالأجـنحـة الأفـقَـا

يخـــبـــره أن الســـمــــاءَ التى ... ترى وأرضًـــا كـــانتـا رتـقَـا

فـحكمُ الـفـصلِ بهـا والقـــضـا ... فـــصـيـــراهَا حكمـة فَـتْـقَـا

لا يشـربُ الخـــالصَ عـبـــدٌ هنا ... من كلٍّ مـــا يشـــرب إذ يُســـقَى

منْ كـانَ أمـشـاجًـا منْ أخـلاطه ... فكـيفَ لا يـشـــربـهُ رَيْقَـــا

منْ يبـتـغى العـصمـةَ فى حـالةٍ ... دائمـــة يـســتلزم الـصِّــدقَــا

والصـــدقُ لا شـكَّ مـــا ترى ... أنــزلـهُ اللـهُ لـنـا رزقَــــــا

فـيــأخـذ العــبـدُ علـى قـدره ... منهُ كــمــثلِ الرزقِ لا فــرْقَــا

مـا إنْ رأينا فى الهـوى حـاكمًا ... أبـقــى ولا أتـقـى ولا أنــقَـى

مــثلَ الذى يعــرفُ مــقــدارَهُ ... فــإنهُ قـــدْ حـــازهُ سَــبْــقَــا

العلمُ يـسـتــعـمـلُ أصـحـــابهُ ... لا بدَّ مـنهُ فـــالزم الحــقَّـــا

فـــإنّ قـــومًـــا لم يـقـــولوا بذا ... لجـهلهمْ بـالعلمِ أو فِـسْــقَـــا

﴿وقال أيضًا نصيحة﴾

أمّـــنــك اللهُ وســـلــطـــانُــه ... علـى الذى أنــت به قـــــائـمُ

فـــاحـكم بما تـعلمـــه لا تنِ ... فـــإنك المســؤول يا حـــاكمُ

يحكم عـــدل الله فـيكم كــمـا ... أنت بـه فى خلـقـــه حـــاكمُ

وأنــتـــمُ أهــلٌ لمـا نـــلـتــمُ ... فـى ظنـنا وربـنا الـعــــالـمُ

وحـــرّر الميــزان يـا ســيـــدى ... فـــإنـهُ العـــادلُ والقــــاسمُ

وقـــد عـلمــتم أننى نـاصحٌ ... ومــشـــفقٌ ومـــا أنـا زاعمُ

فلـتــعـــتــصمْ بـحــبلـهِ إنهُ ... كـمـا علمتُ الحــافظُ العـاصمُ

واحـذر من المكر فـقـد يختـفى ... فـــإنهُ الـقـــاهرُ والـقـــاصمُ

﴿وقال أيضاً﴾

يا لائمى فى مــــقـــالى لا بــدَّ فـــــيـــــهِ تُـلْقَى
إنْ كـنـت ثوبًـا عـلـيـــــه فــــــانـنى منـك أنْـقَـى
أو كـنتَ عـــــبـــــداً لديـه فـــإننى فـــيــه أبِقَـــا
أو كـنـتـــــــه فـى يـديـه فـــــإنـنـى منـه أبْـقَـى
قـــد حـــزتُ كلَّ مـــقـــامٍ لـلـهِ مِـلْـكًـا ورِقَّـــــا
وإنــنـى فـى أمـــــــورى إذا نـظـرت مُـــــــوَقَّـى
فــاحـــمـــدْ إلهكَ تحـــمــدْ خلـقـــا وخَلْـقًـــا وخُلُـقَـــا
وكـــنْ بـــهِ مـــن لــــدنِـــه تحـــورُ علـمًـــا ورزْقَـــا

﴿وقال أيضاً﴾

الهــــوى حـــيّـــرنـى فـى الَّـذِى تـعـلَـمُـــــــهْ
فـــــــإذا قـلـتُ أنـا قــــالَ لا أعـلـمُـــــهُ
وإذا قـــــلـــــتُ بـــلـــى قـــال ذا أفـــهـــمُـــه
مـــا أنـا غـــيـــر الـهـــوى ولـذا أحـــكـمُـــــــهُ
والهـــوى يـعـــرب مـــا لمْ أزلْ أعـــجـــمُـــهُ
ولـنـا مـنْ كـلِّ مــــــا قـــالَ لـى مـــحكـمَـــهُ
هـكـذا عـــــــرفـنـى ســـيــدى مـــحكمَـــه

فبه أظهرهُ ... ولـه أكتمُهُ

وأنا العبدُ الذى ... قد هوتْ أنجُمُهُ

يطلب الأمر الذى ... فى الثرى مَعْلَمُهُ

ولذا أعدلُ فى ... كلِّ ما أظْلِمُهُ

عين ما أوضحه ... عين ما أُبْهِمُهُ

فإذا أمدحهُ ... فأنا أكلِّمُهُ

والذى ينقض لى ... فأنا أُبْرِمُهُ

ولذا يبصرنى ... أبدًا أُبْرِمُهُ

﴿وقال أيضاً﴾

اقتلونى يا عداتى ... بوفائى بعد آتى

إننى أحيى بهذا ... فحياتى فى مَماتِى

ينقل الشخصُ اختصاصا ... من هنا لا عنْ مماتِ

ويراهُ الحسُّ فى صو ... رةِ أقوامٍ مواتِ

وبعينِ الكشفِ يعلمُ ... أنَّ ذا غيرُ مواتِى

بل حياةٌ استمرت ... فى فتىً أو فتياتِ

أنا أبصرتُ علوما ... كالجورِ الزاخراتِ

فى فؤادى وعيونًا ... من سحاب معصراتِ

ينتهى من غيرِ حدٍّ   نظرٌ لا بأداتِ

فأنا فردٌ وحيدٌ   وأنا الكلُّ بذاتِى

عين إفرادى صحيح   إنَّه عينُ ثباتِى

كمْ دعوتُ الله فيهمْ   بزوالٍ فى ثباتِ

ما أرى غيرَ وجودى   فى اجتماعى وشتاتِى

كلما قلتُ أتانى   قيلَ لى اسكنْ فسياتِى

كمَّلَ اللهُ وجودى   بأبٍ ثم بناتِ

فأنا ابنٌ وأنا أيـ   ـضًا أبٌ فى المحدثاتِ

ما لنا منهُ سوى ما   قد علمتم من سِمات

ونعوتٍ أظهرتْها   محدثاتٌ وصفاتِ

لم أجد عين غناه   دون ذكرى حين ياتِى

فغناه عن وجودى   وأنا فيه بذاتِى

ليتَ شعرى كيفَ هذا   وبقائى فى وفاتِى

وأنا غير فقيد   ناظرا حال حياتِى

قد تحيّرتُ وما لى   مخرجٌ من غمراتِى

إننى عبدٌ ذليلٌ   لرفيعِ الدرجاتِ

أرى كثراً فى وحيدٍ   يا لها منْ خطراتِ

كلما رُمتُ انفكاكا   لمْ أزلْ فى عثراتِى

فتراني الدهر أبكي | لدوامِ الحسراتِ
ثم ناجاني بأمرٍ | فيهِ ذكرُ الحسناتِ
إنْ سمعنا وأطعنْا | ثمَّ ذكرُ السيئاتِ
إنْ سمعنا وعصينا | ما أتى في الكلماتِ
بين إلقاءٍ صريح | بيّن أو نفثاتِ
ثمَّ ما لي غيرُ سكني | درج أو دركاتِ
في شهودٍ أو حجابٍ | عنْ نعيمِ اللحظاتِ

﴿وقال أيضاً في الوارد بعينه وهذا لسانه﴾

ما رأينا من وجود | مثلَ جودِهِ الأتمِّ
مثلَ جودِ الله فينا | في عمومٍ وأعمِّ
ورأينا مَن تعالى | فوق عرشِه الأطمِّ
قد طما سيلُ جداهُ | منه عن أمرٍ مهمٍّ
فشهدنا كلَّ شيَ | كانَ منْ وصفٍ أو اسمِ
وسألتُ اللهَ أنْ يضـ | ـربَ لي فيهمْ بسهمِ
قالَ لي ليسَ لذاتي | ما بدا مني لكمّ
بلْ لكَ الكلُّ جميعًا | هكذا أعطاهُ علمي
لم يكن ظنًّا ولا ما | ينسب الوهم لفهمي
هكذا الأمرُ فقسمْ | ثمَّ خذْ منهُ بقسم

ما يعمُّ الشربُ خلقًا ... أبدًا ولا بوهمِ

هو همى فى سرورى ... وفى أفراحى وغمِى

ولذا جاءَ يردنى ... أبدا فى كلِّ حكمِ

باسمكمْ سميتُ نفسى ... مثلَ ما سميتُ باسمِى

ما أنا غير المسمى ... لا ولا غير المسمِى

كلُّ شىء فىّ بالفعـ ... ـل كذا أعطاه زعمِى

قلتُ للظاهرِ منى ... فى وجودى أينَ عمِى

أنا مشتاقٌ إليه ... قال عند الشرب يصمِى

فإذا جئتُ إليهِ ... عدٍّ عنهُ ثمَّ عمٍّ

أمره عنهم وصرِّح ... بمديحى وبذمِّى

ولتقم فيهِ خطيبًا ... بالذى فيهم وسمِّى

ولتعينْ كلَّ شخصٍ ... بالذى فيهم من إثْمِ

منْ عناق فى حرامٍ ... وارتشافٍ عند لثْمِ

وستورٍ مسدلاتٍ ... وجماع عند ضَمٍّ

﴿وقال أيضًا في الفرق بين الوارث الموسوى والوارث المحمدى﴾

إذا النورُ من فارا[1] أو من طُور سيناء ... أتى عاد نارًا للكليم كما شاءَ

---

(١) فارا - اختصار لفاران وهو جبل بمكة كما ورد فى الحديث الذى بين مواطن الوحى فى مكة وطور سيناء وفلسطين. وكما جاء فى قوله تعالى: ﴿والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين﴾ [سورة التين الآيات ١ - ٣] فالتين والزيتون إشارة إلى فلسطين، وطور سينين إشارة إلى سيناء، وهذا البلد الأمين إشارة إلى مكة المكرمة.

فكلمـــه منه وكـــان لحـــاجـــة | رآهُ به فـاسـترسـلَ الحالَ أشـيـاءَ
وإنشاءَ ربُّ الوقتِ منْ حـالِ منْ سعى | على أهلِه من خالصِ الصدق انشاءَ
وأمـا أنا من أجلِ أحمـدَ لمْ أرى | سـوى بلةٍ منْ قـدرِ راحـتنا مـاءَ
فلم يك ذاك القــول إلا ببـقـعـة | من الوادِ سـمَّـاها لنا طورَ سـيناءَ
واسـمعنى منهـا كـلامًا مـقدَّسـا | صريحًا فصحَّ القولُ لمْ يكُ إيماءَ
ولم يحكم التـكليفَ فـينا بحـالة | وجـــاء به الله المهـــيـمنُ أنبـــاءَ
فـألقـيتُ كلَّ اسمٍ لكونى وكـونهِ | إذا انصف الرائى يفـصل اسمـاءَ
وكان إلى جنبى جلوسًا ذووا حجىً | فلم يفـشه من أجـلهم لى إفشـاءَ
ومـا ثـم أقـوالٌ تُعـــاد بعـينـهـا | إلاَّ كلَّ مـافى الكـونِ للهِ لهُ بداءَ
إذا ماتتِ الألباب من طول فكرها | أتى الكشفُ يحييـها من الحقِّ إحياءَ
وقدْ كانَ أخفاها من أجلِ عشرتى | لنكرٍ بهمْ قـدْ قامَ إذْ قـالَ إخفـاءَ
خفاها فلمْ تظـهرْ دعاها فلمْ تجبْ | وكان الدعـا ليلا فأحـدثَ إسراءَ
ليظهـر آياتٍ ويـبـدى عـجـائبـا | لناظره حـتـى إذا مـا انتـهى فـاءَ
إلى أهـله من كـلِّ حسٍّ وقـــوّة | فـقـرَّب أحـبـــابًا وأهلكَ أعـداءَ
وأرسل أمـلاكـا بكل حـقـيقـتـه | إليـــهِ علـى حبٍّ وألفَ أجـــزاءَ
وأبدى رسـومـا داثراتٍ من البلى | فـأبرزَ أمـــواتًا وأقـبـرَ أحـــيـاءَ
وأظهـر بالكاف التى عـميت بهـا | عـقول عن إدراك التكافـؤ أكفـاءَ
ومـا كـانتِ الأمـــثـالُ إلاَّ بنورهِ | فكانت لهُ ظلاً وفى العـلمِ أفيـاءَ

وارسل سحبًا مُـعصراتٍ فامطرتْ لتـــرتيـبِ أنواء وحـــرَّم أنواء

فـرَوْضكَ مطلولٌ بـكلِّ خـمـيلةٍ إذا طلـهُ أوحى مـنَ اللـيلِ أنـداءَ

فـعطرَ أعـرافًـا لهـاه فـتـعطرتْ أزاحَ بهـا عنْ روضهِ اليـانعِ الداءَ

وصـيـــرَها للداءِ عـنهـا مـــزيلةٌ فكانت شـفـــاءً للمـسـامِ وأدواءَ

وأطلع فيهـا الزهر من كلِّ جانبٍ نجوما تعالت فى الغصون وأضواءَ

وقدْ كانتِ الأرجـاءُ منْها على رحى فـأوصلهـا خيـرًا وأكـبرَ نـعمـاءَ

فهذى علومُ القـوم إنْ كنتَ طالبًا ودعْ عنكَ أغـراضًا تصـدُّ وأهواءَ

فدونك والزم شـرعَ أحمـد وحدَه فإنَّ لـهُ فى شرعةِ الـكلِّ سيـساءَ

﴿وقال أيضًا﴾

لىَ الملـكُ لا بلْ نحنُ للمـلكِ آلةٌ فإنْ كنتَ ذا علمٍ بما قلتَ فاهتدى

تخيل لى السلطان ان كنتُ حاكمًا بصـورة مـهدىّ وسـنة مهـتـدى

فـإنَّ بالاستـحـقاقِ قـدْ نالَ ملكهُ ويغـــفلُ عـــمَّـا فى الـرداءِ لُمرْتَدِ

وليسَ بالاسـتـحقـاقِ مـا نالَ آيةً ليـسألَ عنهُ فى الـقيـامةِ فى غـدِ

يقـابل من يلـقى بدرعٍ حـصـينة ويقــــتلُ أعـــداءً بـكلِّ مــــهـنَّدِ

﴿وقال أيضًا من نظم التوشيح﴾

﴿مطلع﴾

ألا بأبى مـن ضـمـــه صـــدرى وأدريه قـطعـــــا وهـو لا يَدْرِى

﴿دور﴾

لقــــدْ أقـــسمَ الحقُّ بما أقـــــسمْ

وعلـمنـا مـــــالـمْ تكـنْ نعـلمْ

وأوضحَ لى مـــا كـانَ قــد أبهمْ

فـــــأقـــسمَ بالشـــــفعِ وبالـوترِ فـأثبتَ عـينـى عندَ ذى حـجـرِ

﴿دور﴾

لقـدْ صـحَّ لى منْ كنتُ أبغِـــيـهِ

وأثبـــتــه وقـــتــــا وأنفِـــيـــهِ

وقلتُ لمـنْ قـدْ جـــاءَ يطغـــيـــهِ

لقـــد مـر بـى الليلُ إذا يســرِى بحـالـةِ عُـسْـرِ الكونِ فـى يُسْـرِ

﴿دور﴾

نظـرتُ إليـــــه نظـرَ العــــــينِ

بأكـملٍ وصفٍ يـقـتـضى كـونِى

وفى كـــشــــفـــه أرديةُ الصـــونِ

وقـــدْ خطَّ بالأمـــرِ الذى تدرى منْ قـــدرِ الذى ســـورةِ القـــدرِ

﴿دور﴾

وليلةِ قدرٍ ما لها صبح
ينزل فيها النصرُ والفتحُ
على قلبِ عبدٍ نعتُه الشرح[1]

ينزل فيها عالم الأمر   والروحِ إلى مطلعِ الفجرِ

﴿دور﴾

لو أنِ الذى أشهدت فى الجهرِ
وأعطيتهُ فى الشأنِ والأمرِ
يلوح لذى الطُّور من الستر

أكلم فى النار الذى تدرى   وصيرهُ فِى قبضةِ الأسرِ

﴿دور﴾

وجاريةٍ باتتْ تغنيهِ
وتومى إلى الغيرِ وتعنيه
وما تبتغى إلا تعنيهِ

أجرُّ ذيلى أيما جرٍّ   فأوصلُ منكَ السكرَ بالشكرِ

---

(١) يقصد نزول سورة الشرح فى حق النبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وشرح وانشراح الصدر نعمة من المولى عز وجل على نبيه ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه.

﴿وقال أيضاً﴾

لـمْ يـنلْ مـنْ وجـــودِنـا ... الـذى أنـتَ نـلـتَـــهُ

غـــايـةُ الأمــــرِ أنْ يكـو ... ن الـذى أنـت كـنـتَــهُ

فــــإذا مـــا رأيتــــه ... مــقــبــــلاً قلتَ أنـتَ هُو

وإذا مـــــا رأيـتَـــــهُ ... مــــــدبـرًا قلـتَ لـستَ هـُـو

إنّ فـــيكـمْ عــــلامــــةً ... من تـفــتــه قـــد فــتَّـــهُ

مــــا لمجنـون عـــــامــــر ... غـــيرُ مـــا قـدْ ســمــعتَـهُ

من هـوى بنـت عــــمــــه ... وهى مـن قـــد عـلـمــتـــهُ

لم يـكن غــــيــر ســـيِّـــدى ... فى شـــخـــيصٍ نصــبـــتــهُ

فـــبـــهِ قـــدْ أبنـتـــهُ ... وبه قـــد ســـتـــرتـهُ

فــــإذا مـــا جــــهلتـــه ... فـــاعلم أنْ قـــدْ علـمــتَــهُ

﴿وقال أيضاً﴾

إنْ دارًا أنت فـــيـــهـا تُهـنّى ... وديارًا لسـتَ فـيــهـا تعــزَّى

فـــاشكرِ اللـه على كلِّ حــــال ... واتخـــذْ ربكَ ركنًا وحِـــرْزَا

﴿وقال أيضاً﴾

حـمدتُ إلهى والمحـامدُ جَـمّتـه ... على كلِّ حـالِ اقــتـداءٍ بمنْ بَلِى

لقدْ رمتُ تحميدَ المسرةِ مثلما أتى عنه فى الوحى الصريحِ المنزلِ

فقامَ بحمدٍ جاءَ منْ عندِ منعمٍ كذا صحَّ عنهُ ثمَّ جاءَ بمفضلِ

وحمدى حمد الضرِّ لم أر غيره وأعظمهُ فى الدينِ فاصبرْ وأجملِ

وصورتهُ حمدى على كلِّ صورةٍ تكون من الله العظيمِ المفضلِ

ولولا حديثٌ صحَّ عنْ خيرِ مرسلٍ لقلت: لحى دهرًا إلهى وموئلِى

ولكنْ تسمى باسمهِ فاحترمتهُ على كلِّ إقبالٍ بإدبارِ مقبلِ

رَمَتنى الرزايا منه حين تَوسلى إليهِ بهِ إذْ صادفَ الرمىُ مقتلِى

فلوْ كانَ لى خبرٌ بريبِ صروفهِ لما كان منى ما بدا من توسلِى

توليتَ إذْ وليتَ قومًا أمورنا منَ السنةِ المثلى وأكرمِ مرسلِ

وحكمتهم فينا فعاثوا وأفسدوا فإنْ ذكروا جاؤووا بعذرٍ معللِ

وقالوا لنا صبرًا على ما رأيتهمْ قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

حبيبى رسولُ اللهِ لم أنوِ غيره ومنزلنا الشرعُ الذى أمرنا ولِى

ألا إن سيل الجور فى الأرض قد طما فيا زمن المهدى أسرع وأقبلِ

«وقال أيضًا»

علمى بربى عزيزٌ ليسَ يعرفهُ إلا الذى ذاقه من خلقه أحدُ

وهم رجالٌ ذوو علمٍ ومعرفةٍ لأنهمْ وجدوا عينَ الذى أجدُ

مضى بكلِّ الذى فى النفسِ منْ جلدِ لم يبقَ لى سَبَد منه ولا لِبَدُ

وليسَ علمى بشىءٍ غابَ عنْ بصرى لأننى عــينه والأمــرُ مـتَّــحـدُ

فلست أجــهلنى ولا أكــيـفــه لو أننى عشتُ مـا قدْ عاشَـه لبدُ

مـا زال يطلبنى مـن كنتُ أطلبـه وليس يثـبت من قولى هنا عـددُ

لانهــا نسـب والعــين واحــدة مــا بيننا وبـهـذا الـعلم ينفــردُ

إنى رويتُ علومًـا عن مهـيمنهـا ومـا لنا غـيـرُ أسـمـاء لهـا سَنَدُ

هم الشيوخَ لنـا إنْ كنت تعرف ما ذكـرتـه وهم السـادات والـعـددُ

بهم يدافــعــهم وليس غــيـرهمُ هناك فــاعلم بأنَّ السـاكـن البلدُ

لولا تحـكمـــهــمْ لمْ ندرِ أنـهمُ همُ وعينُ حـجاب الناظرِ الجسَدُ

لذاك يحـسـدنا منْ لـيسَ يعـرفُنا وليس ثَم فـلا عـينٌ ولا حَـسَـدُ

﴿وقال أيضًا﴾

شــــغلـى بمن شــــرَّع لى الـشـ ـغـلَ به فــــــحــــــيَّـــــــرَا

خـــــــــاطـبـنـى بـأنـنـى عـــــبــــــدٌ له ومـــــا نَرَى

لـعــــــينـه من شـــــاهـد إلا الـعــــــــــمـى والأثـرَا

وقــــــــــالَ لـى إنّ الـذى تـراه قـــــــد ظـهَــــــرَا

ولــــولاكَ يــــا ربَّ الــــورى مـــــــــا كـنـتُ إلا الـورَى

مـــــثـلُ الذى قـــــالَ لنا منْ صــــحـــةٍ قــدْ انبَـــرَى

مـــيــــراثنا منْ أحـــمــــدٍ خـــيـــــر الأنام والـورَى

خيرِ إمامٍ طاهرٍ سليل أعراف الثَّرَى
صلى عليه الله من خليفةٍ قد ظهَرَا
بكلٍّ ما أمله من ربه ما افتَخَرَا
لأنه عبدٌ وما للعبدِ أنْ يفْتَخِرَا
إلا بمن كونّه عبدًا لهُ فاشتَهَرَا
أنا الذى قلتُ أنا لذا يقينا خبَرَا
لو أننى قلتُ أنا به رأينا عِبَرَا
فاحمدْ وزدْ فى شكرهِ يُزْدكمُ ما ذِكْرَا
فى محكمِ الذكر لنا لشاكرٍ إنْ شُكْرَا

﴿وقال أيضاً﴾

علمى بالرحمنِ لا يثبتُ لوصفه بالغضبِ القاصمِ
فى حق من أهله للشقا وسخطه الدائمُ واللازمِ
إذا أتى الأمر بإنفاذه فما له فى الأمر من عاصمِ
لوْ لمْ يكنْ يغضبُ قلنا لهُ بذا أتت ترجمة الحاكمِ
من يتجلى حكمه فى الورى بصورةِ المظلوم والظالمِ
عنهُ فلا يأمنُ منْ مكرهِ غير ظلوم نفسه غاشمِ
وعينه كونها فانظروا فإنهُ القاسمُ فى القاسمِ

كـيفَ لـنا بالأمنِ من مـكر منْ … صـيـرنى فى حلقـةِ الخـاتمِ
من يعـرف الأمـر بفـرقـانه … منْ عـرضـهِ يـوصفُ بالعـالمِ
لوْ لمْ يكـلف عـبـدهُ شـرعـهُ … لم يتـصف بالأحـد الراحمِ
مـا حـيـر العـالم إلا الذى … قـدْ ضـربَ العـالمَ بالعـالمِ
إذا درى الشـخصُ بعلـمِ الذى … حـيـرّه لـم يك بالـقـادمِ
إلا إذا أبصـر مـعلومـه … أزالَ عنـهُ حـيـرةَ الـهـائمِ
ويحـذر الأمـر ويخـشى الذى … يـقـودهُ لـلـوصفِ بـالنـادمِ
لو أنـه يعـرف أحـواله … لم يتـصف للـدينِ بالعـازمِ
وكـان ذا رأى وذا فـطنـةٍ … فـعل اللبـيب الحـذر الحـازمِ

﴿وقال أيضاً﴾

الحـمـدُ للهِ حـمـدَ منْ لمْ … يجـدِ جـزاءً ولا شُـكُوراَ
وإنما الـعـبـد قـيل لـه قل … فـقـالَ مـا قـالهُ خَـبِيـراَ
بأنـه فـيـه عـبـد قَنٍ … ممتـثـلا امـره الكَثـيـراَ
لمْ يتـخـذْ دونهُ وليًـا … فى حـمـدهِ لا ولا نَصِـيـراَ
مـن عـلـم الحـقَّ عـلـمَ ذوقٍ … يعـلمُـهُ ناقـداً بَصِـيـراَ
مـن حكـم الـعـلـم فـى هـواه … كـان على نفـسـه قَـديراَ
يـعـرفـهُ كلُّ مـنْ رآهُ … بنعـتـه سـيِّـداً حَـصُـوراَ

﴿وقال أيضاً﴾

كم رأيناك ولم تَشْعُرْ بنَا ... إذْ أنا أنتَ وما أنتَ أنَا[1]

يعلمُ اللهُ بأنى عبدُ مَنْ ... كلما قالَ أنا كانَ أنَا

تاه فيه الفكر من عزته ... ليرى ما لا يُرى إلا بنَا

فإذا ما قلتُ هبْ لىَ نظرةً ... قالَ لا أفعلُ ما دمتَ هنَا

زلْ ترى ذاكَ الذى تطلبهُ ... من وجودى بكَ مرأىً حسنَا

إنَّ قلبى عين قلبى فانظروا ... تبصروا ما قلتُ صبحًا بينَا

لستُ ممن شرب العلم به ... عسلاً بلْ كانَ ورشًا لبنَا

فإذا أسند لى ما يدَّعى ... من نصوصِ الوحى فيهِ عنعنَا

حدث القلب عن الروحِ كما ... حدثَ القلب عن الله لنَا

إننى عينك فانظر ما ترى ... فأتى بالنص فيه ما كنَى

﴿وقال أيضاً﴾

حدّث الشيخُ أبونا ... عن أبيه عن قتادَهْ

عنْ عطاءِ بن يسارٍ ... عن سعيدِ بن عبادهْ

إنَّ مَنْ مات محبًّا ... فله أجر الشهادهْ

ثم قد جاء بأخرى ... مثل هذا وزيادهْ

عنْ فُضيْلِ بن عياضٍ ... وهوَ من أهلِ الزيادهْ

---

(١) يتحدث كعادته فى هذا الديوان عن نظرية وحدة الوجود التى ينكرها جمهور العلماء وجمهرة من علماء وأئمة التصوف على الوجه الذى بيناه فى المقدمة.

إن مـن مـــــات خـلـيًّـــــــا كـــــانتْ الـنارُ مــــهـــــادهْ

﴿وقال أيضًا﴾

قـــــد عظـم اللهُ مـــا أقـــولُ فى حكـمـــةٍ مـــا لهـــا دلـيلُ

أظـهـــــــــــرهـا لـلأنـامِ طـرًّا فى جُـــملٍ كـلهـــا فـــصُــولُ

قـــيلَ لـنا إنهـــا رمـــــوزٌ قلـتُ لهمْ هـذهِ الســـبـــــيلُ

أوضحَ مـنى عـلى وجـــــودى تقـصـرُ عنْ فـهـمـهـا العـقـولُ

مـــا إنْ رأينـا ولا ســمـــعـنا بـأنَّ أذهـانـنـا تجـــــــــولُ

فـيـــهـا لبـعـدٍ بغـيـــرِ قـربٍ يحـــار فى حكمــهـــا النبـــيلُ

﴿وقال أيضًا﴾

إلهى وفِّـقْنِى إلـى كلِّ مـا يُرضى ورضِّ فؤادى بالذى أنتَ لى تَقْضِى

فـإن كان سـرَّاءَ حمـدتُك مُنعمـا وإنْ كانَ ضراءَ نظرتُ إلى المقضِى

فـانظر فـيـه بـالذى قـد ذكـرته فإنْ كانَ لا يُرضى عدلتُ إلى المرضِى

وإنْ كانَ كلِّى مستقيمًا سررتُ بى وإنْ كان بعضى همٌّ بكيتُ على بعضِى

إلهـى أرجــــو من عنايـتِكُم بـنا إذا زلتُ عنْ ندبٍ أسيرُ إلى فرضِ

وإنْ كنتُ فى رفعٍ بربى مـحـققًـا فلا تحـجبنى عن عبـوديَّةِ الخفضِ

وإنْ أنتَ من أهلِ القراضِ جـعلتنى إلهى فوفقنـى إلى أحسنِ القرضِ

فنصفٌ لكمْ مثلُ الصلاةِ معينٌ ... ونصفٌ لنا منْ غيرِ نكثٍ ولا نقضِ

أفوِّضُ أحوالى إليكَ مسلِّمًا ... لأكتب فيمن أمره للرضى يفضِى

وأسألُ ربى أنْ يمنَّ بعصمتى ... هنا ثم فى يومِ القيامةِ والعرضِ

ويجعلُنى ممَّن سما واعتلى به ... إليه إذا كانَ الخروجُ منَ الأرضِ

ويوصلُ لى بشراهُ بالخيرِ منعمًا ... إذا حل تركيبى وأسرع فى نقضِى

وأفرض لى قاضى السماء معيشتى ... عليه وهل تبقى فضولٌ مع الغرضِ

ومهما دعانى نحوه جئتُ مسرعا ... على الناقةِ الكوماءِ بالعدوِ والركضِ

﴿وقال أيضًا﴾

شكرتُ نعمةَ ربى حينَ أظهرَ لى ... وجْهَ القبولِ وجازانى بإحسانِ

لَمَّا تكلمَ فيهِ لمْ يجيءْ أحدٌ ... بمثل ما قُلْتُه فيه ببهتانِ

عند المخالفِ إلا رسُله ولنا ... عنِ الكتابِ وعنْ كشفٍ وإيمانِ

الله يعلمُ أنى ما ذكرتُ لكم ... إلا الذى نصهُ عنهُ بقرآنِ

فعم عقدَ جميع الخلق كلهمُ ... ما قاله وهو عقدى وهو برهانِى

إلا الشريكَ الذى بالجهلِ أثبتهُ ... منْ كانَ مسكنهُ بدارِ نيرانِ

نادانى الحق لما أن علمت به ... خير الموازين بالبرهان ميزانِى

فزنْ بهِ وهوَ قرآنى وما نَطَقَتْ ... به التراجم عنِّى فهو تبيانِى

فزنْ بهِ لا تزنْ بالعقلِ إنَّ لهُ ... فى الوزنِ تطفيفًا أو نقصًا بخسرانِ

وقال أيضاً فى مبشرة رآها فعمل أول بيت من هذه القصيدة فى النوم ولما استيقظ وجد لسانه ينطق بالأبيات كلها

بنفسى الذى يلـقى المحقَّ وما لقِىَ ... ولم يبق منه فى الشهـود وما بقِى

لو أنَّ الذى عندى يـكون بخلقـه ... من العلم بى لم يبقَ فى الملك من بقِى

لقــدْ نظرتْ عــيـنى إليــهِ وإنهُ ... ليلقى الذى قـد قـيل لى إنه لقِى

ألا ليتَ شعرى هلْ أرى اليومَ من فتىً ... صحيح الدعـاوى بالصوابِ منطقِ

رحـيم رؤوفٌ عـاطفٌ مـتـعطِّف ... ولوعٍ بذكـراهُ على الخلقِ مشـفقِ

بلفظٍ تراهُ فى الحـقـيقـةِ مـعجـزًا ... لزور الذى يأتى به الخـصم مزهقِ

يناضلُ عنْ أصلِ الوجـودِ بنفسـهِ ... يبـارى رياحَ الجودِ جـودًا ويتـقِى

حـذارا عليـه أنْ يحـوزَ مـقـامـه ... سـواهُ بتـأييـدٍ وغـيـرةِ مـشـفقِ

لقد جهل الأقوام قولى ومقصدى ... ولمْ يدرِ مـا قلناهُ غـيـرَ مـحـققِ

عـساه يرى فى جـوّه من فريسـةٍ ... فليسَ يرى الـتـقـيـيـدَ إلا بمطلقِ

لقدْ رامَ أمـرًا ليسَ فى الكونِ عينهُ ... بنقضٍ وتقـريبٍ كـسيـرِ المحـققِ

ولما رأى أنْ لا وصـول لما ابتـغى ... وأنَّ الذى قـدْ رامَ غـيرُ مـحـققِ

أتى لفظ لا أحـصـى يجـرُّ ذيوله ... بقـوةِ قـهـارٍ بـعـجـزٍ مـصـدقِ

لقدْ صـارَ ذا علمٍ لما كـانَ جاهلاً ... به وهو نفى العلم فـانظر وحـقّقِ

﴿وقال أيضاً﴾

إذا تخلقتُ بالأسـمـاءِ أجمـعهـا　　أسـماءِ ربـى فى خلقٍ وفى خلقِ

علمت أنَّ مع الأمـر الذى هو لى　　منى وإيّاه فـيـمــا كـان من نَسَقِ

لقـد أتيتُ على خـوفٍ بلا وَجَلٍ　　منى ومنهُ وعـهدُ الأمـرِ فى عُنُقِى

لعـهده فـجـرينا نبـتـغى عِوضـا　　على التساوى مـع الأسماء فى طلقِ

إنى تخلقتُ فى أسـمـاءِ صـورتِه　　بخلقِ من خلق الإنسـان من علقِ

لولا يهـيـمنـى حـتى يعـجـزنى　　فيـما ادعيتُ فـأمسى منهُ ذا ملقِ

إنى لأشكو اليمَ الوجـدِ والحـرقِ　　لذا تـرانى ذا شـــوقٍ وذا قـلقِ

لا أبتـغى حولاً عـنهُ ولا عوضًـا　　فـإنْ بدا طبقٌ رحلتُ عـنْ طبقِ

دخلتُ منـهُ إليـهِ فـيــهِ عنْ نظرٍ　　فوافق الكشفُ فى صبحٍ وفى غَسقِ

﴿وقال أيضاً﴾

وسارعَ إلى الخيراتِ سـبقًا فإنَّ منْ　　يسارع إلى الخـيرات يُحمد سَـعْيَهُ

ونافسْ كما قدْ نافسَ الناسُ وارتقِ　　رقىَّ الذى مـا زالَ يعـصمُ وعْيَـهُ

﴿وقال أيضاً﴾

نادانى الحقُّ من عـقلى ومن ذاتى　　فـالسلبُ للعقل والإثبـاتُ للذاتِ

كآيـة الشورى سلبٌ وهى مـثبـتةٌ　　مـا قـدْ نفــتـه منْ إدراكٍ لآلاتِ

إنى عمـلتُ على تحصيـلِ شاهدِه | حـتى شهـدت لما أضمـرت آياتى
فلم أعـــرِّج على أهـلٍ ولا ولد | ولا على أحـــدٍ منْ البـــرياتِ
إلا به فـــرأيت الكل صـــورته | فكنتُ حيًـا بـهِ مـا بينَ أمـواتِ
وعندمـا شـهدت عـينى منائحـه | ذوقًـا علمتُ بهِ علمَ الخـفـيـاتِ
فكنتُ أشـــهـدُهُ فى كلِّ حـــادثةٍ | شهـود من قد رآه فـى الحمـياتِ
فـسلم الأمر فى بـعد وفى كـثب | وجـاد جُـودًا بإيجـادٍ على آلات
بقـاب قوسـين أو أدنى علمت به | علمى بهِ فى الثرى والسـمهرياتِ
إنَّ الخـلافَ وفـــاق ليس يعلـمـه | إلا الذى ذاقـــه عند الـزياراتِ
كـمثلِ أسـمـائه الحـسنى لمعـتبـر | والعــينُ واحـدةٌ والـكلُّ للذاتِ
مع الخـلافِ الذى فيـهـا لناظرها | عند التـقابل من أقـوى الدلالات
على الذى قلـتـه إنْ كنتَ ذا نظر | وكنتَ فـيهِ منْ أربابِ الكرامـاتِ
الحقُّ يعـلمُ مــا وهمٌ بـصـــورهُ | فـــإنـه الحقُّ فى درك النـبــوّاتِ
منْ قالَ إنَّ وجـودَ الحقِّ فى صورٍ | ورآها فـهـوَ جـهـلٌ بالمقـامـاتِ
لو قالَ مع قـالَ علمًا لا خـفاءَ بهِ | والنقضُ يصـحبـهُ مع العلامـاتِ
لنْ قالَ معْ كانَ أولى وهوَ مجهلةٌ | أيضا ولو قال إنَّ العين فى اللاتِى
أصـابَ فى كلِّ وجهٍ من مـقالِتـهِ | شـرعا وعـقـلاً وفيـه نفىُ آفـاتِ

﴿وقال أيضاً﴾

مـــــا والدى إلا الـذى يحـكم　　　وليـس أمى غـــيـــر من تعـلمْ

أصـدقُـهـا الأسـمـاء من جـودهِ　　　وهوَ الصـــداقُ الأشـهــرُ المعلمْ

كـــــــونـنـا مـنْ نفـسٍ أنـزهُ　　　بجــودهِ رحـــمـــانـنا الأكـــرمْ

فـــمن هـنا كـــان لنا حـكمـــة　　　بالــصـــــورة المثلى الـتى تعـلمْ

جـــاد بهـا جـــودًا على كـــوننا　　　الـهنـا المـفـــــــضـل المنعـمْ

صـــيـــــرهُ خــــاتم أرســــالهِ　　　حـمـدًا على الخـيـرِ لمنْ يفـهمْ

ولم يكن فى الـصـبـر تحـمـيـده　　　مــتــقـــيــدًا باسمٍ لمنْ يـعلمْ

تأســـــيــــا بالــوالد المرتـضى　　　فـــهـــو الذى ناداكَ يـا مــسلمْ

لو أنـه ناداك يـا مـــــجـــــرم　　　مـــا كنت من خــذلانه تعـــصمْ

به وقــــاك الشــرّ فـــاشـكر له　　　فــــالشـــمـسُ والأزمم والأنجمْ

فكـشــرهُ عـندَ إلهِ الســــمـــــا　　　شكرٌ بهِ ظـهـرُ العـــدى يقـــصمْ

لأنه عــــرَّفــــهـــــا قـــــدرها　　　إذ جـــابهـــا عـــابـدها المحــرمْ

إن عـرى غـيـر الـهـدى تُفـصم　　　وعـــروةُ الإســـلامِ لا تـفـــصمْ

لأنهــــا مـــذ كـــوَّنـت عـــروة　　　وغـــيــــرها يجــــمعُ إذْ ينـظمْ

فـتـــقـبل التـــحليل من ذاتــهـا　　　ردًا إلـى الـصـلِ ولـوْ يـحـكـمْ

يعـــــرف قــــدر النور ذو فطـنة　　　إذا أتـــاه لـــيـــلـه المــظــلــمْ

﴿وقال أيضاً﴾

الحمدُ لله حمداً ... يربى على كل حمْدِ
بأنه يتعالى ... حالَ النزولِ لوعدِ
نزولُ ربى علوٌّ ... منه إلى كلِّ عبدِ
وإنما جاء عندى ... لمَّا تقدَّمَ عهدِى
وفيتُ لله عهداً ... لذاكَ وفى بعهدِى
حدُّ الإله تعالى ... مجداً على كلِّ حدِّ
وكلُّ حدٍّ فمنهُ ... فلستُ فى ذاك وحدِى
لما أتيت إليه ... سعيا لصدرٍ وورِدِ
أتى بضعفِ مجيئى ... إليه من غير حدِّ
سبحانه وتعالى ... عنْ كلِّ معنىً مؤدِى
إلى حدوثٍ وحدٍّ ... وذاك علمى وعقدِى
إنَّ الحدودَ التى فى ... كلامِهِ المتعدِى
بكلِّ نفعٍ إلينا ... فإنَّ ذلكَ عندِى

﴿وقال أيضاً﴾

العلمُ بالرحمنِ لا يجهلُ ... وهوَ على الجهلِ بهِ يحملُ
فالجهلُ بالرحمنِ علمٌ به ... عليهِ أربابُ النهى عولوُا

قد قـال لا أحصى الذى قـال لى | لأنـهُ منْ عـنـدِهِ مـــــرسـلُ
وقـال صـديق به عـجـزه | دركٌ لـهُ كـــذا روى الأولُ
وقـال بسـطامـينا إنـه | دعـا عـبـادَ اللهِ أنْ ينـزلوُا
إليـه من حـضـرة أكـوانهم | فـأعـرضـوا عنه ولم يقـبلوُا
فـعـندمـا جـاءَ إلـى ربهِ | الفـاهـمُ ضـمـهـمُ المـنزلُ
من حـارب الألبـاب فى وصـفـه | فـإنهـا عن دركـه تسـفلُ
اللـهُ لا يعـرفـهُ غـيـرهُ | ومـا هنا غـيـرٌ فـلا تغـفلوُا
فكلُّ عـقـدٍ فـيـه من خلـقـه | فـثـابت فـيـه ولـو زلزلوُا
فـإنه أوسـع من علـمـهـم | بعلـمـه فـيـه فلم يحـصلوُا
إلا علـى القـدر الذى هـم به | فـأجـملَ الأمـرَ الذى فـصلُوا
فـلا يحـيـطون به قـال لى | علمًـا سوى القدرِ الذى حـصلوُا
وهوَ على الـتـحـقـيـقِ علمٌ بهِ | لـكنَّـهُ عـنْ علـمـهِ أنـزلُ
لـذاكَ قـلنـا عـنـدَ عـلمـى بـهِ | سـبـحـان من يعلم إذ يـجـهلُ
مـا علم الخلـق سـوى ربـهم | ومـنهـم المـدبر والمـقـبـلُ
إنعـامـه عمَّ فلم يـقـتـصـر | لأنـه المنـعـم والمـفـضـلُ
ولا تقل كـقـولهـم فى الذى | يشـقى فـإنَّ الـقـوم قـد عـجَّلُوا
لوْ نـظروا بربـهم أنصـفـوا | وتابـعـوا الحقَّ فلمْ يـعـدلُوا

﴿وقال أيضاً﴾

إذا كنتَ المسيحَ وكنتَ عبداً إلىَّ بقولِ خالقنا رفعتَا
وإنْ كنتَ المسيحَ وكنتَ تُحْيِى مواتًا قد بلين لهم رفعتَا
إذا ما كنت للرحمن جاراً وفتَّ العالمينَ ندىً دفعتَا
فلا تغترْ بالتقريبِ منهُ فإنَّ الله ينظر ما صنعتَا
ويقسمه على قسمين علما لينظر فى الذى فيه ابتدعتَا
فيفصله لتعرفَ منهُ حالاً يعرفكم بما فيه اتبعتَا
لتبصرَ ما فضلتَ بهِ اتباعًا على الأمر الذى فيه اخترعتَا

﴿وقال أيضاً﴾

الحمدُ للهِ حقَّ حمدِهْ حمداً يوافيه دون وعدهْ
عينا فلا يعتريه نقصٌ يجيئه من وراء حدِّهْ
الحد أمر يعم حتى يسالُ فيهِ عنْ حدِ عدِّهْ
ولم أقل فيه ذاك إلا من أجل من لم ينل بضدهْ

﴿وقال أيضاً﴾

ألا فارجع إلى أصلِ الوجودِ لما تدريه من كرمٍ وجودِ
لقد منَّ الإله على فؤادى بما أعطاه فى حالِ السجودِ

سـجـودُ القلـبِ إنْ فكرتَ فـيـهِ
على التـحـقـيقِ يوذنُ بالشـهـودِ

إلى الأبد الذى مـا فـيـه حـد
تعـالى عن مـصـاحـبـةِ الحـدودِ

جهلتَ وما جحـدتَ سبيلَ كونى
فـإنَّ الأصلَ فىّ من الـصـعـيـدِ

صـعـدتُ بهِ إلى شـرفِ المعـالى
فـانزلـنى إلى سـعـدِ السـعـودِ

ونادانى وقـد خلفت قـومى
ورآنى بالمـقـرَّب والبـعـيـدِ

وآثـرتُ الجـنـابَ جـنـابَ ربـى
فـالحـقنى بمـنزلةِ العـبـيـدِ

وملكنى الصـفـات فكنت مـثـلا
ونزهـهُ عنْ المثـلِ الوجـودِى

وأىُّ فـضـيـلةٍ أسنى وأعـلـى
يقـاومُـهـا بجناتِ الخـلودِ

فـضلـتُ بهـا على الآباءِ حـقًـا
يقـينًا صـادقًـا وعلى الجـدودِ

وأعلمنـى المهـيـمنُ أنَّ جـدى
من أكـرم مـا يـكون من الجـدودِ

سـوى جـدّ الإلهِ فـقـدْ تعـالى
عنِ الكفـوءِ المـصـاحبِ والوليـدِ

﴿وقال أيضًا لزومية﴾

أعـرض عن الخيـر مـا استـطعتـا
فـالخـيـرُ يأتيكَ إن أطـعـتَـا

لبَّـاكَ ربُّ الـعـبـادِ لما
دعـوتَ بالصـدقِ لو سـمـعـتَـا

وقـال يا عـبـدُ كُنْ حـفـيظًا
لكلٍّ مـا أنت قـد جـمـعـتَـا

واصـدعْ بأمـرِ الإلهِ تبـصـرْ
نتـيـجـة الصـدقِ إنْ صـدعـتَـا

وانزعْ لـهُ رتبـةَ المعـالى
يحـمَـدْ مـسـعـاكَ إنْ نزعـتَـا

واكرع إذا ما وردتَ حوضا فالريُّ مضمونٌ إنْ كرعتَا

لا تطمعنْ إنْ رأيتَ ربحًا فالخسرُ يأتيكَ إنْ طمعتَا

إنْ قلت فى حكمة بأمر مستحسنٍ أنتَ قدْ شرعتَا

فلا تكن ذا هوى ورأى ولا تقس جهد ما استطعتَا

ولا تقلِّد ولا تعلل إنْ أنت من أرسل ابتعتَا

إنْ كنتَ عيسى وكنت تشفى إليه من فوركم رفعتَا

أو كنتَ عيسى وكنتَ تحيى ميتَ أجداثه وضعتَا

أو كنتَ عينًا لكلِّ كونٍ وفته رحمته برعتَا

قد كنتَ للطبعِ فى سفال تحصد فيه الذى زرعتَا

حتى إذا ما انتهيتَ فيه رفعك الله فارتفعتَا

تحشر فى عينِ كلِّ كونٍ تنظرُ فيهِ الذى صنعتَا

منْ كلِّ خيرٍ وكلِّ شرٍّ علمت فيه لما جمعتَا

لله حبلٌ فصِلْه تصعدْ فإنْ تكنْ حبلهُ قطعتَا

شقيتَ فانظرْ بأىِّ أرضٍ يكون مثواكَ إنْ وقعتَا

إنَّ لكَ الخيرَ منهُ حتمًا إنْ أنتَ فى حقهِ انتجعتَا

أو كنت ذا فتنةٍ بولدٍ أصبحت فيه وقد فجعتَا

أو طَمنئَتْ نَفسُكُمُ نَهَارًا بالصوم أو كنت فيه جعتَا

أصبتَ خيرًا بكلِّ وجهٍ وتهتَ تيهًا بهِ وضعتَا

ما كلُّ وقتٍ يكون فردًا ... يخلعُ عنكَ الذى خلعتَا

أو يمنعُ الله عنكَ أمرا ... قد كنتَ من قبله منعتَا

ما الشان أن تشترى نفوسَ ... بيعَ فضولٍ فما انتزعتَا

منْ ملكهِ ما شريتُ منهُ ... حتى اشتراه وما ارتجعتَا

ضاقتْ سماءُ الإلهِ عنهُ ... وأنت ربُّ العلى وسعتَا

من غير كيفٍ ولا احتيالٍ ... لوْ لمْ يرَ ذاكَ ما استعتَا

وسعتنا رحمةً وعلمًا ... إذ لكَ يا ربنا اصطنعتَا

يستفهمُ اللهُ كلَّ عبدٍ ... فى علمهِ منهُ هل شبعتَا؟

فقلْ لهُ: ربِّ إنَّ جوعى ... ما ينقضى للذى شرعتَا

من كنت فيه أو كنت منه ... أو كنته عنك ما رجعتَا

فلا تقلْ للذى أتانى ... من عندكم رحمة قنعتَا

إنْ غبتَ فى الغربِ عنهُ شمسًا ... عليه من شرقه طلعتَا

إنْ أنتَ جاهدتَ لا تبالى ... بأىّ جنبٍ فيه صرعتَا

قد كنتَ عبدًا فصرتَ ملكًا ... لذاكَ واللهِ ما انتفعتَا

إنْ كان هو أنت لا تكنه ... واحذر من القرعِ إنْ قرعتَا

فإن دعاك الرسولُ يومًا ... فافزع إليه إذا فزعتَا

وحاذر الأمر من قريبٍ ... تسعد فيه إذا جزعتَا

يعلو بكَ النهرُ فى انحدارٍ ... لو جرعة منه قد جرعتَا

وإنْ دعا للوصالِ يومًا   فأنتَ واللهِ ما انقطعتَا

المكر من شيمةِ الموالى   لا تنخدع فيه إن خدعتَا

تقبضْ عندَ الرحيلِ حتمًا   على الذى فيه قد طبعتَا

من أعجبِ الأمرِ أنَّ قولا   تجابُ فيهِ وما سمعتَا

لأنه لم يكن كلامٌ   عنكَ ولا عنهمُ انقطعتَا

انظر إلى قوله تعالى   فى أهلِ كهفِ لو اطلعتَا

ملئت رعبًا فازددت بُعدًا   ومع هذا فما اندفعتَا

يا أشجعَ الناسِ فى نزالٍ   أنتَ بتشبيته شجعتَا

قد جعلَ الله يا حبيبى   بيدكَ الخيرَ إنْ قنعتَا

﴿وقال أيضاً﴾

خليلى لا تعجلا واكتما   حديثى حذارًا على مهجتِى

فإنى اتحدتُ بمن قامَ لى   إذا ما توجَّهتُ فى قِبلتِى

ففى كلِّ شيء لهُ صورةٌ   إذا ما بدتْ فلها وجهتِى

وذاك الذى كنتُ أملته   فما كانَ بعضى سوى جملتِى

تملكنى وتملكته   فلى عزه وله ذلتى

وإنْ أنتَ تعكسُ ما قلتهُ   يصحُّ فجمعى فى وحدتِى

وفى حال حبى أنا كاره   له ولحبى فيا حيرتِى

أتانى ليـــــلا عـلى غــــفلة ... فــثــبـت إتيـــانه حـــجــتى
لو أنَّ الذى هـمت فــيــه هوى ... يـكـونُ علـى ديـنـى أوْ ملَّـتـى
لما كنـت أشكو الجـــوى والنوى ... ولكـنَّهُ ليـسَ من عـــتْـــرتى
يخــــــالـفنى ووفـــــاقـى لهُ ... لذاك توقـــفت فى وقـــفَــتى
هويت الـسـمـــان ومن لـى بهم ... وحــــبـى لعـــــينهمُ نِحْلَتى
ومـــا ســمن الـقــوم إلا الذى ... يـبلـغنـى منـهـمُ مُنْيَـــــتـى
يقــينـى بهمْ مــشــحمٌ مـلحمٌ ... يقـينى مـنَ الأخـذِ فى عِـشْرتى

﴿وقال أيضاً﴾

سـرائر سرٍّ لا تصـان ولا تفـشى ... وأبكارُها لا تسـتـباح ولا تُغـشَى
فـمطعمـهـا للحسِّ شهـدٌ لذائق ... وملمسـها للعقلِ كـالحية الرقـشَا
تولد لـلأفكار فى كـلِّ ســاعـــةٍ ... من اليومِ والليلِ البـهيمِ إذا يغشَى
إناثًـا وذكـرانًا لمعنى بصــــورةٍ ... بهـا قيدتـهُ مثلَ مـا قيدَ الأعـشَى
فـقـال بأنَّ الضـــوءَ ممتـزجٌ ومـا ... نوى بالذى قدْ قالَ سوءًا ولا غشَا
وقـال الذى لم يعـرف الحكم إنه ... نوى بالذى قـدْ قالهُ للورى غِـشَا
فلو يدرى أنَّ الـنور يسـتــر ليله ... وأنَّ وجـودَ السلخِ صـيَّـره نشَـا
لقـال بـأنَّ الأمـر نورٌ وظلمــتُـه ... وذلك حقٌّ مـا به بـان أنْ يغـشَى
فمن سـبر الأمرِ الذى قد سـبرته ... يكون إمامًا لا يـخافُ ولا يخشَى

﴿وقال أيضاً﴾

إذا مـا الشـخصُ أظهـرَ مـا يراهُ ... ومـا سـبـرَ الفـهـومَ ولا الزمـانَا
فـإنَّ اللـوم يلحـقـه عـليـه ... ويسلـبُ منْ إذاعـتـه الأمـانَا
فـمنْ شـرطِ الأمـانة أنْ يراهُ ... بخـيـلاً فى أمـانتـه عـيـانَا
فـإنَّ لهـا إذا فكـرتَ أهلاً ... وإنَّ لهـا المكانـةَ والزمـانَا
لقـد جـاء الرسـولُ به صـريحًـا ... وقـد كـنا تلـوناه قـرانَا
وإنَّ الـذوقَ مـنْ هـذا وهـذا ... إذا كنـا بحـضـرته قـرانَا
أراه مع الـزمـانِ بكـلِّ وقتٍ ... يدور بـحكمـةٍ وكـذا يـرانَا
فنزه عـن مـعـارضـةِ الليـالى ... كـلامكَ إنَّ حـكمَ الدهرِ بـانَا
به ربُّ الـبـريّة قـد تسـمى ... لذلك قـد عـلا مـجـدًا وشـانَا
لقـد جـاد الإله علـىَّ إذ لم ... أكن مـن أهله كـرمًـا ودانَا

﴿وقال أيضاً﴾

ما لى منَ العلـمِ إلا ما نطقتُ بهِ ... وهوَ الصحيحُ الذى لا شرعَ ينكرُهُ
يقـولُ مـنْ ليسَ يدريه اسـتـرُ ... وكـيف أسـتـره والحق يظـهـرُهُ
اللهُ مـا زالَ للأسـمـاعِ يسمـعُـهُ ... بما يقـررهُ شـرعًـا ويذكـرُهُ
وليسَ شـخصٌ منْ أهلِ العلمِ ينكرُهُ ... إلا تراه لدى الإنصـاف يضـمـرُهُ
الفكرُ ينـفـيـهِ والإيمـانُ يثـبـتـهُ ... وكم شـخـيـص قـد أرداه تفكرُهُ

إنَّ السعادةَ بالإيمانِ قدْ قرنتْ ... والسعدُ يسعدُ ما وهمى يصوِّرهُ
والله أقربُ من حبلِ الوريدِ وما ... تراهُ حسًا ولا الأعيانُ تبصرهُ
يكفيكَ منهُ الذى الرحمنُ صورَهُ ... فِى شَرْعِهِ فكَفُورٌ مَنْ يكْفُرُهُ
النصُّ عزَّ لأنَّ اللهَ ذو كرمٍ ... بخلقه فلهذا لا يصدِّرهُ
لو جاءَ بالنصِّ لمْ يقبله ذو نظرٍ ... إلا بإيمانه لذاك يسترهُ

﴿وقال أيضاً﴾

تعظيمُ ربكَ فى تعظيمِ ما شرعا ... فاصدعْ فإنَّ سعيدَ القومِ منْ صدَعَا
لكن بأمرِ الذى جاءتك شرعته ... تسعى على قدمٍ فاشكره حين سعَى
فكنْ معَ اللهِ فى ترتيبِ حكمتهِ ... إنَّ الذى مع ربى لا يكون معَا
افهمْ كلامى فإنَّ الفهمَ أسعدَكمْ ... ولا تحدْ عنهُ إنَّ العلمَ قدْ جمعَا
هو الدليلُ عليه لا تذره سُدى ... فالهلكُ فى تركِ ما الرحمنُ قدْ شرعَا
العلمُ نصفانِ: نصفٌ ليسَ يبلغهُ ... فكرٌ لذلكَ حكمُ الفكرِ قدْ منعَا
ونصفهُ فصحيحُ الفكرِ يبلغهُ ... وليس منزله مثل الذى سمعَا
والكلُّ حقٌّ وما أنصفتُ فيهِ وما ... لذاكَ ردٌّ فمنْ يدريه قدْ جمعَا
لهُ الكمالُ فما شخصٌ يقاومُهُ ... صنعُ الإلهِ فشكرُ اللهِ بى صنعَا
والله لو علمتْ نفسى بمن علمت ... لضاقَ عنها وجودُ الخلقِ ما اتسعَا
القلبُ يعرف ربى من تقلبه ... مثل الشؤونِ له إنْ سار أو رجعَا

والنفسُ تجهلهُ منْ أجلِ شهوتها   وعينُها لفراقِ الحقِّ ما دمعَا
لَمَّا تعززَ عنهُ باتَ يطلبهُ   ولوْ تدانى لهُ إليهِ ما ارتجعَا
وقدْ جرى مثلٌ يدرى وصورتُهُ   أحبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما منعَا

﴿وقال أيضاً﴾

إنى وسعتُ الكيانَ طرًّا   لما وسعتُ الذى برانى
فكنتُ بيتًا لهُ مسوى   مهيئًا للذى بنانِى
لهُ فلمْ يرتضى سواىَ   أراه مثل الذى يرانِى
مذ وسعَ الحقُّ قلبَ كونى   ما زلتُ فى لذةِ العيانِ
أشهدُه فيه كلَّ حينٍ   ذا كرمٍ مطلقِ العنانِ
فى كلٍّ وصفٍ تراه عينى   على الذى وحيه أرانى
ما علم الله غيرَ عبدٍ   أضحى منَ السرِّ فى أمانِ
ليس لنا مشهدٌ سواه   أراه فيه ولا أرانِى
أرنو إليهِ بقدرِ علمى   من غير أيْن ولا زمانِ
ولا ترى عينه سواى   إلا إذا كان فى الجنانِ
أو صار فى حلبة المنايا   قد سبقَ القومَ للرهانِ

﴿وقال أيضاً﴾

إنَّ الخـيـالَ هـوَ الذى يتـحكمُ ... فى أصـله وهو المـزاجُ الأقـدمُ

فتـراه يحكم فى المزاج وفى النهى ... منْ نفـسـهِ فهـوَ الإمـامُ الأعظمُ

يقـضى على سـرِّ الوجودِ بحـالهِ ... من جـسمِ المعـنى فـذاك الأحكم

ويحـدُّ من لا يعـتـريه تحـيـرٌ ... بتـحـيـرٍ وتيـقنٍ يـتـوهمُ

ويقـسم الأمـر الذى ما فـيـه تقـ ... ـسيم ويمضى مـا يشـاء ويُحكمُ

﴿وقال أيضاً﴾

الـعـلـمُ بـالـلـهِ لا يـنـالُ ... لكـن بتـوحـيـدهِ يُنالُ

فـمـا ترى فـيـه من كـلامٍ ... مـبـرهنٍ كلهُ مـقـالُ

فلـيسَ لـلعـقـلِ يا خـليـلى ... بالـفكـر فى ذاته مـجـال

لأنَّـهُ واحـدٌ تعـالـى ... ليـس له فى الـنهى مـثـال

قـد حـرم الفكر فـيـه شـرعـا ... فـالفكـر فى ذاته مـحـال

غـايتُـهُ العـجـزُ إنْ تـناهى ... فـعـجـزه ذلك الكمـال

فـمـا تـرى فـيـه من جـدال ... فـإنهُ كـلهُ ضـلالُ

﴿وقال أيضاً﴾

سـبـحـان من لا أرى سـواه ... فى كـلِّ شىء تـراه عـينى

وذاك فـــــرقٌ يـراه عـــــقـلى ... مـــا بـين مـــعـــــبـــوده وبـينِى
فـكلـمـــــــا قلـتُ أنتَ ربـى ... لبــستُ بالسـلبِ ثوبَ صـــونِى
تـنـزيهـــــهُ جـــــدهُ تعـــــالى ... تشـــبـــيـــهُــــه كـــونه بـكونِى
طلـبتُ بالـــشـــرعِ منهُ عـــــونًا ... يا مــــــدعى لا يكونُ عـــــونِى
إلا لعــــبـــــدٍ لـه مــــجـــــالٌ ... ولا مـــــــجـــــــالٌ إلا لأينِـى
وفى استـوائى الـعـقـولُ تاهتْ ... إذْ حـــالَ مــــا بينـهـــا وبيـنِى
قــــد جـــاءنا الحـقُّ فى التلـقى ... بــكــلِّ هـــيـــنٍ وكـــلِّ لـيــــنِ
يا مــــرســــــلاً إننى ســـمــــيعٌ ... إنْ قــمت لى فــيــــه باثنتـــينِ
ذاتٌ تعـــالـتْ لهـــا صـــفـــاتٌ ... مـــنْ كلِّ حــــــــسنٍ وكلِّ زيـنِ
إنْ رامَ تحـــــصــــيـلهنَّ فـكرى ... بنـيتُ بيـــــتى بتــــبنتــــينِ

﴿وقال أيضاً﴾

خـاب ظنى إنْ لم تكن عند ظنى ... قلْ فـــمنْ لى يا منيـــةَ المتــمنِّى
والذى فــــات لا تعـــــده علينا ... ومــن الآن فلـتـكن عـنـد ظنِّـى

﴿وقال أيضاً﴾

العلمُ باللـهِ والعـرفـانُ لى ولقـدْ ... جمعتُ بينهـما شرعًا وما جَـمَعَا
فالعـلـمُ يجمعُ مـا العرفـانُ يفردُه ... فى الحد يجتمـعان إنْ نظرت مَعَا

ولا يقـــال بأنَّ الحقَّ يـعــرفـنا وهوَ العلـيمُ بنا وهكذا شـــرعَـا

لا تعلـمـــونَهُمْ الـلهَ يعلـمُـــهُم هذى النيابةَ مهـما كنتَ مستـمعًا

ولمْ يقلْ فـيـهِ إنَّ الـلهَ يعـرفـهُمْ فـقلْ بهِ إنْ تكنْ للحقِّ مـتـبـعًـا

إنَّ الأديبَ الذى يمشـى على قدر يوافق الحـقَّ إنْ أعطى وإنْ مَنَعَــا

قـد اقـتـفى أثرًا مـا عندهُ خـبـرٌ بمَنْ تفـرَّد فى التعبـيرِ فـاختـرعًا

اللهُ كـــرمَـــهُ إذ كــــانَ فــضلَهُ على سـواهُ فلمْ يسنن ولا ابتدعَـا

وإنْ تضاعفَ فيهِ الأجرُ فـاستمعوا ما يسـتوى مـقتد فـيه بمن شَـرَعَا

لولا الشريعةُ كان الشخصُ فى عمه إذا أراد اقـــتـرابـا بالذى صنعًــا

فـبـين الحقِّ مـا الألبـابُ تجـهله فـمقـبلٌ قـابلٌ لكلٍّ مـا سـمعًـا

ومعرضٌ عنهُ فى خـسرٍ وفى حيد عن الصوابِ الذى عنه قـد امتنعًا

﴿وقال فى نيابة النون عن العين﴾

النونُ كـالعـينِ فـى أنطى وأعطاهُ لحنٌ أتـاه به شــــرعٌ فــــأعـطاهُ

الحـرفُ يُبـدَل من حـرفٍ يمـاثله فى قـربِ مـخرجـهِ لذاك سـاواهُ

وذا بعـيدٌ فكيفَ الأمـر فيه فـقلْ بأنهُ بعـضُ عـينٍ حـينَ ســـمـاهُ

فـقـال والعين أيـضا مـثله وكـذا سـينٌ وشـينٌ لما ذا العـينُ حـلاهُ

العينُ عمَّ نفـوسَ الكونِ أجمعـها جـدًّا وحـقـقـهـــا فـذاك مـعناهُ

ومـا سواه فليس الأمـر فـيه كـذا لســـرٍّ ذلكَ ربُّ الـلحنِ جـــلاهُ

فقد تبين أنَّ العين سارية | فى كلِّ شىء لهذا السرِّ أدناهُ

قربًا فأبدلهُ نونًا مسامحةً | فى كلِّ كونٍ يدُ الحقّ أبداهُ

﴿وقال أيضًا﴾

لقدْ حارَ الذى سبرَ الوجودا | ليسلكَ فيهِ مسلكهُ البعيدَا

فما وفى بذاك فحاد عنه | إلى علمٍ يورثهُ السفودَا

عنِ الكشفِ الأتمِّ فكانَ فيهِ | إذا أنصفته فردًا وحيدَا

فلا تنوِ الصعيدَ إذا عدمتمْ | طهورًا للصلاةِ تكنْ سعيدَا

فإنَّ اسمَ الصَّعِيدُ يريك علوًّا | لهذا الحقِّ أودعكَ اللحودَا

ويمم ترب من جعلت ذلولا | تحزْ خيرًا تكونُ بهِ رشيدَا

وتعطيك الأمانةُ مستواها | وتحذوكَ المشاهدَ والشهودَا

وتحميكَ العنايةُ فى حماها | وتكسى ثوبك الغضَّ الجديدَا

وتأتيك العوارفُ مسرعاتٌ | على ترتيبها بيضًا وسُودَا

فتأكلها بهِ لحمًا طريًا | إذا ما المدعى أكلَ القديدَا

إذا ما خضت فى الآيات تشقى | وتحرمُ أنْ تكونَ لها شهيدَا

إذا جدَّ العلىُّ اسمى اعتلاً | على العظماءِ أورثهمْ حدودَا

سمعتُ له وقد أصغى إليه | لما قالوهُ بينهمُ فديدَا

رأيتهمُ وقد خرُّوا إليه | وبينَ بديهِ من أدبٍ سجودَا

ولنتُ لصونهِ المخزونَ لمَّا ألانَ بهِ الجلامدَ والحديدَا
وقدْ وافى على قومٍ قيامٌ فصيَّرهُم بهمته قُعودَا

﴿وقال أيضًا﴾

حكمُ الطبيعةِ فى الأجسامِ معتبرُ لأنها أصلها والأصل يعتبرُ
فانظر إليها إذا طال الزمانُ بها تبددُ الشملَ لا تبقى ولا تذرُ
فى النارِ ينضجها وفى الجنانِ لها حكم علينا كما تدرون فادّكرُوا
إن العذابَ لها مثلُ النعيمِ بها وذنبها عند أهلِ الكشفِ مغتفرُ
الله حكّمها فينا وأحكمها فما لها عنْ نفوذِ حكمهِ وزرُ
بها يعذبنا بها ينعمنا وليسَ يخلصُ منْ أحكامِها بشرُ
سبحان من أوسع الأشياء رحمته فى الخير والشر علما هكذا الخبرُ
جلَّ الإلهُ فما تحصى عوارفهُ فالكلُّ منهُ كما قدْ شاءَهُ القدرُ

﴿وقال أيضًا﴾

الحمدُ للهِ جلَّ الله منْ واقِ الكلُّ يفنى ووجهُ الواحدِ الباقِى
يقالُ عندَ فراقِ النفسِ من راقٍ يا ليتَ شعرى وهلْ فى الكونِ من راقِ
الله يعلم هذا لا يكون ومن يردُّ كأسَ المنايا أوْ هوَ الساقِى
هو المنجى إذا ما الساق تبصرها يومَ القيامِ لهُ تلتفُّ بالساقِ

إنَّ المكارمَ منْ خلقى ومنْ شـيمى ... فقد وسعت الورى جودًا بأخلاقِى

لو أنَّ لى كلّ مـا تحـوى خـزائنه ... لما وفـت بالذى عنـدى من أرزاقِ

إنى فطرتُ علـى أخـلاقِ خـالقنا ... والأمـر مـا بـين مـرزوقٍ ورزّاقِ

فـالرزقُ يطـلبنا مـا نحنُ نـطلبـهُ ... وذا دليـلٌ على طيـبٍ بأعــــراقِ

ما كنتُ أحسـبُ أنَّ الأمرَ منه كذا ... حـتى علمتُ بذاتـى أننى الواقِى

فليسَ يحكـمُ فـينا غـيـرُ أنفـسنا ... عدلاً وجـوراً فدائى عـينُ درياقِى

تدبيـر علمٍ بتـفـصيـلٍ لنشـأتنا ... فكم نرى ذاك عن حـكم بأوفـاقِ

إنى حنـنت إلى ذاتى لأبـصــرها ... من أجل صـورته حنينَ مـشتـاقِ

هبتْ علىَّ رياحُ القـربِ منْ كثبٍ ... شممتُ منْ عرفـها أنفاسَ عشاقِ

أوحى إلىَّ بهـا مـا كـنتُ أجـهلهُ ... بأنـه نائب جــــوَّابُ آفــــاقِ

إنى لعـبـدٌ ذليل بات يخـضعُ لى ... عندَ المناجـاةِ ذى وجـدٍ وأسـواقِ

فـلا تراه لكونى فـيـه مُـفْتَـخِـرًا ... بأنـه ربٌّ تيـــجــــانٍ وأطواقِ

لهُ علومٌ بـذاتى ليسَ يَعْلَـمُـهَــا ... إلا الذى هو ذو شــــربٍ وأذواقِ

يرنو إلىّ إذا الأعـــيـان تجــهلنى ... عـينا بعينِ نهى عن غـير أحـداقِ

تراه يـرحمُ من نـاداه من كــــرمِ ... من غيـر جبر ولا حكم لإشـفاقِ

إنَّ الشـفـــيقَ له حكمٌ يخـــالفـه ... حكمُ الرحـيمِ لما فيـه من إطلاقِ

فـمـا يقـيِّـــدُه نعتٌ ولا صـفـةٌ ... وليسَ يدخلُ فى عـقـدٍ ومـيثـاقِ

﴿وقال أيضاً﴾

تبـــاركَ اللهُ هل بالدار من أحـــدٍ … غيـرَ الذى هو مجـهولٌ ومعـقولُ

اللّـهُ يعلمُ أنَّ الـدارَ خـــاليـــةٌ … والزهرُ مـبتـسمٌ والروضُ مطلولُ

والغـيثُ منسكِبٌ والسرُّ مـرتقَبٌ … إلى الذى هوَ بـالبـرهانِ مـــعلولُ

واللهِ مـا نزلتْ نفسٌ بسـاحـتـهـا … إلا الذى هوَ للألـبـابِ مـــدلولُ

غيـرى وغير الذى ما زال يتـبعنى … فالكشفُ لى وهوَ للأتبـاعِ منقولُ

الوصلُ منفـصلٌ والضـدُّ متـصلٌ … وفى المعـارفِ تحـيـيـرٌ وتضليلُ

مـا كنتُ مبـتدئًـا فيـه ومبـتدِعًـا … بلْ جـاءَ فيـهِ منَ الرحـمنِ تنزيلُ

قوى بـهِ خبرًا يحـيو علـى صورٍ … للحقِّ ليسَ لهـا بالشـرعِ تفصـيلُ

فـما أبتـغى حِولاً عنهـا ولا بدلاً … وحـيـرَ العـقلَ تـبـديلٌ وتحـويلُ

العـقلُ قـيد بـالإطلاق حاكـمـه … والشـرعُ سـرحـهُ وفـيــهِ تعليلُ

لولا تحـــولهُ لمْ تدرِ صــــورتهُ … وكـيـفَ يدرك أمـر فـيـه تبـديل

﴿وقال أيضاً﴾

القلبُ مـنزلُ من سـواه واتّـخـذهْ … بيـتًـا يكونُ بهِ جـودًا ومـا نبـذَهْ

وكـــيـفَ ينبـــذه والحق يسكـنُه … إذا قلوبٌ لأهلِ الـزورِ منتـبــذَهْ

إنَّ القلـوبَ التى بالـعلمِ زينـهـــا … هىَ القلوبُ التى لـلحقِّ متـخـذَهْ

فكلُّ قـلبٍ تعـــالى عـن أكنتــه … وقـفله فهـو قلبٌ للهوى اتخـذهْ

قــد اصطفـاه لما قـلناه عـامــره — وعنْ سواهُ منْ أحوالِ العـمى انتبذهْ

فلوْ رمـــاه بســهــمٍ منْ رمـايتـــهِ — رامَ العمى وأصابَ العــينَ ما نقذَهْ

﴿وقال أيضاً﴾

العــبــدُ ســيِّـدُه عـليــه ثناؤه — وثناؤه أيـضــا على أســـتــاذهْ

أســتــاذُه الحـقُّ المبــينُ لأنه — عـينُ التـجـاءِ عـبـيـدِه ومـلاذُهْ

يأتيــه منه عـــوارفُ مـعــروفـةٌ — مــــا بيــنَ هطـالٍ وبيــنَ رذاذهْ

مـتـقلبًـا فـى كلِّ خـيـرٍ شـاملٍ — منَ الإلـهِ عليـــهِ فـى إنقـــاذهِ

﴿وقال أيضاً﴾

من قـالتِ الأمْــلاَكُ فـيـه مـاذا — الحكمُ فـيـــهِ أنْ يكونَ مـــلاذَا

لا بل يكونُ لمـن تعـوَّذ باســمــه — من كلِّ ما تخشى النفـوسُ معاذَا

أقوى الـورى وأشدّهم فى عـقده — من صـيَّـر الأصنامَ فـيـه جُـذاذَا

لمْ يتـخـذْ غـيـرَ الإله مـهـيـمنًا — إذ قـيل أنت فــقــال: لا بل هذَا

منْ غـــرةٍ قـــامتْ بهِ فـى ربهِ — فــأتتـــه ســحًـــا انعمٍ ورَذاذَا

فـلذاكَ ولاهُ الأمـــــانةَ ربُّـهُ — وأقــامـه فـى خلقــه أسـتـــاذَا

يدعو إلى الإسـلامِ لا يلوى على — من قـال فـيـمن قـد دعـاه مـاذَا

هجـرَ الـورى مـتـفـــردًا معْ ربهِ — لمْ يتـــخــذْ إلا الإلهِ عـــيـــاذَا

فـــأتوا زرافـــاتٍ إلـيـــه إجـــابة لمّا دعـــــاهمْ مـــــا أتوا أقــــذاذَا
فـتـنزل الخـيـرُ الـكـثـيـــر عنايةٌ من ربِّـهم بـقلـوبهـم أفــــــلاذَا

﴿وقال أيضاً﴾

شــــذَّ الذينَ تفـــردوا عنـهمْ بمنْ قـد قـال فـيـهم إنه هـو عـينهمْ
أفناهـمُ عنهم بـه فى نعـتـــــهم فـبــــدا لهمْ لمَّا دعـاهمْ كـــونهمْ
فـتـحـقـقـوا إن الأمـورَ خـلاّبةٌ لمّا تـقطـعَ إذْ دعـــــاهمْ بـينـهمْ
وأتاهمُ عـندَ الصـــلاةِ بقـــولهمْ إياكَ نعـبـــدُ بالعـبـادةِ عـــونهمْ
فـتنبـهـوا وتثـبـتـوا وتحـقـقـوا إنَّ المرادَ مـن العـــبــــادةِ بينـهمْ
وتشـهـدوا إذ شـهـدوا بشـهـادة قـد بان منهـا فى القيـامـة بونهمْ
ومـــحـقق المـطلوب لما جـــاءهم فى صـدقـهمْ عندَ التـلاوةِ بينهمْ
إنَّ الـذيـن رأُوه مـنـــه عـنـايـة يهمْ تحـــقـقَ بالعنايـةِ صـــونهمْ
قد حكمـوه على نفوسـهمُ عسى يقـضى بهِ يومَ الـتـقـاضى دينهمْ

﴿وقال أيضاً﴾

أصبحتُ مـثلَ بنى يعقوبَ إذ دخلوا على العـزيزِ فقـالوا مسنَّا الضـررُ
وأهلنا مـعنـا قـدْ مسَّ أكـثـرهم مـــثلُ الذى مـــسنـا منهُ ولا وزرُ
إنَّ الذى بجـمـيلِ الـصنعِ عـودنا هوَ الإلهُ الذى تـعنو لهُ البـــشـرُ

إنَّ الخـلائقَ إنْ عـزُّوا وإنْ كثـرتْ ... أموالهم هم على الحاجات قد فُطِرُوا

فلا غنىّ سوى الـرحمنِ فارضَ به ... ربًا كـريمًا هوَ المقـصودُ فـادكرُوا

إنا جـمـعنا على توحـيـدٍ رازقنا ... بلا خلافٍ على مـا أعطتِ الفكرُ

وجـاءَ فى الوحيِ منهُ ما يصـدقُنا ... فصحَّ فى العقلِ ما قـدْ صححَ الخبرُ

﴿وقال أيضًا﴾

شمِّـر فإن صفـاتِ القومِ تشمـيرٌ ... ولا لقـولٍ على مـا فيـهِ تشطيـرُ

ولتـأتِ بالكلِّ إنّ الكلَّ مطلبُ منْ ... أوحى إليكَ به فـالأمـرُ تشـميـرُ

منْ يأتِ بالنصِّ والإجمـالِ يطلبهُ ... قدْ جـاءَ بالنصِّ لكنْ فيه تقصـيرُ

إذا أتيــتمُ بما يرضـى نفــوسكمُ ... دونَ الإلهِ بهِ فــأنتَ مــغـــرورُ

ما بين عدلٍ وفـصلٍ حُكمُ خالقنا ... فـينا وللفصـلِ دون العدلِ تقـديرُ

كذا أتـتنا نصوصُ العـدلِ مخـبرة ... منَ الإلهِ بما فــيـهِ التبـاشــيـرُ

﴿وقال أيضًا﴾

عـبــدتُ الله لم أعـبــد سـواه ... فـمــا مــعــبــودنا إلا الإلهُ

سَـرَى توحـــيـده فى كلِّ عــينٍ ... فـمــا شىءٌ يســبـحــهُ سـواهُ

ولكن لـيس نفـــقـــه علـم هذا ... وإنْ كـــان المســبح قـــد دعـــاهُ

لقـدْ حـــجبَ العـبـــادَ بما أراهمْ ... منْ أنفـــســهــم فـلا عـــينٌ تراهُ ..

ولا عـــقلٌ يـراهُ بعــــينِ فـكرٍ وبرهـانٍ ولمْ يـبــــعـــــدْ داهُ

قـريبٌ بالشـريـعـة حـين قـالت بأنَّ القـلبَ صـيـرهُ حـمـاهُ

بعــيــد بالأدلـة عن عــقــولٍ لقــدْ عــزَّ الـذى يحــمى ذراهُ

﴿وقال أيضًا﴾

ذنبـى عظيـمٌ وذنبـى لا يزايلـنى وليس ذنبى ســوى حبى لمولايَا

لولاىَ مـا كنتُ فى سـرٍّ أسـرُّ بهِ عنِ الحـبـيبِ الذى يدرونَ لولايَا

هو النعـــيمُ لقلبى والـعـذابُ له إذا تجـلى لـنا بـدارِ دنيـــــايَـا

وهو النعـيمُ الذى لا صد يعـقبـه إذا بدا لى فى مــوتى وأحـيـــايَا

وفى الكثيبِ وفى عـدنٍ وقدْ علمتْ نفـسى بأنَّ كـثيبَ الزورِ مـثـوايَا

إذا تحـــقـقتُ بـالمعنى وكـــانَ لنا ملكًا نـصـرفـهُ فــالحقُّ مــعنايَا

به أكـون عـمـيدًا خـاضـعًـا وبه أكـونُ صـاحبَ تمليكٍ بعـقـبـايَا

والله لو نظـرتْ عـيناى من أحـد سـواه مـا برحتْ تبكـيـه عـينايَا

إنا إلى الـله بدءًا عنـد نشـأتـنا وفى البـرازخ مـشهـودًا بأخـرايَا

﴿وقال أيضًا﴾

لا ذنبَ أعظم من ذنبٍ يقاومُ عفـ ـوَ اللهِ الذى يـأتيـهِ مُـعْـتــقـدَا

وكلُّ ذنبٍ بجنبِ العَـفْوِ مُـحتَـقرٌ عفـو الإله ولا يخصصُ بـه أحدَا

ورحمةُ اللهِ خلقٌ وهيَ قدْ وسعتْ — من أوجد الله من خلقٍ وإنْ جحدَا

وكيفَ لا تسعُ الأكوانُ رحمتهُ — وهوَ الذى وسعَ الأكوانَ وانفردَا

عنِ الكيانِ بهِ فلمْ يجدْ أحدٌ — من دون خالقه مولى وملتحدَا

هو الوجودُ الذى بالجودِ تعرفه — نفوسنا ولهذا الأمرِ قدْ عبدَا

فلو عرضت على من كان يجهله — عبادة الله فى الأشياء ما عبدَا

كما هو الأمر لكنَّ فيه ملحمةً — بين العقولِ فكُن بالشرعِ مُتحدَا

قدْ أخبرَ اللهُ عنْ سلطانِ رحمتهِ — بأنه مثلُ علمِ الله واعتقدَا

﴿وقال أيضًا﴾

لتندمنَّ على ما كان من عملٍ — تبغى به عِوَضًا من عند مخلوقِ

وتسخط اللهُ فيه وهو رازقكم — وما لكم عوضٌ عنهُ بتحقيقِ

إن الذى يعبد الرَّحمنَ تبصره — كمصحفٍ ضائعٍ فى بيتِ زِنديقِ

إنَّ الفتى منْ رأى الأفراسَ توصلهُ — بهِ فيمسحُ بالأعناقِ والسوقِ

حبالها عندما كانت أدلته — عليهِ لمْ يرها جاءتْ لتشقيقِ

وكيفَ جاءتْ لتشقيقٍ وإنَّ لها — تسبيحَ خالقها حقًا بتصديقِ

اللهُ كرمها جودًا وأهلها — لكلِّ صالحةٍ تأهيلَ معشوقِ

لله نفسٌ براها الله من عرقِ — الأفراس فى حلبةِ الأفراسِ والنُّوقِ

﴿وقال أيضاً﴾

لله نفسٌ وللرحمنِ أنفاسٌ ... وللمنازعِ فيما قلت إبلاسُ

وللموافقِ فيما قلتُه طربٌ ... وفرحةٌ وسرورٌ فيه إيناسُ

من آنس النور نارا عند حاجته ... بالواد بالطورِ لم يأتيه إقباسُ

فآض وهو كليمُ الله ليس له ... سوى غنى ليس فيه الدهر إفلاسُ

أغناه عن طلبِ المطلوبِ فى قبس ... ولم يكن ثم إلا الشربُ والكاسُ

نديمهُ عينُ ساقيهِ فليسَ لهُ ... فى غيره غرضٌ فناسُهُ الناسُ

إنى سمعتُ كلامَ الله من أذنى ... من بلة قدر كفى ما بها باسُ

﴿وقال أيضاً﴾

إنَّ الذى فرضَ القرآنَ يرجعكُمْ ... إلى معاد وفيه العيشُ والفرحُ

يأتى إليكَ بهِ منْ كلٍّ ناحيةٍ ... عوارفُ الخيرِ والآلاء والمنحُ

وحارَ منها رجالٌ سادةٌ صبروا ... عن بابه الدهرَ ما زالوا وما برحُوا

إنَّ الذين بسهم الحبِّ قد قتلوا ... وددتُ لوْ أنهمْ ماتوا وما جرحُوا

لله قومٌ إذا ما أصلحوا فسدوا ... وثم قوم إذا ما أفسدوا صلحُوا

﴿وقال أيضاً﴾

قسمًا بسورة العصرِ ... إنه الإنسانُ فى خُسْرِ

غـــيـر من أوصـــوا نفـوســـهمُ — بيـنهـم بالحقِّ والـصـــــبــــرِ
فـــهمُ الـقـــومُ الـذينَ نجـــوا — منْ عـــذابِ اللهِ فى القــــبــرِ
ثــمَّ فى يـومِ الـنشــــــــورِ إذا — جـمـعـوا للـعـرش فى الحـشـرِ

﴿وقال أيضاً﴾

منى بواحـــدة إنْ كنت واحــدتى — وإنْ شفعتَ فـإنَّ الشفعَ يشفعُ لِى
لو أنَّ لى كلّ مـا فى الكون من ذَهبٍ — أصبحتُ ذا فاقـة للجود غير ملِى
وإنَّ ذلكَ منْ خُلُقِى ومنْ شِـيَمِى — ليسَ التكرمُ منْ شانى ومنْ عملِى
لو كان لى أملٌ فى كـلِّ ما ملكت — يدى لما خـاننى فى جـمعـهِ أملِى
إنى لمن خـيـــرِ آباءٍ لنا سلفــوا — لمْ يعرفـوا قطُّ بالإمسـاكِ والبخلِ
إنى ورثتُ الذى فى النفس من كرم — عنِ الجـدودِ وعنْ أسـلافنا الأولِ

﴿وقال أيضاً﴾

مـا لى وإياكَ غـيـرَ اللهِ من سندٍ — وفـاز من يتخـذ ربَّ الورى سندَا
هو المهيـمن فوقَ العـرشِ مسكنه — كـمـا يليقُ بـه دينًا ومـعـتـقـدَا
يأتى ويـنزلُ والألبـــابُ تطـلبـــه — كما روينا على المعنى الذى قَصَدا
ومنْ يكونَ على ما قلتُ فيـهِ فقدْ — وفى بما كلفَ الإنسـانُ واقتـصدَا

ودعْ مـقـالةَ قـومٍ قـالَ عـالمهمْ بأنهُ بـالإلهِ الواحـدِ اتَّحـدَا[1]

الاتحـادُ مُـحـال لا يقـولُ بهِ إلا جهـولٌ بهِ عنْ عقلـهِ شَرَدَا[2]

وعن حـقـيقـتـه وعن شريـعتـه فـاعبـدْ إلهكَ لا تشركْ به أحـدَا

وانهض إلى واهب الأسـرار تحظ به ولتـتخـذْ عندهُ قـبلَ القـدومِ يَدا

عليـه من دارك الدنـيـا ومن فكر تظلُّ منْ أجلـهـا فى حـيـرةٍ أبدَا

وكن إمـامـا ولا تسـعى لمفـسـدة بكل وجهٍ وكنْ فى الحكمِ مجتهدَا

ولا تغـالطْ بـتـعليلٍ وأقـيـسـةٍ وكنْ عن الرأى والتـقليد مُنفـردَا

إنى نصحتكَ والرحـمنُ يشهدُ لى كـمـا أمـرتُ وهـذا كلهُ وردَا

﴿وقال أيضًا﴾

إنَّ التكاليـفَ مـجـراها إلى أمـد والعلمُ بالله لا يجـرى إلى الأمدِ

فى كلِّ حـينٍ يزيد المرء مـعـرفـةً بـربهِ وبـأحـوالٍ إلى الأبـدِ

فـمـا يمـرّ عليـه اليـومَ من نفسٍ إلا ويـأتى بـعـلـمٍ لمْ يـزل يـردِ

فـإذْ ولا بُـدَّ من علمٍ فـأحْـسَنُه العلمُ بالـلهِ لا بالكونِ فـاسـتـزدِ

كـمـا أتاك به أمـر المهـيـمن فى طهَ وفى خـبـرٍ فـاعـمل بهِ تزدِ

---

(١)، (٢) فى البـيتين الخامـس والسادس ينقض نظرية الحلول والاتحـاد التى يقول بهـا بعض الصوفية، بينمـا هو يقول بوحدة الوجود التى خالفهـا ونقضها كثير من العلمـاء والفقهاء والصوفية على التفضيل الذى قدمناه فى المقدمة.

العلـمُ باللهِ فى علـمى بأنفُـــسِنَا ... ذا أحـالَ عـليـهِ المصطفـى وقـدِ

واللهُ لـيس بمـعلـومٍ فـليـس لنـا ... علمٌ بنا فـاعـتـبر مـا قلتـه تجـدِ

العـجـز غـايتنا فـيـه فـحـاصله ... لا علمِ بـى وبهِ يدورُ فى خـلدِى

فـراقـبِ اللهُ يا هذا علـى حـذرٍ ... والعلمُ بالله عـينُ العلمِ بالرصَـدِ

فى سورةِ الفـجرِ قـال الله يعلمنا ... بأنَّ ربَّك بالمـرصـاد فـاعـتـمـدِ

عليــه إنَّ له علمًــا يجــدِّدُهُ ... فـإنـهُ لكثـيــرُ الخـيـرِ والـرفـدِ

يعطى العطاءَ وما يعطيـه عن كرمٍ ... لأنه أعلـم المعلوم فــانـتــقــدِ

لو كــانَ ذا كـــرمٍ لكـانَ علَّتَــهُ ... وليس ذا علَّةٍ تهـدى إلى الرَّشَـدِ

لَمّا انفـردتُ مع المعلومِ فى خلدى ... سألتُ من ذا فـقالوا بيـضةُ البلدِ

فـقلت لما رأيت الأمـر فىّ كـمـا ... ذكرت بالحكم فى الأدنى وفى البعدِ

وقالَ لى خاطـرى ما أنتَ واحدُهُ ... الكلُّ مثلكَ فـاسمعْ هدى منتـقدِ

إنى حكمت لـه فـيـمـا نطقتُ به ... منَ المعـارِفِ فيـهِ حكمُ مجـتهـدِ

فـإنْ أصـبتُ فـذاكَ الظنُّ بى وبهِ ... أو لم أصب فهو منى لا من الأحدِ

ولم أقل ذاك عن سـوءٍ يخـالجنى ... بل قلتـه أدبـا مع سـيِّـدٍ صـمـدِ

ظننتُ باللهِ خـيـرًا إذْ حكمتُ بهِ ... منْ ظنَّ باللهِ سوءًا كـانَ فى حيدِ

عن الصـوابِ الذى ما زال يطلبـه ... منى فإنْ لمْ يكنْ أصـبحتُ ذا فندِ

أخذتُ عـنْ واحدٍ جلَّتْ عـوارفهُ ... هذى المعارفُ لمْ آخـذْ عنْ العددِ

حصلتُ عـنهُ علومًا فى مـشاهدةٍ ... مـا لا يحـصلهُ الـنظارُ فى مـددِ

بل لا تحـــصله النظار عــن مــدد	أخرى الليــالى ولا منْ قالَ بالسندِ
العلـمُ ذوقٌ ضــــروريٌّ لذائـقـــهِ	فاعمل عليه فـما فى الربعِ من أحدِ

﴿وقال أيضاً﴾

إنَّ المُقَـرَّبَ من يسـتعـبـدْ الدولا	ليسَ المُقَـرَّبُ مـن تزهو له الدولِ
إنَّ المقـربَ منْ يعطيـهِ مـشـهـدُه	ما كانَ من بُخْلٍ[1] فيها ومن مددِ
وليسَ يدْركـهُ فـيـــما يريدُ بهـا	مما يريـدُ إذا مـا شـــاءَ مـنْ مللِ
عنْ ربهِ لا عنْ أسبـابِ لهُ نصيتْ	كناظرى فى مسـيرِ الشمسِ أوْ زحلِ
بما قـدْ أودعَ فيـهـا اللهُ من حكمٍ	لكنهـــا تنتـــهى فـيــــه إلى أجلِ
والأمـــر لا يتناهـى حكمـــه أبدا	دنيــــا وآخـــرةً فكنْ عـلى وجلِ
فـإنّ فى علمـهِ مـا ليسَ يعـرفـهُ	وليسَ يـدريهِ ذو فكرٍ وذو حـــيلِ
واعـمل عليه تُـصِبْ دنيا وآخـرة	وإنما الفوزُ فى العقـبى مع العملِ
إنَّ المفـــرطَ فى أخـــراهُ فـى نكدٍ	وصاحبُ الحزمِ فى نعمى وفى جذلِ
وكلُّ مَنْ يدركِ الأشـيـاء عن نظرٍ	فلستُ أخليه عن دخلٍ وعن مللِ
لَّما تـنزلَ نـورُ اللـهِ خـــــالقـنا	إلى الزجـاجةِ والمصبـاحِ فى المثلِ
نادى بنا ربـنا من فـوق أرقـــعـة	ســـبعٍ يعــــرفنى بأنَّ ذلـكَ لِى
لَّما ابتـــغى رؤيةً منهُ الكلـيمُ ومـا	زالَ الشـهـودُ لهُ عـــينًا ولمْ يزلِ
أجـابَهُ بشـروطٍ لـيسَ يعـرفُـهـا	إلا الذى عنْ وجـودِ الحقِّ لمْ يزلِ

(١) هكذا فى الأصل وهو على غير القافية.

مـا خرَّ مـوسى لدكٍّ قـام بالجـبلِ بل خـــرَّ ممَّا تجلَّى مـنه للجَـــبَلِ

ولم تكن صـعـقتـه إلا لتـخبـره بما بهِ اخـتصهُ الرحـمنُ فى الأزلِ

إنَّ الحيـاة التى فى الحس ليس لها هذا المقـامُ لما فـيــهـا من الخللِ

فـإنْ يمـنَّ بنورِ العـينِ تبــصـرهُ لذاك أصـعـقه مـا كـان من زللِ

إنى نظرتُ بعينى وهى تشـهدُ لى برويةِ الجـبلِ الراسى على الجـبلِ

مـوسى الذى ثبتتْ عندى أخـوتُهُ من الذى قـدْ كساه أفـضلَ الحللِ

بذاكَ أخــــبـــرنا عـنهُ أئمــــتُنَا ولم أعرِّج على التـمثـيل والبدلِ

وثمَّ أُسْرِىَ بهِ جـسمًا ليبـصرَ منْ آياتهِ عـجـبًـــا وجـاءَ عنْ عـجلِ

النصُّ جاءَ من البـيتِ الحرامِ إلى الأقـ ـصى وما زادَ فالأخبـارُ تشهدُ لِى

فصــحَّ أنَّ لهُ الأمرينِ قـدْ جمـعا لأنه أكـرم الأشــخـاصِ والرسلِ

والورثُ منهُ الذى لا شكَّ يلحـقنا إسراءُ روحٍ ولكنْ ليـسَ عنْ كسلِ

إنى شغلت به النفس الضعـيفة إذ أصحابُ جنتـهِ الأعلونَ فى شغلِ

واللهُ كـانَ مـعَ الأعلونَ فى درجٍ ترقى بهم عن حضيضِ الطبعِ والسَّفَلِ

الله أوجـدنا جـــودًا ليـشـهـدنا كـمـالَ صـورته فـينا على مـهلِ

فكان لـى اذنا وكـــان لى بصــــرا وكـانَ ما عندنا من القـوى وسلِ

عن الذى قلـتُـهُ أحــبـارَ أمّــتِنَا أئمـة الـدين والهـادين للـسـبلِ

يخـبـرّوك بأن الأمـر فيـه كـمـا ذكـرته لا بـتـحـريفٍ ولا مـــثلِ

وإن رقيتُ إلى عيـن الشهودِ ترى ما كنتُ قلدتُ فـيه مذهبَ الأولِ

والحمدُ للهِ حمدًا لا نفادَ لهُ حمدًا يجمع شملَ العلم والعملِ
فهو المرادُ لأهل العلمِ أجمعهم الجامع الشملَ بين الفعلِ والأملِ
بالذوقِ خصصنا بالشرب كرَّمنا بالريِّ قال لنا الكل من قبلى
ومَن أحال وجود الريّ فهو فتى قدْ جاءَ الأمرُ فى الأذواقِ من قبلِ
بهِ يقولُ ابن طيفورٍ وإنَّ لهُ وجها صحيحًا لمن يدريه بالمثلِ
عينٌ صحيحٌ جلى ما بهِ رمدٌ فالله يعصمه من علةِ السُّبلِ
الكحلُ إنْ كانَ محتاجًا إلى المقلِ فالعينُ محتاجةٌ للكحلِ والكحلِ
إنى أشرتُ إلى علمٍ ومعرفةٍ فيما أتيتُ وما يدريهِ من رجلِ
غيرى وغير إمامٍ سيِّدٍ نَدْس لكننا فى الذى قلنا على وجلِ

﴿وقال أيضاً﴾

إنى رأيتُ براهينَ العقولِ على نَفْى التحيزِ لا تقوى دلالتُهَا
إنّ البدورَ بعينِ الحسِّ تشهدُها وقدْ أحاطتْ بها فى الجوِّ هالتُهَا
ولم تكن غيرَ أنوارٍ بها انبعثت منها إلى غايةٍ فيها حبالتهَا
على السواءِ فدارتْ كى يحيط بها وما أحاطَ بها غيرُ فَآلتهَا
منها فنطقها بالمحالِ موجدُها حقًّا وقد حققت فيها مقالتهَا
واعلمْ بأنَّ صفاتِ الحقِّ ليسَ لها حدٌّ ينال فقد عالتْ فريضتهَا

﴿وقال أيضاً﴾

إنى سمعت كلامًا ليس يَدْرِيهِ إلا الذى سمعَ القرآنَ مِنْ فيهِ

هوَ الرسولُ الذى منْ جاءَ يطلبهُ بعقله فبهذا القَدْرِ أكفيه

إنى رأيتُ لهُ نورًا يضىُ بهِ أهل السماءِ إذا عينٌ توفيهِ

من الضياءِ الذى فيها حقيقته وحقه وسوى هذا يعفيهِ

منْ كانَ أمرضه فكرٌ فإن لهُ ربًّا يعافيه إيمانًا ويشفيهِ

ما كان أثبته الإيمان من شبهٍ بالله جاءَ دليلُ الشرعِ ينفيهِ

والعقلُ أيضا له ردء يصدقه فى قولهِ فهوَ برٌّ فى تحفيهِ

الله يشقى فؤادى إذ رأى جسدى عين الصَّدى وهو يبكى فى تشفيهِ

لصحبةٍ سلفتْ ما بين قالبه وبينهُ وهوَ أمرٌ فيهِ ما فيهِ

لقدْ تنازعَ فيهِ الحاكمانِ معًا فالشرعُ يظهره والطبع يخفيهِ

﴿وقال أيضاً﴾

زوجت الأنفسُ أبدانها إذْ أظْهرَ الإنسانُ أعْيَانَهَا

وأحكم الطبعُ بها شهوةً إذ أحكمَ الصانعُ بُنْيَانَهَا

أسكنه الرحمن فى جنة يلاعبُ الحورَ وَوِلْدَانَهَا

أطافَ بالكاسِ وإبريقه رحمانُهُ عليهِ غِلْمَانَهَا

لما أتى عند كثيبِ الحمى يطلبُ للأنصارِ رحمَانَهَا

أنفُسُنا لو عَرَفَتْ ذاتَهَا   لأقرأتْ بالجمع قُرآنَها

سبحان من حيرَّها حكمةً   فيها فلا تَعْرِفُ فُرْقَانَهَا

﴿وقال أيضاً فى نظم التوشيح﴾

﴿مطلع﴾

تُرْجُمَانُ الأشْوَاقِ[1]   عَرَّفَنِى بالكَرِيمِ الخَلاَّق

﴿دور﴾

للإلـه الحقِّ

همَّتِى فى السَّبقِ

بخيولِ الصِّدْقِ

لَمْ تَنَلْ باسْتِحْقَاقِ   هَذَا الَّذِى أوْدَعَتُ فى الأوْرَاقِ

﴿دور﴾

من حُلُومٍ جلّتْ

فى قلوبٍ صَلَّتْ

عن هواها ولّتْ

لَمْ تَنَلْ بِالإمْلاَقِ   إلاَّ الَّذِى عِنْدَهَا مِنْ إشفَاقِ

(١) اسم ديوان لابن عربى.

﴿دور﴾

هـوَ فـــــــــضـلٌ منـهُ

قـــــدْ أخـــــذنـا عنـهُ

إن يـكـن هـو كُـــــــــرْهُ

واعـــتـــمـــدْ فى الأرزاقِ   علـى الإلهِ الـكريـمِ الخـــلاقِ

﴿دور﴾

يـــا إلـــهِ الخَـــلْـــقِ

إن عـــدلـت اســـتَـــبْقِ

فـــــــأنـا فـى المحْـقِ

فلـتـــجـــدَّ بالإنـفـــاقِ   بقـدرِ مـا عنـدنا منْ إمـلاقِ

﴿دور﴾

حكـمـــتــــهُ الديـهـــورْ

ظـهـــــــرتْ مـنْ طـورْ

عـند فـــقـــد النـورْ

لولا حـكمُ الإشـــفـــاقِ   مـا ظهـرت حكمـةٌ للإشـراقِ(١)

---

(١) كتاب حكمة الإشـراق للشهرزورى وقد شرحه السهروردى وحـقق شرح حكمة الإشراق الدكتور أحمد السـايح رحمه الله والمستشار توفيق على وهبه ونشرته مكتبـة الثقافة الدينية بالقاهرة ٢٠١١.

﴿وقال أيضًا﴾

إنَّ لله فى الوجــودِ عـبــيــدا لم ينالوا الـصـعـودَ إلا سـعـودَا

لم يزالوا بـبـاب منْ كــانْ منهمْ عـينهم عـاكـفـين فـيـه قـعـودَا

يطلبــونَ الوصـــالَ منهُ ابتــداءَ منـةً ثمَّ يطلبـــونَ الصـــدودَا

ليــروا حكمـــةَ التــقـابـلِ منه فـيـهـمُ ثمَّ يطلبـونَ الشـــهـودَا

مـا سمـعنا منهم حنين اشـتيـاقٍ حـين حلُّوا ولا سـمـــعنا فـديدَا

ليتَ شعرى كـيفَ الوصولُ إليهمْ حين خَـرُّوا عند التجلِّى سـجودَا

بَعُـدُوا بالسـجــودِ عنه اقـتـرابا لا اغـترابـا إذ كان عنهم بـغيـدَا

إنَّ تسـبـيـحــهم يدُلُّ عليــهِ ولذا يـســـألون منه حــدودَا

طلبــوا منه مـا يـعـودُ عليــهم حكمـه فاسـتـفادوا منه الحـدودَا

﴿وقال أيضًا﴾

إنَّ الذى خلقَ الإنســانَ مِنْ علقْ أبداهُ فى طبقٍ فى الحـالِ عنْ طبقْ

لا يعـــرفُ الحقَّ إلا القـــائلون به الخـارجـون عن التَّـقْـريبِ بالملقْ

فـــمـــا يقـــوم بهم مما يـكون له منَ المكارِهِ مـحمولٌ عـلى الحدقْ

مـا أوجـد الله إنسـانًـا من العلق إلا ليـعـلمَ مـا فـيـهِ مـن العلقْ

لذاكَ عـــشـــقـــهُ بكلٍّ نـازلةٍ والعشقُ لفظةٌ اشـتقتْ من العشقْ

ليس الحجاب الذى يعمى بصيرته إلا الذى هو فيه من عـمى الغسقْ

والعينُ منْ فالقِ الإصباحِ تبصرهُ ... بما لديهـا من الأنوار للفلقْ

مـا كلُّ مَن ذاق طعمـا نال لذته ... منْ لمْ يذُقْ طعمَ حـبِّ اللهِ لمْ يذقْ

إنَّ الذى هو فى عـميـاءَ مُظلمـةٍ ... منْ نفسهِ لا يزالُ الدهرُ فى فِرَقْ

فـإنْ بـدا علمٌ مـنهُ يدلُّ عـلى ... تعيينه زالَ عنهُ حـاكـمُ الفَلَقْ

فليُسْكنِ القلبَ فى توحيد مشهدهِ ... ويذْهبِ العـينَ عنهُ لاعجَ الحَـرقْ

«وقال أيضاً من نظم التوشيح»

«مطلع»

وَارِدَاتُ الأفْـراحِ ... إنْ وَردَتْ ذَهَـبَتْ بِـالأتـراحِ

«دور»

سَـائِلى عَـنْ نَفْسِى

هَـلْ لَـهَـا مِـنْ أنْـسِ

إنَّ رُوحَ الـقُـدْسِ

نَـافَـثٌ فِـى الأرْوَاحِ ... مَـا عِنْدَهُ مِنْ عُلُومِ الأرْوَاحِ

﴿دور﴾

قُــلْ لِــرَبِّ الــقَــلْــبِ
عَــن قَــنَــاةِ الــقَــلْــبِ
إنَّ لِــى فِــى قَــلْــبِــى

خَــمْــرَةٌ فِى أقْــدَاحِ أنــوَارُهَا مِــنْ زِنَادِ الــقَــدَّاحِ

﴿دور﴾

يَا حَــبِــيــبِى قُــلْ لِى
إنْ هَــجَــرْتُــمْ مَــنْ لِــى
فَــلْــتَــقُــلْ مِــنْ أجْــلِــى

أنْــتَ نُورُ المِــصْــبَــاحِ مِــشْكَاتُهَــا تُرَى مِنْ أشْــبَــاحِ

﴿دور﴾

بِــالإلَــهِ الــفَــرْدِ
مَــنْ لَــكُمْ مِــنَ بَــعْــدِى
إنَّ قُــرْبِى بُــعْــدِ

الــنُّــفُــوسُ تَــرْتَــاحْ مِنْ أَثَــرِ شُــرْبَتِــهِ فِــى الرَّاحْ

﴿دور﴾

سَـــــــــائِـــلاتِـى عَـنِّـى

أيْـــنَ لَحْـــظِــى مِــنِّـــى

بَـلِّـغُـــــــوهُ عَـنِّـى

الشُّـــجَـاعُ الجَـــحْـجَــاحُ يُفْنِـى العَـــدُوَّ بِطَويلِ الأرْمَـــاحِ

﴿وقال أيضاً﴾

والليلُ ليلُ الهـوى والطبعُ إذ يغشى ثم النهـارُ نهـارُ العقـلِ والإفْشَـا

إذا ذكـرتُ ثيـابا كـنتُ لابسَـهَـا للدين ذكَّرنى ذكـرى بها الهـرْشَا

ولستُ أعمى فإنى ذو سنًا وحجى ولستُ أبصـرُ لكـنِّى أنا الأعْـشَى

فالـطبعُ يأنفُ أنْ يفضى عليـهِ بهِ والشـرعُ يحكمُ أنى أغرمُ الأرْشَـا

فـالحكمْ منى عـلىَّ لا على أحـدٍ فلستُ أرجو سواى لا ولا أخْشَى

فـــإنْ تَجِسْ تـرى لِيِّنًا وداخـلَهُ سمٌّ قـتولٌ كـأنى الحـيـةُ الرقْشَـا

هذا خصصتُ بهِ وحدى وأعنِ بهِ نوعَ الأناسىِّ حـالَ البدءِ والإنْشَـا

قامت على صورةِ الأسـماء نشأتُنَا فكلُّ مـــا نحنُ فـيـهِ ربنـا أنْشَـا

ومـــا أسـرَّتْهُ فى تـبليـــغنا رسلٌ لأنَّ مُـــرسَلُهم هو الذى أفـــشَى

ولو أسـرَّ لكان الحـالُ يشهـدُ لى بأنَّهُ هكـذا سبـحـانَهُ قَــدْ شَـا

﴿وقال أيضاً﴾

إذا يضـــيقُ بنا أمـــرٌ ليـزعـــجنا نصبـرُ فإنَّ انتـهاءَ الضيـقِ ينفرجُ

بذاك خـــالقنا الرحـــمنُ عـــودنا فى كلِّ ضـيقٍ له قـد شاءه فَـرَجَ

ألا ترى الأرض عن أزهارها انفـرجت كـما السـماءُ لهـا فى ذاتِها فُـرَجُ

والكونُ علوٌ وسفلُ ليسَ غـيرهُما والأمـر بيـنهـمـا بالـنص مندرجُ

وكلُّ شيءٍ منَ الأكـــوانِ نعلمُـــهُ مـوحـدا هو فى القـرآن مـزدوجُ

حتى الوجـودُ الذى إليهِ مـرجعنا بما له من صـفـاتِ الكون يزدوجُ

فليس يوجـد فـرد ليس يشـفعـه شيءٌ سوى منْ لهُ التـقسيمُ والدرجُ

ذاك الإله الذى لا شيء يشـبـهـه من خلقـه فبـه الإصـباح تتـبلجُ

وهوَ العـــزيزُ فـلا مـثلٌ يـعـادلُهُ وإنما بمتـــابِ العــبـدِ يـبـتـــهجُ

فكيفَ منْ هوَ مـحتـاجٌ ومفـتقـرٌ إلى أمـورٍ بنا إنْ لـمْ يكنْ حـرجُ

فـــلا يصحُّ على الإطـلاقِ أنَّ لنا حكمَ الغنـى ولهـذا فـيـهِ يندرجُ

الحبُّ شـاهد عـدلٍ فى قضـيـتنا إذا الخـلائقُ فيـمـا قُلْتُـه مرجُـوا

همُ المصابيحُ فى الظلماءِ إنْ ولجوا كما هم العمى إنْ زالوا وإنْ خرجُوا

سبـحـانه وتعـالى أنْ يحـيطَ به علمًـا عـقـولٌ لَّمَّا فى ذاتهِ دلجُـوا

أمـا تراها على الأعقـابِ ناكصـة لما رأت فـنيـتْ فى ذلـك المهـجُ

فليسَ يدركُ مـجهـولٌ حـقيـقتـهُ وفـيـه خلفٌ لأقـوام لهم حـجَجُ

لو أنهم نظروا فى حـسنِ صـورته قـــالوا بهِ قـــرنٌ قـــالوا بـهِ فلجُ

قالوا بعينيه في إبصاره وطفٌ   قالوا به كحلٌ قالوا به دعجُ
فما أقاموا على حالٍ وما جمعوا   عليه في علمهم فيه وما درجُوا
هذا معَ الخلقِ كيفَ الحق فاعتبروا   ما في بيوتِهمُ منْ نورِهِ سرُجُ

«وقال أيضاً»

حسٌّ يفرقُ والأرواحُ تتحدُ   أنا الفقيرُ وأنت السيدُ الصَّمَدُ
أنت الذى بجمالِ الكونِ ينفردُ   وأنتَ أيضًا بذاتِ العينِ تتَّحِدُ
فليسَ يبقى لعينِ الاتحادِ بنا   في كوننا كثرةٌ تبدو ولا عددُ
العلمُ يشهدُ أنَّ الأمرَ واحدةٌ   كما أتتك به الآياتُ فاتئدوا
لو كلَّفَ الخلقَ ما عاشوا عبادَتَهُ   من غير حدٍّ لما ملُّوا وما عَبَدُوا
تغلى من أجلى أجفانى لنارِ هوى   بالقلبِ من داخل الأحشاء تتَّقدُ
لله قومٌ بتركِ الاقتداء شقوا   وآخرون بترك الاقتدا سعدُوا
الحقُّ أبلجُ ما يخفى على أحدٍ   وقد تنازع فيه النسر والأسدُ
عليهِ أجمعَ أهلُ الأرضِ كلهمْ   عقلاً وشرعًا فما يرمى به أحدُ
من أعجب الأمر فيهم ما أفوه به   همُ المقرونَ بالأمرِ الذى جحدُوا
وإنما اختلفت فيه مقاصدهم   فنعمَ ما قصدوا وبئسَ ما وجدُوا
إلا إمامٌ بعينِ الشرعِ أدركهُ   له الإصابةُ نعمَ الركنُ والسندُ
هوَ الكريمُ فما تُحصى مواهبهُ   من العطايا ومنه الجودُ والرفدُ

لمـا توهـمَ أنَّ الأم مـــــغـلطـةٌ عقلِ المنـازعِ تاهَ العقلُ فاسْتَنَدُوا

إلى الشـريعـةِ لا تلوى على نظرٍ منَ العـيـونِ التى أصابهـا الرمـدُ

لو أنهـا شـفـيـتْ مما بهـا نظرتْ يعطى العلومَ بسيـرِ الكوكبِ الرصدُ

وإنَّ ربك بالمرصـــادِ فـازدجِـــرُوا يدرى بذلك سـبَّـاقٌ ومـقـتـصـدُ

ترنو إليك عـيـونٌ مـا لهـا بصـر لما تمكَّنَ مـنهـا الـغلُّ والحـســدُ

وذاك حين رأت كشفًا قد اختلفت عليـــه عند ذوى ألبـــابه الجُـــدُدُ

فـقال شـخصٌ بما الثـانى يُقـابله وكلهمْ ناظـرٌ فى اللهِ مـجـتـهـدُ

منوَّع فـى التـجـلى حكمـــه أبدا مـا ثم روحٌ تراه مـــا له جـسـدُ

فلو تجلـى إلى الاسـرار كـــان له حكم يخـــالف هذا مـا لـه أمـدُ

وإنما يـتــجـلى فى بـصـــائـرنا فـيحكـمُ الوهمُ فيـه بالذى يجـدُ

وقـتًـــا يُنزِّهُهُ وقـتًـــا يُشَبِّـــهُــهُ وقـتًا يـمثِّلُهُ جِـسْـمًـا ويعْـتَقِـدُ

إنَّ الحـديثَ على مـا قـدْ تخـيلهُ وقـد تحكم فـيـــه الغىُّ والرُّشْـدُ

سـبـحـانه وتعـــالى أنْ تراه على مـا قـد رأى نفسـه فـإنه الأحَـدُ

والواحـد الحقُّ لا غـيـر يشفـعـه والغـيـرُ ما ثـمَّ فاسـتـرهُ إذا يَرِدُ

لو كـــان لى نظر فى مـــا نظرت عـينى إليـه به مـا ضـمـنى البلدُ

هوَ الأمـينُ الذى آلى بهِ قـسـمًـا فى حقِّ منْ لمْ يـكنْ لكونه أمـدُ

لو انتـفى الأزل المعلومُ عنه كـمـا عنه انتـفى إذ نفـاه الحـال والبلدُ

﴿وقال أيضاً فى نظم التوشيح﴾

﴿مطلع﴾

إنَّ الَّذِى سَـــــمَتْ بِهِ الأرْوَاحْ   إلَـــــــى الحَـــــــقِّ رَاحْ

﴿دور﴾

مَـــا زِلْتُ أشْـتَكِـى ألَمَ الصَّــدِّ

إنْ مِتُّ مَـنْ يكُونُ لَـهُ بَعْـــــدِى

وعِـنْدِى مِـنْـهُ ذَاكَ الَّـذِى عِنْـدِى

بِاللهِ جُــد يَا فَــالِقَ الإصْبَــاحْ   إذَا الـشَّــــــــــــوْقُ بَـاحْ

﴿دور﴾

مَنْ ذُبْتُ فِـيـهِ مِنْ شِـدَّةِ الوَجْـدِ

لَقَــدْ قَـرَرْتُ عَـيْنًا بِهِ وَحْــدِى

وبُحتُ بِالـغَـرَامِ عَـسَى يُـجْـدِى

عِنْـدَ الَّذِى يَجُـــودُ بالأفْــرَاحْ   مِـنْ أَهلِ الـسَّـــــــمَـــــــاحْ

﴿دور﴾

إنَّ الَّـذِى لَـدَىَّ مِـنَ الـكَـرْبِ
ومَـــا ألاَقِى مِـنْ أَلَمِ الحُـبِّ
لَقَـدْ قَـضَـيْتُ مِنْ حُـبِّـهِ نَحْـبِى

يَا صَـــاحِ هَلْ رَأيْتَ مِـن ارتَاحْ　　مِنْ غَـــيْــــر ارْتِيـــاحْ

﴿دور﴾

لَمَّا وَرِثْـتُ فِى حَـــالِهِ مُـــوسَى
وَجَـاءَ بَعْـدَهُ الْمُهْـتَـدَى عِـيسَى
فَــقَـــالَ هَلْ عَلِـيلٌ هنَا يُـوسَى

بِنَـفْـخِـنَا أنَارَتْ الأشْـبَـــاحْ　　مِنْ قَـــيْـــدِ السُّـــراحْ

﴿دور﴾

لَمَّا رَأيْـتُ مَـــالكَ تَـعْـــذِيبِى
سَـألْتُ مِنْهُ عَـنْ مَـالِـك الذِّيبِ
سُـــؤالٌ نَاقِـصُ الحَظِّ مَـكرُوبِ

صَلِّ يـا مُنَى المُتَـــيَّـمِ مِنْ رَاحْ　　مَـــقْــصُـــوصُ الجِـنَاحْ

﴿وقال أيضاً﴾

رأيتُ البـــدرَ فى فـلكِ المعـــالِى ... يشـيــرُ إلىَّ حـــالاً بعـدَ حـــالِ

ويطـلبنى لـيُــسَـلِّبنى فـــؤادِى ... فـــيـحـــوجنى إلى ذلِّ الســـؤالِ

دعـــانى بالـغـــداةِ دعـــاءَ بلوى ... إلى وقتِ الـظهـــيـــرةِ والزوالِ

فلمـــا لم يجبـــه دعـاه حــبًا ... ووجـدًا دائمًـــا أخـرى الليـــالِى

فلم يكــن غـيـر قلبـى من دعـاه ... فـمـــا ظفـرت يـداى من النوالِ

بشىءٍ غـــيـرَ نفـســى إذْ أجـابتْ ... فحرت إلى الوصـال من الوصالِ

وقـــولى من إلى لا علـم فـيــه ... وفـــيـــه علمــه عـند الرجـــالِ

رجـــالُ اللهِ لا أعنى ســـواهمْ ... فـضـوءُ البـدرِ ليس سنا الهـلالِ

ومنْ وجــــهٍ يكونُ سناهُ أيـضًـــا ... كـمـــا أنَّ الهـدى عـينُ الضـلالِ

رجـــالُ اللهِ لا أعنى ســـواهم ... يمـــيـــزه المحل ولـيس غـيـــرِ

وليسَ يـخـــالهـــا منـهُ بوجـــهٍ ... ولمْ يكثـرْ بهـــا فـاعلمْ مـقـالِى

دعـــانى فى المـودةِ والوصـــالِ ... بألسـنةِ العـــداوةِ والتـــقـــالِى

إذا كـــان الإمـــام يؤم قـــومًـــا ... همُ الأعلـونَ آلَ إلى ســـفـــالِ

وجـــيـــدٌ عـــاطلٌ لا شكَّ فـيـــهِ ... يمـيـز قـدره عـن جـيـد حـالِ

فـــآل المعـــتلى بـأبى قـــبـــيس ... إذا شـاء الـصـلاة إلى ســـفـالِ

كظهـــرِ البـــيتِ منـزلهُ ســـواءٌ ... يؤدِّى من عـــلاه إلى اعـــتـــلالِ

ولكـن فى صـــلاتك لـيس إلا ... ووجـدًا دائمًـــا أخـرى الليـــالِى

فإنَّ العبد عبد اللهِ ما لم ... تراهُ دريئةً بينَ العوالِى
لذلك إن أقيم على يقين ... إشارةُ أسهمٍ عندَ النضالِ
ومنْ بعضِ الزجاجِ هوىً وعجبًا ... يطيعُ العالياتِ منَ الطوالِ
ألا إنَّ الطبيعةَ خيرُ أمٍّ ... وفيها الكون من حكمِ البغالِ
ألا إنَّ الطبيعةَ أمّ عقمٍ ... إذا كان البغالُ من البغالِ
ستورٌ فى ظهور الخيلِ مهما ... رأيتَ الخيلَ ترمى بالمخالِى
إذا إنسانُ شخصٍ منْ فيالٍ ... تعينت اليمين من الشمالِ
فقوٍ شماله ليعودَ طلقًا ... فهذا حكمُهُ يومَ النزالِ
وكن فى القلبِ منه تكن إمامًا ... إذا تدعو جحاجحةً النزالِ
مقارعةُ الكتائبِ ليسَ يدرى الـ ... ـذى تحويهِ رباتُ الحجالِ
ففى الدنيا بدت أسماء ربى ... فعاينتِ النقائصَ فى الكمالِ
وفى الأخرى إذا حققتُ أمرى ... أكونُ بها كأفياءِ الظلالِ
كمالُ الأمرَ فى الدنيا لكونى ... ظهرنا بالجلالِ وبالجمالِ
وفى الأخرى يريكَ كمالَ ربى ... فنائى عندَ ذلكَ أو زوالِى
كمالُ الحقِّ فى الأخرى يراهُ ... كمالى فى الجنان بما يرى لِى
كمالى أنْ أكون هناك عبدًا ... فمالى والسيادةَ قلْ فمالِى
وكن من أعظم الخدماء عندى ... بها صححت فى الأخرى كمالِى
إذا كان التكوُّن بانحرافٍ ... فعينُ النقصِ عين الاعتدَالِ

سبقتُ القومَ جداًّ واجتهاداً على كوماءَ مشرفةِ القذالِ
أصابتْ عينُ منْ تهوى مناصى فقامَ بساقها داءُ العقالِ
وكنتُ أخاف من حدِّى وعدوى أصابَ بنظرةِ الداءِ العضالِ
وكنتُ منَ السباقِ على يقينٍ فأخرنى القضاءُ عنِ النوالِ
بأعمالى فبتُ لها كئيبًا اردّد زفرتى من شغلِ بالِى
ولكنى سبقتُ القومَ علمًا ومعرفةً إليهِ فما أبالِى
فإنَّ الله يُنْزِلُنِى إليه بعلمى بالكثيبِ مع الموالِى
وهذا العلمُ كنتُ بهِ كريمًا أردّ به السفالَ إلى الأعالِى
من العمال قد عصموا وفازوا فأجنى منهمُ ثمرَ الفعالِ
نفخت بعلمنا روحًا كريمًا بأجسامٍ منْ أعمالِ الرجالِ
فإنى قدْ سبقتهمْ اعتناءً بتعليمى إلى دارِ الجلالِ

﴿وقال أيضاً﴾

كلُّ ما يحويه ميزانُ فيه نقصانٌ ورجحانُ
ودليلى قولهُ ثقلتْ ثمَّ خفتْ وهوَ برهانُ
والذى من أجله وضعت فاعتدالاتٌ وأوزانُ
وإذا أعمالهُ عرضتْ بانَ أرباحٌ وخسرانُ
منْ يزنْ أعمالهُ ها هنا ما له فى الحشر ميزانُ

يرجحُ الوزنُ الخـــفـــيفُ إذا حلَّ بـالميـــزانِ كـــيـــوانُ

﴿وقال أيضاً﴾

هيهـات هيهـات لا مالٌ ولا ولدٌ نعم ولا سَـــبَـدٌ يبـقـى ولا لَبَـدُ

وليسَ يـنفــعنــى إذا وردتُ عَلَى ربِّ السموات إلاَّ الواحـدُ الصمدُ

سـبـحـانه وتعـنـالى أن يكيـفـه عقلٌ وأن يمـترى فى كـونه أحدُ

هو المهـيمن فـوق العرش أعـمده بنصبـــه مـا له فى فـعـله مـردُ

المالُ عندى وحالُ الفقـرِ يحجبنى عنه فـعـينُ افتـقـارى ذلكَ السندُ

إلى غنــيّ مليّ لا افــتــقـــارَ له إلى الأمـــورِ التى إليــه تســتندُ

إذا يحكـمنى فــيمـــا يملـكنى فى الحـال أحجره فكـيف اعتـمدُ

عليه فيــه وعندى الضعف يمنعنى عن التـصـرُّف فـيـه هكذا أجـدُ

وقـوّة الحال عـين العلم أذهـبهـا بالأصل صبراً ولا صـبر ولا جلدُ

لو كنتُ أصبر أو أقوى على جلد مـا ضمنى للذى قـدْ عـالنى بلدُ

وما أنا الغوثُ أحمى الخلقَ منهُ ولا أنـا لـــهُ بـدلٌ ولا أنـــا وتـدُ(١)

لكنـنى خـــاتمٌ بالـعلمِ منـفـــردٌ للهِ مـرتقبٌ بـالسـرِّ متـحـدُ(٢)

---

(١) الغوث والأبدال والأوتاد: هذه مقـامات لبعض أئمة التصـوف وينفى عن نفسه أنه منهم (راجع المقامات والأحوال لابن تيمية بتحقيق صديقنا الأستاذ الدكتور أحمد السايح رحمه الله والمستشار توفيق على وهبة ونشرته مكتبة الثقافة الدينية).

(٢) يشير هـنا إلى أنه خاتم الأولياء وله كتـاب فى هذا الشأن قام بتحـقيقه صديقـنا الأستاذ الدكتور أحمد السـايح رحمه الله والمستشار توفيق على وهبة سـبقت الإشارة إليه ونشرته مكتبة الثقافة الدينية.

لا يعـترينى لما قـد قُلتَ عنِّى أذًى   ولا ينهنهـنى عنْ بُغْـيَـتِى الأسـدُ

﴿وقال أيضًا﴾

هيـهـاتَ هيــهـاتَ لما توعـدونْ   من قيل فـيهم فى لظَى مُـبْلِسُونْ

حـــالَ إله الخـلق مـــا بينـهم   وبينهُ شـــرعًـا فــلا يرحـــمـونْ

إنَّ على أبـصـــارِهم غــــشـــوةٌ   من ظلمـة الجـهلِ فلا يـبصـرونْ

قـد عـلمـوا الأمـــر فـأنســاهمُ   فلم يجـيـبـوا وأبوا يـسـمـعـونْ

فلتـــأتهمْ ســـاعـتـــهمْ بغـتـــةً   من عـنده بكـلِّ مـــا يكـرهونْ

تأخـــــذهم منه عـلى غــــفـلة   فى حـالِ تفـريطٍ ولا يشـعـرونْ

قـدْ عـلمـوا الأمـــرَ فـأنســاهمُ   أنفـســهـم سكرًا ولا يعلمـــونْ

لا يُســـأل الله عـن أفـعـــاله   بهمْ كـــمـا جـاءَ وهمْ يـسـألونْ

قـد قـيل فـيـهم وقـفـوهم يروا   هذا الـذى كـانوا بـهِ يفـتـنونْ

قـــدْ فَـــصَّلَ اللهُ لهمْ مـــالهمْ   ومـا عـليـهم فى الذى يـقـرأونْ

جــاءتْ بهِ الأرســالُ مـنْ عندهِ   مــــبـــشــــرينَ وبهِ مـنذرونْ

قـــالَ لهـمْ خـيـــالهمْ حكـمنا   اللغـوُ فـيـهِ فـعسى تـغلبـونْ

عـاد علـيـهم حـسـرة لـغـوهم   فـيه فكانوا فـى الورى خاسـرينْ

فـــأعــــرضَ اللـهُ وأرســـالهُ   لما تولـوا عنهمُ مـعــــرضـــينْ

﴿وقال أيضاً﴾

تبـــــارك اللهُ لا أبْـغِي بـه بدلا ... ولا أراهُ سـوى فـى الأهلِ والولدِ

عـــجـــبتُ منْ غـــفلتـى بهِ وأنا ... منهُ كـما قدْ علمـتمْ بيضـةُ البلدِ

اعلم بـأنَّ الذى بالعـــقل أطلبـــه ... لو فات عن بصرى ما فات عن خلدِى

قـد صحَّ بالنقل أنَّ العينَ واحـدةٌ ... منى ومنهُ فـلا يحجـبكَ بالجسـدِ

فـــإنَّهُ عـــينُ كلـى هكذا وردتْ ... ظهـرًا وبطنًا وما بالربعِ من أحـدِ

غيرى وصـورته فى الحس صورتنا ... بكلِّ وجـهٍ وإنَّ الأمـرَ فى حـيـدِ

قد قـال عنى أمورًا لست أعرفـها ... فيـه فما جـاء من غيٍّ ومن رَشَدِ

وقـتـا يُمـيِّـزُنِى عنه ويَجْـمَـعُنِى ... وقـتًـا عليـــه به لا بدَّ من عـددِ

قد حرت فيـه فلا أدرى أيثبت لى ... عين افتقارى أو استغناى فى الأبدِ

من أعجب الأمـر أنى حادث وأنا ... عـين القديم بما قـد جـاء بالسَّندِ

بأنه فىّ عـين الـسـمعِ والبـصـرِ ... وأنَّهُ عـــينُ مـا أســعى بهِ ويدِى

لأنه صـح أنَّ العـــينَ حـــادثةٌ ... منى وكيفَ يكـونُ الأمرُ يا سندِى

تقـابل الأمـر فـينا والوجـود لنا ... حـــقًــا يقـــينًا بـلا ريبٍ ولا فَندِ

إنْ كنتـه فلمـــاذا قلتَ فـيـهِ بأنَّ ... الحقَّ سـبحـانهُ ركنى ومعـتمـدِى

لولا أنا لم بليـس النفى تتـبـعـه ... ولا بـنـفـى أب عـنـه ولا ولـدِ

والكاف عـــينى بـلا شك وزائدة ... فى قـولِ أكثـرهمْ فاقـرأ ولا تزدِ

فى اللحنِ يثبتُ مـا قلناهُ من شبهٍ ... ولم يكن كـــفـؤ الله مـن أحـدِ

لذا أتت سورةُ الإخلاص عن سبب ... من يهتدى فيـه بالهدى الصحيح هُدِى

إنى أنزهك عـن تنزيه أكـثـرهم ... بما أتت فـيـه أرسـالٌ لكم وقـدِ

كـما فـديتكَ من تقديسِ عـالمهمْ ... فى زعمهِ وهوَ فى التقديسِ ذو عندِ

كـيفَ الفـداءُ ومـا شىءٌ يعـادِلهُ ... لو افـتـدى أحد بما فـديت فُـدِى

﴿وقال أيضاً﴾

إنى بنيـتُ على علمى بأسـلافى ... ومنْ صحبتُ من أشياخى وآلافِى

فـمـا أصلّى بـهم إلا قـرأتُ لهم ... منَ القـرآنِ لمـا فـيـهِ لإيلافِ

فالاً فإنَّ الذى فى العـبدِ منْ صفةٍ ... عين الحـبيبِ فـهذا عـينُ إنصافِ

نفـسى تنازعـنى إذا أطهـرها ... والخف فى قدمى من نزعِ أخفافِى

وكـيفَ أنزعهـا وقـدْ لبسـتـهمـا ... على طهـارةِ أقـدامى بأوصـافِى

إن اتصـافى بنعتِ الحقَّ بعـدنى ... منه وقـربنى بنعـتِ أسـلافِى

عـجـز وفـقـر إلى ربى ومـسكنة ... إلى سـؤالٍ بـإلحـاحٍ وإلحـافِ

إلى رفـيقٍ لطيفٍ مـشـفقٍ حـذرٍ ... وما أنا بالعـتلّ الجعـمصِ الجافِى

إذا ذكرت الـذى عليه مـعتـمدى ... سبـحانه كنت فـيه المثبت النافِى

فـالنـفىُ تنزيهـهُ عنْ كـلِّ حـادثةٍ ... منَ الصـفاتِ التـى فيـهنَّ إتلافِى

ولستُ أثبتُ للرحـمنِ منْ صفـةٍ ... إلا التى قـالهـا فى قـوله الكافِى

لله مـيـزانُ عـدل فى خليـقـتـه ... فـإنْ وزنتْ فـإنى الراجحُ الوافِى

أنا مريضٌ ودائى ليس يعرفه … إلا العليمُ بحالى الراحمُ الشَّافِى

إن التستر بالعاداتِ من خلقى … فما أنا علمٌ كبشرِ الحافِى

إنَّ التخلقَ بالأسماء يظهر ما … يكونُ حليتهُ بالمشهدِ الخافِى

العبد يرسب يبغى أصلَ نشأته … والغيرُ متصفٌ بالمدعى الطافِى

ثوبى قصيرٌ كما جاءَ الخطابُ بهِ … وثوبُ دينى ثوبٌ ذيلهُ ضافِى

مياه أهل الدعاوى غير رائقة … وماءُ مثلى ذاكَ الرائقُ الصافِى

ديار أهل القوى فى الخلق عامرة … ودار أهل المعالى رسمها عافِى

يجودُ عندَ سؤالى كلَّ مكرمةٍ … ربى علىَّ بإنعام وإسعافِ

لقد علمتُ بأنَّ الله ذو كرم … وأن فينا له خفىَّ ألطافِ

أثنيتُ بالجودِ عن فقر وعن ضرر … على الإلهِ فجازاتى بإسعافِى

كماء وردٍ إذا الدارىّ يمرجه … بما يطيبهُ منْ ماءِ خلافِ

فبالأكفِّ جيادُ الخيل إنْ سبقتْ … نمسِ منها بأجيادٍ وأعرافِ

لا تفرحن باستواءِ الكَفتين إذا … أعمالكمْ وزنتْ من أجلِ أعرافِ

وأكثر الذكر للرحمن فى ملأ … من الملائك ساداتٍ وأشرافِ

واحذر قبولك رفدًا قد أتيت به … عن التشوُّق منكم أو عن إسرافِ

إنَّ الغريبَ مصونٌ فى تقلبهِ … كلؤلؤٍ صينَ فى أجوافِ أصدافِ

إنَّ الكريمَ تولاهُ بجائزةٍ … تترى عليهِ وإنعامٌ وإردافِ

لو جاءَ منْ أسهمَ البلوى على حذرِ … منَ المصابِ لجاءَتهُ بآلافِ

إنَّ العبيدَ أولى الألبـابِ قدْ نصبوا ... لرمى أســـهمٍ بلواهُ كـــأهدافِ

الله عــاصـمـهم مــن كلِّ نازلةٍ ... بما يـجنُّ مـنْ ألطـافٍ وأعطـافِ

من عند ربٍّ حـفىّ بـى ومكتنفٍ ... وعـاصمٍ بالذى يُسْـدِى وعطَّافِ

من الجـميلِ الـذى ما زال يرفـده ... بمثلـه ليــعـمّ الخــيــر أكـنافى

﴿وقال أيضاً﴾

حــــــسَّـنْـتُ ظـنىِّ بـربـى ... فــاعـــقب الظنَّ خَـــيْــراَ

أعـطانـى الظـنُّ فـــيـــهِ ... خـــيــراً كــثـيــراً ومــيْــراَ

بهِ تـعـــودتُ شـــرعًـــا ... مــنْ رده الـكـورَ حـــــوْراَ

فــأســرع الخـيــرُ نـحــوى ... سيــرا حـثـيـثـا فــسـيْراَ

﴿وقال أيضاً﴾

ليس يدرى مـا هو الأمـرُ سـوى ... منْ هـوَ الآنَ علـى صـــورتهِ

فـــإذا تُبْـصِــرُهُ تعـلمــه ... لـلذى يـعلـم من صـــورتـهِ

إنما يـبــصـــرهُ فـى مُلْكهِ ... مِــثْلُهُ يمــشِـى على سِــيــرَتهِ

﴿وقال أيضاً﴾

لـله فـــيـنـا مـــا سكَـنْ ... ومـــا توارى واسْـــتَكَنْ

فـــإنهُ ســـبـــحـــانهُ ... لـقـلـبـنـا نِـعْـمَ الـسَّـكـنْ

فـــلا تقـــولوا مـــالهُ ... فـــإنما الـقـلبُ سـكـنْ

ولا تـكـونـوا كـــالـذى ... غـلا لجـهـلٍ فـامْـتُـحِنْ

غُـلُـوَّ أهـلِ الـرفـضِ فـى ... أمـرِ الحـسـيـنِ والحـسَنْ

الـشـكـرُ لـلـهِ الـذى ... أسـمـعـنى كلَّ حـسَنْ

فى كـلِّ بشـرى قـالَ لى ... إنك عـبـدٌ مـؤتمَنْ

عـلى الـذى أعطـيـتـه ... مـن كلِّ سـرّ فـى السنَنْ

فـقلْ كـمـا قـالَ الذى ... يـقـوله مـن قـد أَمِـنْ

الحـمـد لله الـذى ... أذهـبَ عن قـلبـى الحَـزَنْ

﴿وقال أيضاً﴾

إذا نظَرتْ عينـى فأنت الذى ترى ... وإنْ سَمِعَتْ أذنى فلستَ سوى سمْعِى

وإنَّ قُـوَايَا كلّـهـا ومـحلهـا ... وجودُكَ يا سرِّى كما جاءَ فى الشرعِ

ولا حكمَ منْ طبـعٍ إذا مـا تكونُهُ ... فـإنْ كنتـه كـان التَّـحكُّـمُ للطبعِ

إذا كنتَ عينى حـينَ أبصركمْ بكمْ ... فقدْ أمنتْ عـيناىَ منْ علةِ الصدعِ

إذا فرقتْ أسـماؤهْ عـينَ صورتى ... على صورتى فيـهِ أحنُّ إلى الجمعِ

فـاحمـده حـمـدَ المحامـد كلهـا ... وأشكرُه فى حـالةِ الـضـرِّ والنفعِ

وارقبُ أحـوالى إذا كـان عـينُهـا ... واشْهَـدُهُ فى صورةِ الوهْبِ والمنعِ

لقــد أثرت لما أغـارت جـيـادُه ... بميـدانهِ شحـبًـا كثـيـراً منَ النَّقعِ
فـمـا قـرعُ بابِ اللهِ والبـابُ أنتمُ ... كما أنتَ ذاتى حينَ أشرعُ فى القرعِ
واشـهـده عند اللوى وانعـطافـه ... وإن كمال الحق فى مـشهد الجزْعِ
وصـورتُهُ فى الدرِّ أكـملُ صـورةٍ ... وصورةُ عينِ الكونِ أكملُ فى الجزعِ
أمـا وجلالُ النازعـاتِ وغـرقهـا ... لقدْ شهـدتْ عينى الطوالعَ فى النزعِ
إذا لمْ يكنْ فـرعٌ لأصلٍ وجـودنا ... وهل ثمـر تجنـيـه إلا من الفـرعِ
وصقعٌ وجـودُ الحقِّ فى دارِ غربتى ... فلا صقعٌ أعلى فى المـنازلِ من صقعِى
ألا إنهُ يخـفى معَ الـوترِ عـينهِ ... ويظهرها للعين فى حـضرةِ الشفعِ
ألا كلُّ ما قد خامـر العقلَ خمرةٌ ... وإنْ كانَ فى مزرٍ وإنْ كانَ فى تبعِ
لقـدْ رفـعتْ للعـينِ أعـلامُ هديهِ ... وضمن كـيد الحقِّ فى ذلك الرفعِ
ولولا دفــاعُ اللهِ هدتْ صـــوامعٌ ... لرهبـانِ ديرٍ فالـسلامـةُ فى الدفعِ
لقد سحت فى شـرقِ البلاد وغربها ... وما خفـيتْ نعلى ولا انقطعتْ شسعِى
وفى عرفـاتٍ ما عرفتُ حقيـقتى ... ولا عرفتُ حتى أتيتُ إلى جمعِ[1]
ولَّما شـهـدناها وجـئـتُ إلى منىً ... بذلتُ لهُ بالنحرِ ما كانَ فى وسعِى
حصبتُ عدوى جمـرةً بعدَ جمرةٍ ... ببضعٍ منْ الأحـجارِ بوركَ منْ بضعِ
ولما أتـيتُ البـــيت طفـتُ زيارة ... حنينا بهـا من فـوق أرقـعة سـبعِ
عنـايةُ ربى أدركتْ كـلَّ كـــائنٍ ... منَ الناسِ فى ختمِ القلوبِ وفى الطبعِ

(١) جمع: أى مزدلفة لاجتماع الحجاج فيها بعد الوقوف بعرفة.

ومن أجل ذا لم يدخل الكبرُ قلبهم على موجدِ الصنع الذى جل من صُنْع

ولولا وجودُ السمعِ فى الناسِ ما اهتدوا وليس سوى علمِ الشريعةِ والوضْعِ

فكمْ بينَ أهلِ النقلِ والعقلِ يا فتىً وهلْ تبلغُ الألبابَ منزلهُ السَّمْعِ

﴿وقال أيضاً﴾

منْ لمْ يزلْ بامتثالِ الشرعِ يطلُبُنى ما زلتُ أطلبُهُ شرعًا وأبغِيهِ

حتى رأيتُ الذى طلبتُ منهُ على ترتيبِ ما لم أطق بالعقل ألغِيهِ

العبدُ لولا تجلّى الحق فى صور شتى لكان دليلُ العقل يُطْغِيهِ

لأنه بدليلِ العقل يطلبه والشرعُ ينقضُ ما الأفكارُ تبنِّيهِ

فكلٌّ عين بعلمِ الحقِّ تعبدُهُ فإنَّ ذلكَ فيهمْ منْ تحلِّيهِ

﴿وقال أيضاً﴾

لمّا رأيتُ وجودى فى تجليهِ رأيتُ ما كنتُ أبغيهِ وأنفيهِ

فما رأيت وجودًا كنتُ أظْهِرَهُ إلا رأيتُ وجودًا منه أخْفِيهِ

إذا علمتُ بهذا واتصفتُ به علمتُ أن له عهدًا يُوفيهِ

﴿وقال أيضاً﴾

إنهمْ كانوا إذا قيلَ لهمْ قولوا كذَا

مــنْ أمـــــــــورٍ لـيسَ فـى		قــــولـهـــــا شــــرعًـــا أذَى
بــادروا مــن فـــــــــورهـم:		أمـــــــرُ مــن قـــــال بـذَا
ولـقـــــدر نتــــجـــوا		لـلمـــــــعــــــالى ولـذَا
أصـــــغـــــر الـقــــوم الذى		عــن هواه انتـــــبــــــذَا
فـــــتـــــــراه عَلَـمًــــــا		ذا علــومٍ جـــــهــــبــــذَا
لهـــــداهُ صـــاحــبًــــا		للـهــــوى منتــبـــــذَا
كلٌّ مــنْ ســـــاعـــــدهُ الـسَّـ		ـعْـــــدُ فــــيـــــهِ اتخــــذَا
عـــــزمَـــــهُ نـاصـــرَهُ		وعليـــــهِ اســــتــحـــــوذَا
مـــا يـصـــيــخــون لمن		قـــــال فـــشــــرا وهذَى
وبـذا قـــــدْ عـــرفـــوا		فـــاســتـــخــصــوا وبذَا
وكــــبــــيــــرُ القـــومِ فى		حـظرهِ قــــــدْ أخــــذَا
فـلـذا تبــــــصـــــــره		أبـدًا مـــــتــــخــــذَا
هـكـذا شــــــــأنُ الـذى		عـــــــيـنــوه هـكـذَا

«وقال أيضاً»

سما فاعتلى فى كلِّ حال مقام مَنْ		إذا قيلَ أنـتَ الربُّ قالَ أنا العـبدُ
على الكلِّ عهدٌ قدْ عـرفتَ مقامَهُ		فمن لا يفى بالعهـد ليس له عهدُ
كذا نصـهُ فى الوحيِ عبدٌ مـقربٌ		مـحـمـد المختـارُ والعَلَمُ الفـردُ

وجـاءَ بـه نصُّ الكتـابِ مـــؤيدًا … كلامُ رســولٍ صادقٍ وعـده الوعدُ
فللهِ مـــا يخـفى ولله مـــا يبـدو … ولله فـيـهِ الأمرُ قـبلُ ومنْ بعـدُ
ولمْ يدرِ هذا الأمرَ إلا أولوا النهى … منَ الســادةِ الغرِّ الذينَ همُ قـصدُ
قـويمٌ إذا حـادتْ مقـاصـدُ مـثلهِ … عن المرتبـةِ العليـا فخـانهم الحـدّ
أقـــامـوا براهـينَ العـــدالةِ عندهُ … فـقـــولهمُ قـول وحـــدهمُ حـدُّ
وحال لهم فى كل غيبٍ ومـشهدِ … مذاق عـزيز طعمه العسلُ الشـهدُ
وذلك عـن وحى من اللـه واصلٌ … إلى النحلِ فانظر فيـه يا أيها العبدُ
فـإن كـــان إلهـامـا مـن الله إنه … هو الغاية القصوى إلى نيلها تعدُو
فمـا فيـه من تركِ استناد مـعنعنٍ … ومن كان هذا علمه جـاءه السعدُ
فليسَ لهُ إلا الـغـيـوبَ شـهـادةٌ … ومن كـان هذا حـاله مـا له حـدُّ
تجنبْ براهـينَ النهى إنهـــا عـمى … إلى جنب ما قلـنا فقربكمُ البـعدُ
لو أنَّ الذى قـلناه يقـــدر قـــدره … لنوديتُ بينَ الناسِ يا سعـدُ يا سعدُ
كمـا جاءَ منْ أسرى إلـيه بهِ على … بُراقِ الهدى نحوَ الذى قلتُ يشتدُّ
ومنهُ أخـــذنا علـمَـهُ بـشـهـــادةٍ … من الذوقِ ذقناها وشاهدنا الوجدُ
إلى كلِّ خـيرٍ ســابقًا ومـسارحًـا … وقد جاء فى القـرآن أنوارها تبدُو
أروحُ عليـــهـا بكـرةً وعـشـــيـةً … بشوقٍ إلى تحـصيلها وكـذا أغدُو
ألا إنَّ بذلَ الوسعِ فى اللهِ واجبٌ … ودار الذى مـا من صـداقـتـه بدُّ
وليس سوى النفسِ التى عـابد لها … وكانتْ من الأعداءِ لمـنْ حالُه الرشدُ

تعـبــدتَ يا هذا بكلٍّ فـضــيلةٍ وأنتَ لهـا أهلٌ إذا حصلَ الجـهدُ

وساعـدك التقوى فنـلت بها المنى ولكنْ إذا أعـطاكَ من ذاتهِ الجــدُّ

إذا جـاءك الوفـدُ الكريمُ مـغلسًـا وسـاعده من عند مـرسله الرفـدُ

فـذلك بشـرى منه إنك مجـتـبى وإن لك الزُّلفى كـما أخبـر الوفدُ

ومـا الوفــدُ إلا رسلهُ وكـتــابهُ وليس لما جـاءت بـه رسله ضـدُّ

يقــاومــهُ فــاعلمْ بـأنكَ واصلٌ إليـهِ ولا هجــرٌ هناكَ ولا صـدُّ

فواصِلْ ذوى الأرحـام مما منحـته وإنْ أنتَ لمْ تفعلْ فـذالكمُ الطردُ

وحــاذِرْ من الجــودِ الإلـهىّ إنه لهُ المـكرُ فـى تلكَ المـنائـحِ والردُّ

فلوْ كـانَ عن ربٍّ لكانَ مخلصًـا كمـا يحلمُ الشطرنجُ أن يحكمَ النردُ

ألا إنَها الأفـلاكُ فى حكمهـا بها قدْ أودعَ فيهـا اللهُ منْ علمهِ تعدُو

على كلٍّ مـخـلوقٍ وإنَّ قـضـاءَه عليه بهِ فاحمدْ فمنْ شانكَ الحمدُ

فحـقق تنقل إن كنت بالحقِّ حـقه ولا تعتـمد إلا على مـن له المجدُ

وذلكَ منْ يـدرى إذا كنتَ عــالمًا وقدْ أثبتَ التحقـيقُ من حالهِ الجحدُ

ولا تجـحـدَنَّ إلا كـفـورًا لعلمـه لذلك لم يـخلد وإن ذكــر الخلدُ

فمـا الخلدُ إلا للذى ظلَّ مشـركًا يروحُ ويغدو دائمًا فـيهِ ولا يعدُو

﴿وقال أيضاً﴾

ليس يدرى الغـير ما طعـم الهوَى إنما يـدريهِ مـنْ ذاقَ الهــــوَى

والهـوَى لولا الهـوَى مـا هَوَيتْ ... نفسُ من ذاق الهوى غـير الهوَى

مـــا هوى نجـمٌ إذا النجـم هوى ... فى هـوى إلا من آثارِ الـهـــوَى

أولُ الحـبِّ هوىً نـعلمـــــــهُ ... عندنا فـالعشقُ من حكمِ الهـوَى

لا تذمـنَّ الهـــوى يا عـــاذلى ... إنما للـمـــرء فـيـــه مـــا نوَى

فــبـــهِ كـــونَ كـــونى فـبـــدا ... وبه قـــــد فـلق الحـبَّ النـوَى

فـيـــرى صـاحـبـه فـى مَـوصل ... ويـرى عـــــائـدهُ فى نـينـوَى

فـيـــرى الصـاحب فى وصـلتـه ... ويرى الـعـــائدُ يشـكو بالـنوَى

وقـف الحبُّ عـلـى الـقلـبِ إذا ... ذاقـه عنـد مـقـامـــاتِ السـوَى

وإذا خــــــاطبـــــــهُ مـنْ ذاتهِ ... مـــا يرى خـاطبـــه منه ســـوَى

ليس لـلقلبِ اهتـــمـــامٌ بالذى ... نالـهُ عندَ المـناجـــاةِ ســـوَى

قـــولِ من قـــالَ له فى حكمـــه ... أنـا فى الحـكمِ وإيـاكَ ســــــوَا

مـــا له من خـــبـــر فى علمـــه ... غـــيـــرُ مـــا قـــدْ قـالـهُ ثمَ لوَى

عنه وجـــهـا لم يزل وجـهـــتـــه ... يطلبُ الـوجـهُ بهـــا وأدى اللوَى

﴿وقال أيضاً﴾

إنَّ الفـــروعَ لهـــا أصلٌ يـولدُها ... وهيَ الأصـــولُ لمنْ أيضًـــا تولدهُ

الحقُّ أصلُ وجـودى ثمَّ مـعرفـتى ... أصلٌ لعلمى بهِ إنْ كنـتَ تشهـدُهُ

بهِ أتانـا رسـولُ اللهِ فى خـــبـــرٍ ... عكسَ الذى قالَ منْ بالفكرِ يجحدهُ

اللهُ أنزه أن تُدرى حقيقته ... وأنْ يولدّهْ من كانَ يعبدُهُ

وإنما قلتَ ذا مما لنا وردتْ ... بهِ النصوصُ التى للشرعِ تعضدُهُ

إنْ تنصروا الله ينصركمْ ويشهدُكمْ ... إصلاح من أنت تبغيه فتفسدُهُ

﴿وقال أيضاً﴾

إنِّى رأَيْتُ وُجُودًا لَسْتُ أعْرِفُهُ ... وكَيْفَ أعْلَمُ مَنْ بالعِلْمِ أجْهَلَهُ

لَوْلاَ الوُجُودُ الَّذِى منَّا يصرِّفُهَ ... فيهَا لَمَا كَانَ لِى قَلْبٌ يُفَصِّلُهُ

إلَى وُجُودٍ إلَى ذَاتٍ إلَى صِفَةٍ ... إلَى نُعُوتٍ لَهُ جَاءَتْ تُكَمِّلُهُ

إنَّ النفُوسَ بأوْهَامٍ تَخَيُّلهِ ... وبالتَّوهِيمُ نَفْسُ مَا تُحَصِّلُهُ

إذَا يُفَصِّلُهُ عِلْمِى بُحَدَّدُهُ ... وَهَيَمَى وَمَا يَقْبَلُ التَّفْصِيلُ يُجْمِلُهُ

إنَّ الجَمَالِ لِمَنْ يَهْوَى الجَمِيلِ بِهِ ... والنَّاسُ أعْلَمُهُمْ بِهِ تَجَمُّلُهُ

فَيَحْمِلُ الكُلَّ عَنْ أهْلِ الكلاَلِ فَتَى ... يَدْرِى بأنَّ انْبِسَاطِ الحَقِّ يَحْمِلُهُ

أخُوكَ يا ابْنَةَ عِمْرَانَ شَبِيهُكِ فِى ... كَفَالَةِ المُجْتَبَى واللهُ يَكْفُلُهُ

لَهُ عَلَيْكِ كَمَا قَدْ جَاءَنَا دَرَجٌ ... لذَاكَ فَازَ بِمَا مِنْهُ يُؤَمِّلُهُ

عَمْدًا يَراهُ إذَا مَا الكَوْنُ يَفْصِلُهُ ... عَنِ الإلَهِ تَرَى الرَّحمَنَ يُوصِلُهُ

وَتِلْكَ مَنْزِلَةٌ عُظْمَى يَعِينُهَا ... لَهُ مِنَ اللهِ بالزُّلْفَى مَنْزِلُهُ

إذَا عُبَيْدٌ تَرَاهُ فِى مُخَالَفَةٍ ... للهِ جُودُ الإلَهِ الحَقِّ يُمْهِلُهُ

وَلَيْسَ تُهْمِلُهُ إلاَّ عِنَايَتُهُ ... بِهِ فَيُمْهِلُهُ وَلَيْسُ يُهْمِلُهُ

وتِلْكَ مَنْـزِلَةٌ جَـاءَتْ بِهَـا كُـتُبُ ... مَـا كَـانَ يَحْظَى بِـهَـا لَوْلاَ تَنَزُّلُهُ

﴿وقال أيضاً﴾

هذا الـذى عنـتْ لهُ الأوجـــهُ ... ليس لـه من خلقـه مَـشَبَّـهُ

ولوْ بدا لـلعـينِ فـى صـورتى ... لهُ المـقـامُ الأفـخـمُ الأنْزَهُ

قـد استـوى فـيـه وفى نفـسـه ... العـالمُ الـهـمـهمُ والأبْـلَهُ

مـا يعـرفُ الحقَّ سـوى نفـسهم ... إن عـرفـوا وكـلُّ ذا كنهَـهُ

فـإن تجلّى لعـيـونِ الورى ... رأوه مـنـهـم ولـذا نـزَّهُـوا

أنفـسـهـم فى بعض أقـوالهم ... قـال بـه أربـابه الـولَـهُ

تنزيهـهمْ عـادَ عـليـهمْ كـمـا ... جـاء بـه النـص الذى نـزَّهُوا

وفـيـه قـال العـبـد سـبـحـانه ... عليـهِ أهـلُ اللهِ قـدْ نبَّـهُـوا

فـإنـه ليس بـأنفـاسـهم ... مـا اعتـقـد الناس ومـا شـبَّهُـوا

هذا الوجـودُ ومن به يتـجـمَّلُ ... إنَّ الحـديثَ كـمـا يقـولُ الأوَّلُ

دلَّ الدليـلُ على حـدوثٍ واقعٍ ... عن مـحـدِّثٍ هو بالدلالة أكـمَلُ

إذْ كـانَ والأشيـاءُ لم يكُ عَـيْنُهـا ... فـحـدوثُهـا فـرْقٌ جلىٌّ فـيـصلُ

عندَ الـذى سـبـرَ الدليلَ بـفكرهِ ... لكنْ متىَ فـى مـثلِ ذا لا يعـقلُ

إنَّ الزمـــانَ منَ الحــوادثِ عـــينهُ ... ومتَى مـحالٌ فى الزمانِ فـأجملُوا

لوْ يعلمــونَ كـمـا علـمتَ مكانهُ ... مـــا كنت عنه بمـثل هذا تُسْـــألُ

لحــدوثنا إذْ لمْ نـكنْ وظهـــورنا ... فى عـيننا وكـذا المكان فـفـصِّلُوا

لوْ أنَّ رسطالـيسُ يسـمعُ قـــولنا ... ورجـــاله نـظرًا عليـــه عـــوَّلُوا

أنصفت فى التحقـيق مذ بينت ما ... دلُّوا عـليـــه بالـدليل وأصِّـلُوا

والأشـعـرىُّ يقولُ مـثلَ مـقـالتى ... وإنْ أنصـفوا وكذا الـرجالُ الأوَّلُ

والله مـــا زلتْ بهم أقـــدامُـــهم ... لكنْ لفـهمِ الـسامـعـينَ تزلزَلُوا

قـد فـرَّقـوا بيـن الوجـوبِ لذاته ... ولغـيـــره فـافـهم لعلـك تعْـقِلُ

هذا هوَ الإمكانُ عندَ جـمـيعـهمْ ... فـعن الحقـيقـة عندنا لم يعـدِلُوا

لكنهـم مـا أنصـفـــوا إذ نوظروا ... فى البحثِ بالسـرِّ الذى لا يجهلُ

لو أنهم سـبـــروا أدلة عـــقلهم ... وتوغـلوا فى قـــولـهم وتأمّـلُوا

رأوا اتســاعَ الحقِّ منْ إنـصـافـهمْ ... وقـبـولهُ للقـــولِ فـيـهِ فـأقْـبِلُوا

إخـوان صـدقٍ لا عـــداوةَ بينهم ... فلـهُ العـلوُّ نزاهـةً والأسْـــــفَلُ

اللـه أوسع أنْ يقـــــيـــــده لـنا ... عـقـــدٌ فكلُّ عـقـيـــدةٍ لا تَبْطُلُ

لكنْ لهـــا وجـهٌ إليـهِ مـــحـقـقٌ ... يدرى به الحـبـرُ اللبـيبُ الأكْـمَلُ

جـاء المحـقـقُ فى التـــجلى بالذى ... وقعَ النـكيـــرُ بهِ ومـــا هوَ أنْزَلُ

فلهُ التَّـجَلِّى فـى العـقـائدِ كلِّهَـا ... وأتى بـذاكَ تبــــدُّلٌ وتحــــوُّلُ

لوْ لمْ يكـنْ هذا تقـيـدٌ وانـتـفى ... إطلاقـــه عـنه لضـــاقَ المـنْزَلُ

تدرى الخلائقُ فى الشعورِ نزولهُ يومَ القيامةِ وهوَ يومٌ أهْوَلُ

عمت سعادته الخلائق كلهم جاء الرسولُ به ونص المرْسلِ

وسعَ المهيمنُ كلَّ شيءٍ رحمةً فاعلمْ فليسَ على المكانِ مُعَوَّلُ

إنَّ الإلهَ حكى لنا ما قالهُ أهلُ العدالةِ والصدورُ العدَّلُ

وهم الدعاةُ لنا وقد نطقوا بما جاء الكتابُ به إلينا المُنَزَّلُ

فينا منَ التجريحِ وهوَ حقيقةٌ من غيرة قامت بهم لا تَجْهَلُ

لله قاموا غيرة لم يقصدوا ردًا عليهِ لمَّا رأوهُ فأوَلُّوا

﴿وقال أيضاً﴾

ليس فى الوجودِ منْ يقولُ ربِّى

غيرهُ تعالى إذ أقولُ ربِّى

ما أرى محبًا فى هوى محبٍّ

إنَّما هواهُ أنْ يكونَ حُبِّى

فى هواهُ يجرى إذ دعا يُلَبِّى

ما أرى حبيبًا مَنْ أحَبَّ حبِّى

إنَّما حبيبى مَنْ أحَبَّ حُبِّى

فى هوى حبيبى قدْ قضيتُ نَحْبِى

ليس لى حبيبٌ يرتضيه قلبِى

كـــــيـفَ يرتـضــــــيــــــه   منْ يـقـــــولُ حــــسٍّــــبى

﴿وقال أيضًا﴾

إنى إناءٌ مـلآنُ ليـسَ يشـربْ مـا   فـيـه من اللبنِ الممـزوجِ بالعـسلِ
غيـرَ الذى بفنونِ العلمِ خـصَّنَا   محـمدٌ خيـرُ مبـعوثٍ من الرُّسُلِ
أتى بإعـجـازِ قـولٍ لا خـفـاءَ بهِ   أعـجازُهُ انعـطفتْ منهُ على الأُوَلِ
حوى علـى كلٍّ لفظ معـجز ولذا   حوى على كلِّ علمٍ جاء من مَثَلِ
أتى به الناطقُ المعـصوم مـعجـزةً   إلى الذى كانَ فى الدنـيا من المللِ
فـمـــا يعــارضـه جـنٌّ ولا بشـر   بســـورةٍ مـثـله فى غـــابر الدُّوَلِ
ولوْ يعــارضــهُ ما كــانَ مـعجـزةً   فليس إعـجـازه يجـرى إلى أجَلِ
رأيتُ ربى فى نومـى فـقلتُ لهُ:   ما صورةُ الصرفِ فى القرآن حينَ تَلِى
فقالَ لى اصدقْ فإنَّ الـصدقَ معجزةٌ   ولا تزوِّر أمــــوراً إنْ أردت تَـلِى
لكن كـلامَك إنْ تفـعله مـعجـزة   فقلتُ يا ربِّ غـفراً ليسَ ذلكَ لِى
هذا دليـلٌ بأنَّ القـــولَ قـــولكمُ   لا قوله وهو عنـدى أوضح السُّبُلِ
أتى به روحـه مـن فـوق أرقـعـةٍ   سـبعٍ إلى قلبهِ والقلبُ فى شُـغُلِ
أتى على سبعـة من أحرفٍ نزلت   مـيســرُ الذكـرِ يتلوهُ على عـجَلِ
إذا تكرَّرَ فـــيــه قـصـــةٌ ذكـرتْ   تكونُ أقوى على الإعـجازِ بالبدَلِ
والكلُّ حقٌّ ولـكنْ ليسَ يعــرفـهُ   إلا الذى بدليلِ العـقلِ فـيـهِ بلِى

هذا هوَ الحقُّ لا تضربْ لهُ مثلاً ... فإنه من صفاتِ الحقِّ فى الأزَلِ

لا يحجبنكَ ما تتلوهُ منْ سورٍ ... بأحرف وبأصواتٍ على مَهَلِ

فكله قوله إنْ كنتَ ذا نظر ... فيه على حدٍّ إنصاف بلا مَلَلِ

إنَّ الوجودَ إذا أبصرتهُ عجبٌ ... فكله كلماتُ الله من قِبَلِى

أنا محصِّلُهُ أنا مفَصِّلُهُ ... بنا تلاوتهُ فينا على وجلِ

قدْ أودعَ اللهُ فيه كلَّ مرتبةٍ ... تحوى على حزن تحوى على جذَلِ

فيحزنُ القلبُ أحيانًا ويفرحُهُ ... بما يقرِّرُهُ فى كافرٍ وولِى

منَ الصفاتِ التى جاءتْ مرتبةً ... على الحقائقِ فى حافٍ ومنتعلِ

يعلو بهِ واحدٌ للهِ منزلهُ ... وآخرُ نازلُ منهُ إلى السفلِ

وقال أيضاً فى أمثلة أوزان جمع القلة والبيت الأول منها تقدم لغيره

بِأفْعَلَ وَبِأفْعَالٍ وأَفْعِلَةٍ ... وَفِعْلَةٍ تَجْمَعُ الأدْنَى مِنَ العَدَدِ

فتَمَّمَ عَلَى هَذَا بالأمْثِلَة

كَمِثْلَ قَوْلِكَ أنْعَامٌ وأرْقِعَةٌ ... بَنَى الإلَهُ لَنَا قَامَتْ بِلاَ عَمَدِ

وَأكْلَبٍ لَمْ يَسُدَّ الخُبْزُ جُوعَهُمُو ... وَفَتيةٍ نَبغَتْ يَقْضُونَ بِالرَّصَدِ

﴿وقال أيضًا﴾

إنَّ الحـبيبَ هوَ الـوجودُ المجـملُ ... وشخـوصُ أعيـانِ الكيانِ تَفْـصِلُ

مـا منهمُ أحـدٌ يـحبُّ حـبيـبـهُ ... إلا وللمـحـبـوبِ عـــينٌ تعـقلُ

فى عـينِ من هو ذاتـنا وصـفـاتنا ... ووجـودنا وهو الحبـيبُ الأكـملُ

وقف الهوى بى حيث كان وجودُه ... فى مـوقفٍ عنه الطواغيت تسـفلُ

طرفُ الذى يهـوى سـمـاك رامح ... وفـؤادُ من يهـوى سمـاك أعـزلُ

مـــا إن يرى من عـــارف الإله ... بيــن المنازلِ فــى المجـــرّة مـنزلُ

لمقـــامِ مـنْ يرجى الـعلوَّ لـذاتهِ ... ومـقـام من يرجـو المقـام الأنزلُ

من كـــان لا يـبنى لذلك عـندنا ... هذا هوَ الـعلمُ الذى لا يـجـــهلُ

والله لو ترك الـعـبـاد نفـوسـهم ... لرأيتـــهم وهم الـرجـالُ الـكملُ

نصـر الإله فـــريضتـه مكـتـوبة ... فـانصـرْ فـإنكَ بعـدَهُ لا تخـذَلُ

نص الرسـول على الذى قد قلتـه ... وبذاكَ قـدْ جـاءَ الـكتـابُ المنزلُ

جـاء الكتـاب مـصـــدِّقـا لمقـاله ... وعليـــهِ أهلُ اللهِ فـــيـهِ عـــولُوا

مـا منْ كـتابٍ قـدْ أضـيفَ منزلٌ ... للـهِ إلا والقـــرآن الأفـــــضلُ

والفـضلُ فـيـه بأنه يجـرى على ... مـا ليس يحـــويه الكتـابُ الأوّلُ

كـرهَ النبى الفـعلَ منْ عـبـدٍ أتى ... بصـحـيـفـةٍ فـيـهـا دُعـاءٌ ينقلُ

منْ نصٍّ توراةٍ وقـالَ لهُ اقـتـصـرْ ... فــيـمـــا أتيتَ بهِ الغـنى والموئلُ

عـصمَ الإلهُ كـتـابـنا منْ كلِّ تحـ ... ـريفٍ وما عُـصِمْتَ فـمالك يأفلُ

فـاسـتـغـفـر اللهَ العـظيمَ لما أتى ... واسـتـغـفـرْ الله لهـذا المرسلُ

فنجـا من الأمـر الذى قـد ضـرَّه ... عـمـا أتاهُ بهِ الـنبىُّ الأعـدلُ

وكـذاك خـتم الأولـيـاء كـلامـه ... فى الأوليـاءِ مـعظم مـتـقـبلُ

منْ ذاقَ طعمَ كـلامهِ لمْ يسـتربْ ... فى قـولنا فـهوَ الكلامُ الـفيـصلُ

منْ كـانَ يعـرفُ حـالَه ومقـامـهُ ... عن بـابه وركـابهِ لا يـعـدلُ

من عظَّم الـشـرعُ المطهـر قـلبَـه ... تعظيـمـهُ فـهـوَ الإمـامُ الجـولُ

صـفةُ المهـيـمنِ ها هنا قـامتْ بهِ ... والناسُ فـيـها يـشهـدونَ العـقلُ

﴿وقال أيضاً﴾

قـد طهـر اللهُ الإمـام الرِّضَى ... من كلِّ سـوء يقـتـضـيـه الأذى

فـإنهُ سـبـحـانهُ قـدْ قـضى ... أنْ لا يكـونَ الأمـرُ إلا كـذَا

ولمْ يؤاخـذْهُ بمـا قـدْ مـضى ... إذا يتـوب العـبـدُ عـنه إذَا

وجـاء بالـفـعل الذى يـرتضى ... ومـثلُ هذا العـبـدُ لنْ يُنْبـذَا

ووجـهُـهُ من نورِه مـا أضـا ... لأنه حـذوَ الإلـه حـذَا

ليس تراه عـينُ مَنْ غَـمِضَـا ... عـيـنًا إذا أنـزلَهُ بـالحـذَا

فـأشـبـهتْ صـورتُـهُ فـالقـضـا ... مطـلوبُهُ فلـمْ يكنْ غـيـرَ ذَا

﴿وقال أيضاً﴾

هذا الذى قلتـهُ فى اللهِ من صفـةٍ ... اللهُ جـاء به فى الذكـر مـسْطُوراَ

على لســانِ رسولٍ سيـدٍ نَدِسٍ[1] ... إذْ طهَّـرَ اللهُ أهلَ البـيتِ تطهيـراَ

فلمْ ينلهمْ لذا فـى عرضـهم دنسٌ ... إذ شَمَّـرُوا ذيلهم للنصر تشمـيرَا

﴿وقال أيضاً﴾

الحـمْــدُ للهِ فِى سِـــرٍّ وَفِى عَلَنِ ... حَمْـدًا يُوفِيهِ نَفْسُ الحَـمْدِ وَاللُّسُنِ

بِألْسُنٍ مَـا لَهَـا حَـصْرٌ وَلاَ عَـدَدُ ... مِنْ كُلِّ عُضْـوٍ حَوَتْهُ نَشْـأَةُ البَدَنِ

أعْنِى بذَا بَدَنُ الأكْـوَانِ أجْمَـعُهَـا ... كَالعَـرْشِ والفُلْكِ الكُرسى ذِى المِنَنِ

لأنَّهُ الشَّـرْعُ والأقْـــوَامُ تُعَـضِّـدُهُ ... بِمَـا حَـواهُ مِنْ الأحْـكَامِ وَالسُّنَنِ

تَقَـسَّمَتْ كَلِمَـاتُ اللهَ فَانْفَـصَلَتْ ... أعْيَانُهَا بَعْضُهَـا عَنْ بَعْضِهَا الحَسَنِ

وَلَيْسَ يَدْرِى الَّذِى قُلْنَاهُ مِنْ حِكَمٍ ... إلاَّ الَّـذِى هُوَ ذُو لُـبٍّ وَذُو فِطَـنِ

تَمْـشِى عَلَى السَّنَّةِ لُمُثْلَى طَرِيـقَتـهُ ... فَـعَـينُهُ عَـيْنُ مَا قُـلْنَاهُ فِى السَّنَنِ

هُو المَحَـجَّـةُ لا أكنِّى وسَـالِكُهَـا ... مَنْ يُعْرفُونَ مِنْ أهْلِ الشَّامِ وَاليَمَنِ

جِسْمًا وَرُوحًا مَـا فِى الكَوْنِ غَيْرِهِمَا ... إلاَّ الخَـيَـالُ الَّذِى يَأتِيـكَ بِالفِـتَنِ

تَرَاهُ فِـى سُنَّةِ الأنْـعَـــامِ ذَا نِـعَمٍ ... نَعَمْ وفِى سُنَّةِ الأجْـدَابِ ذَا مِحَنِ

ولَـيْسَ يُـدْرِكُ فِى نَـوْمٍ ولاَ سِنَـةٍ ... سِوَاهُ إنْ كُنْتَ ذَا فَـهِمْ وَفِى الحِينِ

هَذِى حَـقِيـقَـتُـهُ فَالزَمْ طَرِيـقَتَـهُ ... وَلاَ تُخَـالِفُــهِ فِى سِـرٍّ وَلاَ عَلَنِ

(١) الندس: هو طيب الأصل وعـريق النـسب الذى يسير بـين الناس بالمودة واللين ويدعـو بالحكمة والموعظة الحسنة، وسبق شرحها وبيانها.

وَلَوْ تُخَالِفُهُ بِهِ تُخَالِفُهُ ... لَوْلاَهُ مَا عُبِدَ الرَّحْمَنُ فِى وَثَنِ

بِالعَقْلِ تُثْبِتُهُ كَوْنًا وَتُثْبِتُهُ ... بِالشَّرْعِ حُكْما فَعَمَّ الأَمْرُ يَا سكَنِى

لَهُ التَحَكُّمُ فِى الأَلبَابِ أَجْمَعُهَا ... بِالصُّوَرِ وهُوَ لَهُ مِنْ أَعْظَمِ الجُبْنِ

ذَلَّ العَزِيزُ بِهِ عَزَّ الذَّلِيلُ بِهِ ... فَالحُكْنُ للهِ إِذْ لَوْ شَاءَ لَمْ يَكُنِ

مِنْ أَعْجَبِ الأَمْرِ أَنَّ الأَمْرَ يَحْكُمُهُ ... والحُكْمُ فِى فَرحٍ مِنْهُ وَفِى حُزْنِ

لَوْلاَ تَحَكُمُهُ فِينَا وقُوَّتُهُ ... مَا كَانَ يَأْتِيكَ بالأَفْرَاحِ وَالحْزَنِ

قَدْ يُحكِّمُ الأَمْرَ فِى أَمْرٍ فَيُبْطِلَهُ ... بِالوَهْمِ فَهُو مَعَ الأَلْبَابِ فِى قَرَنِ

لَوْلاَ الشَّرِيعةِ قَدْ كُنَا عَلَى فَلَتٍ ... مِنْهُ فَيُحكمُ فِى الفِتيَانِ بالفِتَنِ

الشَّرْعُ جَاءَ بِهِ قُربَى لِخَالِقنَا ... مِنَّا لِيُسعْدِ عَبْدُ المُؤْمِنِ الفَطِنِ

فَاعْبُدَ إِلهَكَ رَبُّ العَرْشِ فِى جِهَةٍ ... كَأَنْبِيَاءِ بِهِ فِى شِرْعِهِ الحَسَنِ

بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ الرُّوحِ قَدْ ظَهَرَتْ ... هَذِى الأُمُورُ لِتَعْلِيمِ لَنَا حَسَنِ

لَوْلاَ تَحَكَّمُهُ مَا كُنْتَ أحكُمُهُ ... فِينَا ومِنْ أَجْلِ هَذَا نَحْنُ فِى غُبْنِ

أَنَّا لَنَعْلَمُ أنَّ الحَقَّ قَالَ لَنَا ... الحقُّ لِلسَّاعِ رَجُلُ لَيْسَ لِلرَّسْنِ

لَوْلاَ الخَبَالُ وإيمَانٌ رُمِيتُ بِهَا ... عَقْلاً لِمَا فِيهِ مِنْ ضَعْفٍ ومِنْ مِنْنِ

﴿وقال أيضًا فى النواب﴾

منْ وافقَ الحقَّ فى حكمٍ وفى عملٍ ... فإنهُ عمرَ الفاروقَ فى الزَّمنِ

يا نائبَ الحقِّ إنَّ الحقَّ أهلكم ... لَمَّا أقامكَ فى ذا المنصبِ الحسنِ

فـإنْ عـدلتَ وقـاكَ اللـهُ فـتنتـهُ	وإنْ عـــدلتَ ابتـلاكَ الـلهُ بالمحنِ
قـرينهُ الحـالِ تعطى مـا أردتَ بما	ضـربتـهُ مـثـلاً للهـمـهمِ الفطنِ
إنى لســـان صـغـار لى وعـــائلة	وترجـمــانهمُ فى الســرِّ والعلنِ
قـدْ أصبـحوا مـالهمْ ثوبٌ يردّ به	بردُ الهـواءِ ولا فلـسٌ منَ الثـمنِ
وما التمست سوى مرسوم سيدهم	فإنْ منعتمْ فـلا ثوبٌ سوى الكفنِ
وإنَّ ظنى بكمْ فى حـقهمْ حـسنٌ	ولم يخب أحـد فى ظنه الحـسنِ
إنْ أجدبَ الوقت فاستسـقاء صاحبه	يزيـلهُ بـانسـكابِ الـوابلِ الـهتنِ
فـــإنهُ ربُّ إحــســـــانِ ومـــأثرةٍ	عـلـى المقـلـيـن بالآلاءِ والمـنَـنِ

﴿وقال أيضاً﴾

إنِّى جعلتُ رسولَ اللهِ خـيرَ شفيعٍ	فكنْ لهُ يا ولىُّ اليومَ خيـرَ سميعْ
وما التمستُ سوى مرسوم صاحبه	السيد الطائع المحـفوظ خير مطيعْ
وقـــدْ رأيـتُ الذى خطتْ أنـاملهُ	منْ كلِّ معنىً جـليلٍ قدرُهُ وبديعْ
والأمـرُ للهِ فـيـه ثـم صـاحـبُـه	إن الجنابَ الذى ذكــرتُهُ لرفـــيعْ

﴿وقال أيضاً﴾

إنى اتخذْتُ إلى ذى العرشِ معْراجًا	فـإنَّ لى شـرعـةٌ منـهُ ومنهـاجَـا
على لســانِ رسـولٍ مـنهُ ألبـسنى	بهِ المهــيـمنُ فى إسـرائِـهِ تاجَـا

إذا رأيتَ وفـودَ اللهِ قـدْ وصَلُوا ... يأتونَ دينَ الإلَهِ الحقِّ أفْـواجَـا

فاستـغفر الله واطلبْ عفـوهُ كرمًا ... وكن فقيـرًا إلى الرحمن محـتَاجَا

مـعـاشـر الناس إنَّ الـله أنبـتكم ... من أرضه نطفًا فى النشء أمشَاجَا

وثـمُّ أولجكُـم لَمَّا أمـاتكُـمْ ... فـيـهـا لأمـرٍ أرادَ الحقَّ إيلاَجَـا

وقـد علمت بأنَّ الـله يخـرجكم ... بعد المماتِ من الأجـداثِ إخرَاجَا

من بعـدِ إنزالهِ من أجلِ نشـأتكمْ ... مـاء كـمـثلِ منىّ الناسِ ثجَّـاجَـا

وصـيَّـر الناسَ أقـسـامـا منوَّعـة ... ثلاثة فـى كـتـابِ الله أزواجَـا

لو أنَّ مـا عندنا من علمٍ صـانعنا ... يكونُ فى رهجِ الاسواقِ مَـا رَاجَا

﴿وقال أيضاً﴾

كلُّ منْ رامَ فى الوجـودِ اتِّصَـالاَ ... بوجـودِى قـد رام أمـرًا مُـحـالاَ

قـدْ قطـعنا لرؤيةِ السرِّ شـوقًـا ... واشـتـيـاقًـا فـيـافـيًـا ورمَـالاَ

ثـم إنى لمـا وصلـتُ إليـه ... لم أجـد غـيـرنا فـزدتُ نكَالاَ

قلتُ ربى فـقـالَ لبـيكَ عـبـدى ... لم أجـد غيـر حـيرةٍ لى ضَـلاَلاَ

قـالَ لى هكذا هـوَ الأمـرُ فـاعلمْ ... لمْ يزد طـالبـوهُ إلا خَـبَـالاَ

كلُّ قلبٍ يـبـغى الوصـولَ إليـهِ ... مـعلـمٌ بالفـراقِ منهُ تَـعَـالَى

وكـذا منْ يـقـولُ ربِّى بقـلبِى ... جـدٌّ والجـدٌّ لمْ يـنلهُ فَـنَالاَ

حـيـرةُ مِـثْلـهِ فـقـال شُـخـيصٌ ... غـاطسٌ فى الـسـرابِ مـاءَ زُلاَلاَ

ثـــمَّ لَّمـا أتــاهُ لـــمْ يـلــفَ إلاَّ عـدمًـا حـاصـلاً وقـدْ كـانَ آلاَ

يثــبتُ الجـهـلَ ههنا ثم أيضــا ههـنا والجَــهُـــولُ نال الـوَبَالاَ

وجـــــدَ اللهَ عـندَهُ فكـفـــاهُ صـاحبُ الآلِ كـــانَ أحـسنَ آلاَ

إخـوتى هل رأيْتُـمُ أو سـمـعـتم أنَّ شـخـصًـا أتى إلـيـه فَـمَـالاَ

عنهُ عنْ غـيـرِ حـاصلٍ مـسـتلذٍّ لا وحـقِّ الإلهِ جـلَّ جَــــــلاَلاَ

مـا رأيـناه فى سِـوَى الحقِّ عـينًا وقـــصـــاراه أُنْ يكون خـيَـــالاَ

وهوَ شـرعٌ مـــقـررٌ مـسـتــفـادٌ جـــاء بـالكاف نوره يـتـــلالاَ

لقلوبٍ دنـت إليـه اشــتـيــاقـا فكســاها مـــهـابـةً وجـمـــالاَ

لا وحقِّ الهـــوى ومـتَّـــبِـعِــيـهِ مـا رأينا فى الهـجْرِ إلا الوصَـالاَ

لمْ ينلْ كلُّ طـالبٍ مـسـتـفـيـدٍ عـينَ كـونِ الحـبيبِ إلا كَـلالاَ

فـاطلب الأمـر بـالوجـودِ تجـدْه عندَ حـــبلِ الوريدِ يشـكو المطالاَ

قلت مـــذ أنت ههنا قـــال دهرى إنَّ ربى أتـيتُ عنـهُ مـــشـــــالاَ

وأنـا مــــــــا أريـدُ إلا إلهـى حـــبُّـــهُ الدهرَ لا أريدُ اتصـــالاَ

بسـوى الله قـال عـينُ وجـودى حـقِّ الأمـرَ يا فـتى استـقـلالاَ

يدرى قطعًـا من أبصـر البـدر تما إنهُ كــــانَ فى العـــيــــانِ هلالاَ

ثمَّ لَّمـا تزايـدَ الأمــــرُ فــــينا عـاد فى نقـصـه يـريد الكمـالاَ

كلُّ نقصٍ تـراهُ فـهـــوَ كـمـــالٌ للذى جــــاء فــيـــه أنَّ المثــالاَ

يسـتر الشَّيءَ خَـلْفَهُ وهو كـشفٌ عند من يعـــرفُ الحـلاَلَ حـلالاَ

حكمَ العلمُ أنَّ مـا كـانَ رجـمًـا إنه كـانَ فى الهـواءِ اشْـتِـعـالاَ

وهوَ نجـمٌ كــمـــا تراهُ ولـكنْ جـعلَ الجـــوَّ للرجـوم مـــجَـالاَ

هو نار وفـى الحـقـيـقـةِ نورٌ فـيـه شـغلٌ لمنْ يريدُ اشـتِـغَـالاَ

وأتى الربُّ لـلحـرارةِ فـيـهـا رحـمـةً للورى فـمــدَّ الظلاَلاَ

فنعــمنا بهـا فـعـشنا ملوكـا ليسَ نبـغى ضـدًا فنبـغى قـتَـالاَ

فى نـعـــيمٍ بـهِ وظلٍّ ظـليـلٍ مـســتـريـحـينَ لا نـقطّ ذبَالاَ

إنْ ترد أنْ تكـون فـيـه مـكانا أكـثـر الصـوم ههنـا والوصَـالاَ

كلُّ من مـال عنك فـيـمـا تراه لا تقـلْ عنـهُ إنهُ عنـكَ مَـــالاَ

فـتـغـيظ الـعـدوّ قـولا وفِـعـلا وتسـرُّ الولىَّ فــعـــلاً وحَـــالاَ

سُــمِّىَ المالُ فى العُـمُـوم لمِيْلٍ فــيك والعبـــدُ مـــال عنه ممَالاَ

﴿وقال أيضًا﴾

إنّ الذى بوجـودى اليـومَ أعرفـهُ هوَ الذى فـى غـدٍ بذاكَ أُنـكرُهُ

إنْ كـانَ أخفـاه فى عـينى تقلبـهُ فـإنَّ قلبى فى التـقليبِ يُبْـصِـرُهُ

من أعجب الأمر أنـى حين أذكره أغـيـبُ عنهُ ويدنـينى تَذَكُّـرُهُ

رأيتــهُ ذاكـرًا لى حـيـنَ أذكـرُهُ فى كلِّ حـالٍ وتخفـينى فأظْهِـرُهُ

إيّاه أســأل عنه حـين يسـألنى عنى وينـسى إذا أنسى فـأذْكُـرُهُ

لوْ أنهُ فى وجودى حيـنَ يشهدنى مـا كنتُ أشهـدُهُ ما كنتُ أبْصِـرُهُ

وبهذا تم الديوان الكبير للشيخ الأكبر والكبريت الأحمر

والخرِّتيت الأخبر أبى عبد الله الملقب بمحيى الدين بن

على بن محمد العربى الحاتمى الطائى الأندلسى

لا زالت شآبيب الرحمة منهلة على جدثه

وجسده وأعاد الله علينا

وعلى المسلمين من بركاته

ومدده

﴿قال مصححه الفقير محمد بن إسماعيل شهاب الدين﴾

نحمدك اللهم حمد من أتممت عليه نعمك من الأولياء، ونصلى ونسلم على رسولك الذى ختمت به الأنبياء، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه المكملين بكماله.

وبعد:

فلما أن مَنَّ اللهُ بإتمام هذا الديوان الجليل القدر والشأن، وكنت فى غضون تصحيحه، وأثناء تهذيب طبعه وتنقيحه، أجتنى الغض من ثمار مجانيه، وأجتلى الراح من رحيق معانيه، وأتروّح بروائح أزهاره، وأتمسك بفوائح مسكه وأعطاره، أخذتنى عند ذلك أريحية نشوه، هيجت لطائر الفؤاد وشجنه وشجوه، فصلت هنالك وجلت، وأنشدت مادحًا لهُ وقلت[1]:

(١) رأينا من الأمانة العلمية إثبات قصيدة مُصَحِّح طبعة المطبعة الأميرية اعترافًا بفضله وجهده فى تصحيح وإخراج تلك الطبعة، وقد كان آخر بيت فى القصيدة هو تأريخ طبع الكتاب بحساب الجمل ١٢٧١هـ.

قصيدة مصحح طبعة الأميرية

أَطِيبُ مِسْكٍ بِشَذاهُ أطيبُ ... أَمْ مِنْ رِيَاضِ الزَّهْرِ قَدْ جَاءَ طِيبْ

أَمْ ذَا عَبِيرٌ مِنْ نَسِيم الصَّبَا ... شَمِيمُ رَيَّاهُ يُسَمَّى طِيبْ

أَمْ تِلْكَ أَنْفَاسُ الحَبِيبِ الَّتِى ... يَعْرِفُهَا بالعُرْفِ شَمٌّ الرَّقِيبْ

وإِذْ هَدَاهُ نَشْرُهَا جَاءَنَا ... يَطْوِى قَصِىَّ الأَرْضِ طَىَّ القَرِيبْ

لله يَا ظَبْيُ الحِمَى لَفْتَتُهُ ... يُشْفَى بِهَا الصَّبُّ المُعْنَىَّ الكَئِيبْ

قَلْبِى عَلَى القَدِّ غَدَا طَائِرًا ... وكَمْ عَلَى غُصْنٍ شَدَا عَنْدَلِيبْ

رِفْقًا فكَمْ فِى اللَّحظِ لِى أَسهُمٌ ... وإِنْ أكُنْ فِى الخَدِّ مَا لِى نَصِيبْ

يَا قَلْبُ كَمْ ذَا أَنْتَ فِى شِقْوَةٍ ... بِنَاعِمٍ يَزْهُو وَغُصْنٍ رَطِيبْ

إِنْ صَدَّ يَوْمًا أو قَضَى نَحْبَهُ ... رُحْتَ قَلِيلَ الصَّبْرِ جَمَّ النَّحِيبْ

تَرْعَى السُّهَى والطَّرفُ سَاهٍ وَقَدْ ... أَمْسَيْتَ ذَا وَجْدٍ بِكَفٍّ خَضِيبْ

هَلاَّ بِمُحيِى الدِّينِ أَحْيَيْتَ مَا ... أَفْنَاهُ مِنكَ الآنَ وَخَطَّ المَشِيبْ

شَيْخُ هُوَ الأَكْبَرُ فِى الأَوْلِيَا ... وَهُوَ الإِمَامُ المُقْتَدَى والخَطِيبْ

كَانَ وَلاَ رَيْبَ خِتَامًا لَهُمْ ... وَالخَتْمُ مِسْكٌ فَوْحُهُ لا يَرِيبْ

أَعْلَنَ بالأَسْرَارِ فِى وَقْتِهِ ... وَأَظْهَرَ الأَمْرَ الخَفِىَّ الغَرِيبْ

لُبٌّ وَلا قِشْرَ عَلَيْهِ يُرَى ... فَطِبْ بِهِ نَفْسًا تَفُزْ بِالبَيتْ

واعْجَبْ لَهُ يَا صَاحِ مِنْ مُرْشِدٍ ... لِهَدْيِهِ يَدْعُوكَ لَوْ تَسْتَجِيبْ

قُطْبُ رَحَى الكَوْنِ عَلَى رَاحَةٍ ... دَارَتْ وَرَاجِى حَيِّهِ لا يَخِيبْ

إنْ غَابَ بَدْرُ التَّمِّ فِى أُفُقِهِ … شَاهَدْتَ بَدْرًا مَالَهُ مِنْ مَغِيبْ

فَاذْكُرْ لِعَيْنِى سَنَآ وَجْهِهِ … وقُلْ قِفَا نَبْكِ لِذِكْرَى حَبِيبْ

وادْخُلْ حِمَاهُ مُسْتَغِيثًا وَسَلْ … مَوَاهِبًا مِنْ ذِى جَنَابٍ مَهِيبْ

ديوانُهُ دَانَ لَهُ ذُو الحِجَى … وَفَازَ بِالآرَابِ مِنْه الأَرِيبْ

لِذَا سَعِيدُ الدَّهْرِ نَجلُ العُلَى … الدَّاوَرِىُّ ابن الدَّاوَرِى النَّجِيبْ

مُذْ آنَسَ التَّهْذِيبُ فِى طَبْعِهِ … كَسَاهُ جِلْبَابًا مُوَشَّى قَشِيبْ

حَتَّى تَبَدَّى سِنُّهُ ضَاحِكًا … واستَقبَلَ الصَّدْرَ بِصَدْرٍ رَحِيبْ

مَنْظُومُهُ رَوْضٌ نَضِيرٌ زَهَا … إذْ مَنْظَرُ المَنْثُورِ فِيه عَجِيبْ

تَأَرَّجَتْ بِالنَّفْحِ أَرْجَاؤُهُ … وَعَطَّرَتْ أعْطَارُهُ مِنْ تُصِيبْ

فَاجْنِ جَنَاهُ وانْتَشِقْ طِيبَهُ … وَنَزِّهِ الطَّرْفَ بِرَوْضٍ خَصِيبْ

وَقُلْ أيَا نَفْسُ بِأنْفَاسِهِ … غَدَوْتِ فِى الفِرْدَوْسِ فَوْقَ الكَثِيبْ

وَهَذِهِ بُشْرَاكِ قَدْ أرَّخَتْ … دِيوَانِ مُحْيِى الدِّينِ رَوْضٌ يَطِيبْ

١٢٧١[1]

(١) ١٢٧١هـ هو تاريخ طبع الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية بالقاهرة، وقد أرخ لها الشاعر المصحح بحساب الجمل.



فهرس الجزء الأول

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



فهرس الجزء الثانى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة